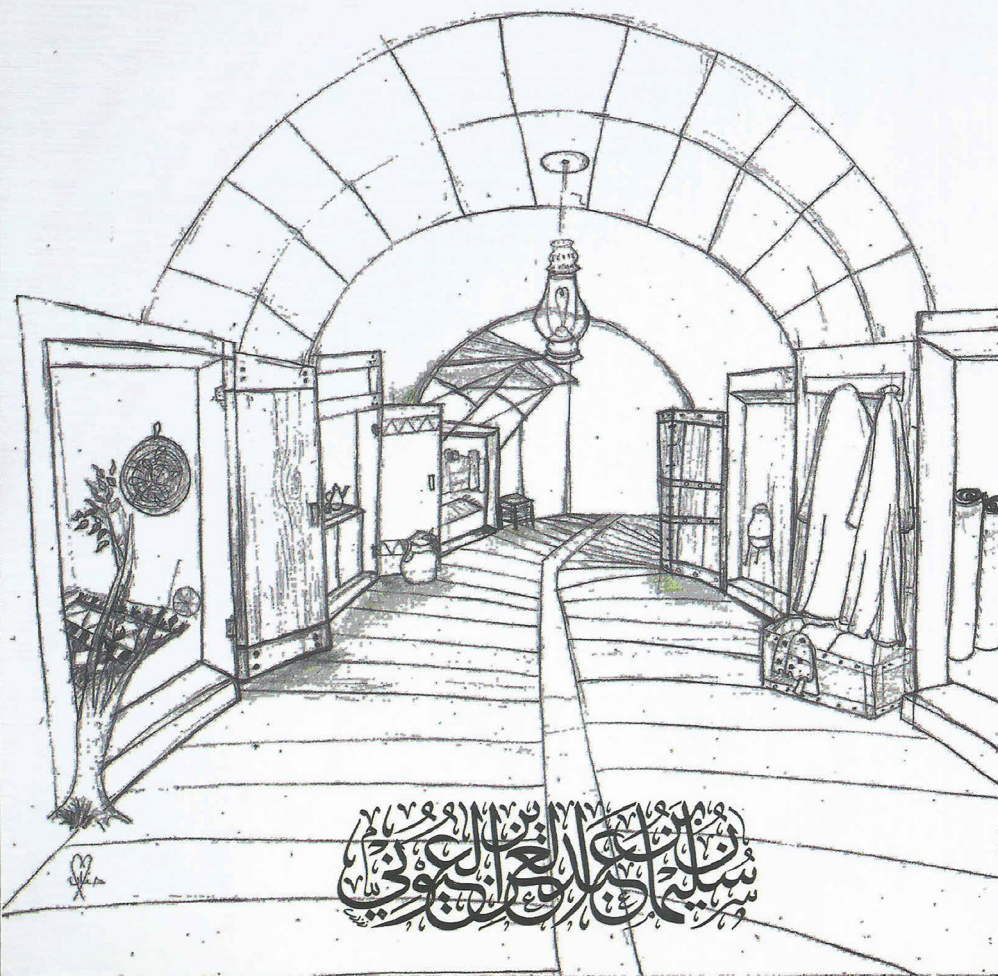


# صغیر و زمان

فدای



سید محمد علی حسینی

# صغير ذو زماع

سليمان بن عبدالعزيز بن عبدالله العيوني

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

© سليمان بن عبدالعزيز بن عبدالله العيوني، ١٤٤٢ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العيوني، سليمان بن عبدالعزيز بن عبدالله

صغير ذو زماع. / سليمان بن عبدالعزيز بن عبدالله العيوني - الرياض، ١٤٤٢ هـ

٤٧٠ ص ٢١١ سم

ردمك: ٩-٦٨٥٤-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١ - القصص العربية - السعودية

ديري ٨١٣، ٠٣٩٥٣١

أ. العنوان

١٤٤٢/٤٨٨٤

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٤٨٨٤

ردمك: ٩-٦٨٥٤-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

## مركز الأدب العربي للنشر و التوزيع

الموقع الإلكتروني :

www.Adab-Book.Com

مركز الأدب العربي

@Services\_Book

@ServicesBook1

مركز الأدب العربي

adabarabic7

services\_book@outlook.sa



مسؤول النشر :  
للتواصل

0597777444

المملكة العربية السعودية - الدمام

لطلب إصدارات مركز الأدب العربي

00966594447441

دولة الإمارات العربية المتحدة مكتبة الأدب العربي 00971569767989

جمهورية مصر العربية مركز الأدب العربي 00201120102172

الحقوق محفوظة : لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه ، أو تخزينه في نطاق استعادة جميع المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال بدون إذن سابق من الناشر .

جميع العبارات و الأفكار الواردة في الكتاب تعبر عن وجهة نظر المؤلف دون أدنى مسؤولية على الناشر .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**الحياة تجارب، والعوائق كثيرة، والناس أصناف.  
منهم من يستسلم للعوائق، فيتعطّم ويذبل، ومنهم من يقاوم  
ويجتهد، ويعلم أن العوائق محطات تجعله يبطئ قليلاً في مسيرته  
ليتزود من وقود الهمة والعزم، كي ينطلق مرة أخرى بقوة أكثر،  
وسرعة أعلى، يبقى يقاوم ويحاول، حتى يموت أو يصل إلى مراده.  
فأقول مستسلم، والآخر ذو زماع.**



## الفصل الأول عبدالرحمن في دكان أبيه



تختلط الروائح في سوق العطارين والأطعمة، فلا يكاد يميّز بينها إلا خبير كأبي سالم، الذي يمتلك دكانًا في بداية المدخل الشمالي للسوق، على يمين الداخل.

والمدخل الشمالي زُقاق، عرضه أكثر من عشرة أشبار بقليل، يبدأ من الطريق الرئيس، ويمتد على شكل نصف دائرة، حتى يتلقي بالطريق الرئيس من الجهة الجنوبية، وفي وسط السوق شارع تدخل فيه السيارة الصغيرة دون الكبيرة، ينفذ من الطريق الرئيس ويخترق السوق من الغرب إلى الشرق.

وتصطف الدكاكين على شوارع السوق من الجهتين دون انتظام، فتجد دكانًا صغيرًا جدًا بجانب دكان متوسط، ودكانًا قد دخلت واجهته عن بقية الدكاكين، وكان دكان أبي سالم من الدكاكين المتوسطة، وأكبر الدكاكين كان على الطريق الرئيس، لأبي سعد كبير العطارين، وهو الذي يزود السوق بالأبازير والأدوية الشعبية والدهونات ونحوها، وأما الأرز والسكر والأطعمة الأخرى فأكبر الموردين لها أبو عائشة، وكان له دكان كبير في وسط البلد.





مع خيوط الصباح تدبُّ الحياة في السوق، وأول من يوقظ السوق  
عبدالرحمن ولد أبي سالم ... (أصبحنا وأصبح الملك لله، اللهم ارزقنا من  
كريم فضلك، يا كريم).

اعتاد رفعَ صوته بهذا الدعاء وهو يفتح أبواب الدكان الخشبية،  
التي يُرَدِّفها بحجر صغير صار أملس من كثرة الاستعمال.

يُخْرِج الفتى الصغير بعض البضاعة أمام الدكان، ثم يكسُّ الدكان،  
وما أمامه، ويمسح الأدراج، ويرتب ما تبعر من البضاعة.

وكان كثيرًا ما ينتهي قبل أن يشرع الزبائن بالورود، فيكسُّ ما أمام  
دكان العم عبيد، الذي يحبه كثيرًا، ويأنس بكلامه وبحنانه وعطفه، وكان  
أبوه ينهأه أن يسميه العم عبيدًا، ويأمره أن يقول: عبيد، فيسكت الفتى على  
مضَض، ونفسه تأبى إلا أن يقول: العم عبيد.

\*

\*

\*

عبدالرحمن ولد أمه، هكذا يقول أبو سالم؛ لأنه اختار البقاء مع أمه  
بعد طلاقها من أبيه.

وكان أبو سالم قد تزوّج أم عبدالرحمن، فلما تأخر إنجابها، تزوّج بأم  
سالم، التي أنجبت سالمًا، وبعد سنة حملت زوجتاه، فولدت أم عبدالرحمن

عبدالرحمن، وولدت أم سالم رقية، وبعد ذلك أنجبت أم سالم تباغًا: مروان فخالدًا ثم آخر العنقود سمية.

وبعد إلحاح من أم سالم طلق أبو سالم أم عبدالرحمن بعد أن بلغ عبدالرحمن تسع سنوات، عاش فيها هو وأمه مع أم سالم وأولادها في بيت واحد.

كانت أولى السنوات هادئة، ولكن بعد أن أنجبت أم سالم سمية بدأت المشاكل التي لا تنتهي، فلا تنتهي مشكلة في النهار، حتى تنشأ أخرى في الليل، ولكن عبدالرحمن كان تحت جناح أمه الشموس التي لا تلين قناتها في حماية ابنها، وإبعاده عن المشاكل.

وبقي عبدالرحمن مع أمه بعد طلاقها، التي سكنت بجانب أخيها أحمد، فعاش مع عائلة خاله أحمد، وزوجته سعاد، وأولاده وبنته العنود.

كان أبو سالم يأخذ عبدالرحمن كثيرًا إلى بيته، فيبقى فيه يومًا أو يومين، وخاصة في الإجازات، وقد حاول أبو سالم أكثر من مرة أخذه عنده دائمًا، ولكنه أبى بشدة لما كان يشاهده من معاملة عند بقاءه في بيت أبيه، وأعانه على ذلك أن أم سالم لم تكن راغبة في بقاءه.

\*

\*

\*

كان أبو سالم يأخذ عبدالرحمن معه إلى دكانه كثيرًا، وخاصة في الإجازات، وكان يفرح بذلك، ويجد فيه أنسه ونفسه، ومع تَمَادُّ الوقت أتقن العمل، وأحسن التعامل مع الزبائن.

وبعد نجاح عبدالرحمن من السنة السادسة الابتدائية صار يُدَوِّم يوميًا مع أبيه في الدكان؛ لأن العامل ترك العمل.

حتى إذا ما انتهت الإجازة الصيفية تفاجأ بأن أباه قد طلب منه البقاء في العمل في الدكان، وأن هذا أحسن له من إكمال دراسته، فهو ماهر في البيع، ومتقن لعمل العطارة.

أخبر الفتى أمه بذلك، فرفضت، وطلبت منه إكمال دراسته، وأصر أبو سالم على رأيه، ورفض تسجيله في المدرسة المتوسطة، وحاول الخال أحمد مناقشة أبي سالم في ذلك إلا أنه اشتدَّ في رفضه، وخاصة أن العامل قد ترك العمل، وبقي وحده في الدكان.

حزن عبدالرحمن لذلك، فقد كان يحب المدرسة، ويحب زملاءه في المدرسة، فبكى وأبكى، ومع كثرة المحاولات وافق أبو سالم على أن يعود للدراسة، ولكن في السنة التالية، أما هذه السنة فيجب أن يساعده في الدكان.

اضطر الفتى إلى العمل في دكان أبيه مكرهًا، وفي الحق أنه أحب هذا العمل، واجتهد فيه، وظهرت مهارته في العطارة والتعامل مع الزبائن، وكان أبو سالم سعيدًا جدًّا لذلك؛ إذ ارتاح من هم العامل وأجرته، وزادت إيرادات الدكان مع الوقت.

وكان أنيس عبدالرحمن في عمله كتابه، فقد كان محبًّا للقراءة منذ تعلّمها، فكلُّ كتاب كان يأخذ بيد أخيه، ونهايته تعني بداية كتاب آخر، وكان يستعير الكتب من مكتبة المدرسة، وبعد أن تركها صار يستعير من خاله أحمد، ومن إمام المسجد، ومن العم عبيد.

\* \* \*

مضى شهر، ثم شهران، فكلم الخال أحمد أبا سالم في شأن عبدالرحمن، وأنه لا بُدَّ له من راتب كغيره من العمال، فعَضَّ أبو سالم على أسنانه، ورَمَّ شفتيه، وقال: أنا أعرف بمصلحة ولدي، إني أعلمه التجارة، وأعطيه من خبرتي، فإذا أتقن العمل، وظهرت منفعته للدكان أعطيه راتبًا إن شاء الله! استمرَّ الأمر على ذلك ستة أشهر، وبعد الشهر السابع أعطاه أبوه (٥٠) ريالًا، فرح بها عبدالرحمن كثيرًا، مع أنَّ أقلَّ عامل في السوق يحصل على ثلاثة أضعاف هذا المبلغ.

كان عبدالرحمن الصغير يعطي أمه راتبه الصغير، ويقول:

-أمي الغالية، اصبر في منه ما تحتاجين إليه، واخزني الباقي.  
وكانت أم عبدالرحمن تشفق عليه، إذ لم يكن يهنأ بصباه كبقية الصبيان،  
وكانت تراه يكبر قبل وقته، ويتقل إلى مرحلة الرجولة وتحمل المسؤولية  
قبل أوانه.

في يوم من الأيام عاد عبدالرحمن ومعه بعض الفواكه التي وجدها  
تباع عند المسجد، ولم تشعر أمه إلا وقد غسلها، وقدمها بين يديها:  
-بالهناء والعافية، يا أمي.

وفي يوم آخر عاد وفي يده قماش جميل يشبه قماش ثوب رآه على زوجة  
خاله أحمد:

-ما هذا يا عبدالرحمن؟  
-هذا قماش لك؛ كي تفصلي لك ثوباً جميلاً كثوب زوجة خالي أحمد.  
-ولكني لا أرغب في ذلك.  
-ولكني أرغب في ذلك، يا أمي!

\*

\*

\*

كان أبو سالم يأتي بعد أن ينتهي عبدالرحمن من تنظيف الدكان وترتيبه،  
وفي أحيان كثيرة يجد في درج الحساب مبلغاً من المال ثمن ما باعه  
عبدالرحمن قبل مجيئه.

كان أبو سالم يعلم أن عبدالرحمن أمين جدًا، ومع ذلك لا يترك من  
فلوس الأمس فكَّةً تساعد عبدالرحمن على محاسبة الزبائن في الصباح، مما  
يضطره إلى طلب صرف ورقة النقود الكبيرة من العم عبيد وغيره، حتى  
كَلَّمَ عبيد أبا سالم في ذلك أكثر من مرة.

كان عبدالرحمن ينصرف من العمل قبل أذان المغرب؛ كي يصل إلى  
بيت أمه قبل الظلام، وكان أبو سالم يأخذ كلَّ الفلوس التي في درج  
الحساب، ويصلي المغرب في السوق، أو في الطريق إلى بيته.

\*

\*

\*

- كم حسابي يا أبا سالم؟

- (١٨, ٥) ثمانية عشر ريالاً ونصف.

- كيف حالك اليوم، يا عبدالرحمن؟

- بخير، والحمد لله، وخاصة أنه قد وصلنا نوع جديد من الرز، لذيد

الطعم، سهل الطبخ، يليق بمائدة الأمير، يا عم فرج؟

- ماشاء الله!

- جرِّبه، ولن تندم أبداً، والكيلو منه بريال واحد فقط.

- إذا هاتِ منه ثلاثة كيلوجرامات.

- أبشر.

جمع عبدالرحمن حوائج العم فرج، وبدأ بحسابها من جديد.  
استغرب أبو سالم من ذلك؛ إذ كان يكفي أن يضيف ثلاثة ريات إلى  
المبلغ السابق.

-حسابكم (٥, ٢٥) خمسة وعشرون ريالاً ونصف.

-هل أنت متأكد؟

-نعم.

وبدأ بالحساب من جديد أمام أبيه والعم فرج، فكان حساب  
عبدالرحمن هو الصواب.

علم أبو سالم أن عبدالرحمن أدرك خطأه في الحساب، وأراد تصحيحه  
بطريقة لينة غير جارحة لأبيه.

وبعد ذلك مرَّ بأبي سالم مواقف كثيرة لمح فيها ذكاء عبدالرحمن وحسن  
تصرفه، مع دقته في الحساب.

\* \* \*

ذات مرة نقص المبلغ المطلوب من أم بشير إحدى الزبائن المعروفات  
للدكان، وأرادت إرجاع بعض البضاعة، فبادرها عبدالرحمن:

-والله ما ترجعين شيئاً منها، متى ما مررت بنا تعطيننا باقي الحساب،  
ما عندك مضمون يا عمة.

غَضِبَ أبو سالم من عبدالرحمن، ولكنه لم يرد إظهار خلافهما أمام الزبونة، ولكنه وَبَّخَ عبدالرحمن بعد ذلك كثيرًا، ونهاه أن يعطي أحدًا بالدين.

-يا أبي، هذه زبونة معروفة لنا، وكثيرة التردُّد علينا.

-وإن كان.

-لم يبقَ عليها إلا مبلغ قليل، وربِّما جعلها هذا المبلغ القليل تعجَّلَ بمعاودة زيارتنا قريبًا لتسدَّدَ دينها، ومع تسديدها للدين قد تأخذ بضاعة أخرى.

-قد وربِّما لا تصلح في التجارة؛ لأنها قد لا يعود.

-قد لا تعود لو كان المبلغ كبيرًا، أو كانت زبونة غير معروفة لنا.

-لا تكثر الجدال، ولا تسلَّف أحدًا بعد ذلك.

بعد ثلاثة أيام تعود العمَّة ومعهما زبونة أخرى، لتسدَّدَ باقي المبلغ، وتتسَوَّقَ مع صاحبتهما من الدكان.

-أين الولد الصغير الذي كان في المحلِّ؟

-ذهب ليقضي حاجة لي، وسيعود قريبًا إن شاء الله.

-ما شاء الله عليه! كلامه كلام كبار!

عاد عبدالرحمن فوجد أباه يبتسم:



- ابتسامة الخير، يا أبي.

- عادت المرأة.

- أي امرأة؟

- التي حلفتَ عليها ألا ترجع البضاعة.

- الحمد لله.

- ومعها امرأة أخرى، وقد سدّدت باقي المبلغ، واشترت بعض

المقاضي، وانصرفنا.

ابتسم عبدالرحمن ابتسام الراضي، وأبوه ينظر إليه من طرف عينه.

\* \* \*

كان أبو سالم كثير الكلام مع عبدالرحمن في إهمية العمل في التجارة،

وترك الدراسة، وأنه ماهر في البيع والشراء، وأنّ هذا خير له وأحسن.

وكان عبدالرحمن يسمّع ثناء الزبائن وبعض زملاء أبيه عليه، ومهارته

في العمل، فأكدّ هذا له كلام أبيه.

وكانت أم عبدالرحمن كلّما عاد إلى البيت تؤكّد عليه العودة إلى

المدرسة، وأنه كان فيها متفوّقًا، وأنها التي ستفتح له أبواب المستقبل.

انتهت السنة الأولى، ثم انتهت الإجازة الصيفية، وصارت السنة الثانية على الأبواب، فكَلَّمَ عبدالرحمن أباه في تسجيله في المدرسة المتوسطة، فانفجر أبوه فيه، وصرخ في وجهه:

-ألم أخبرك أن التجارة والعمل أحسن لك من الدراسة.

-ولكني أريد أن أكمل دراستي.

-ولماذا علّمتك العمل في العطارة، وأتعبت نفسي في تدريبك، وتعليمك أسرار المهنة.

-ماذا! أسرار ماذا! وتدريب ماذا، لقد بقيت في الدكان، أعمل بنفسي، وأدور فيه بنفسي.

-التدريب والأسرار شربتها مع الوقت على مهل، وفهمتها من التعامل مع الناس، وأنت تحت عيني وإشرافي.  
-يعني.

-يعني: ليست هناك دراسة، ستعمل معي في الدكان.

دمعت عينا عبدالرحمن، ولكنه لا يدري أي عينه كانت أسبق، فقد انهمرت الدموع على خديه طول اليوم.

كَلَّمَ عبيد أبا سالم بعدما اشتكى إليه عبدالرحمن:

-يا أبا سالم، لو وضعت معك عاملاً، وتركت الولد يدرّس، فما زال صغيراً.

-لا علاقة لك بذلك، يا عبيد.

-بكاء الولد يكسر الخاطر.

-لو كان لك ولد ماهر في التجارة مثله لجعلته يعمل معك في الدكان، ولكن ليس لك ولد!

-الولد هبة من الله، ولكن هذه الهبة خير لمن يشكرها ويرحمها ويحسن تربيته، ونقمة على من كفرها، وقهرها، وأهمل تربيته.

\* \* \*

في الصباح الباكر يمسخ أبو سالم على رأس عبدالرحمن:

-انظر يا ولدي، سوف أزيد في راتبك من هذا الشهر (١٠) ريالاً.

نظر عبدالرحمن إلى أبيه، ولم يقل شيئاً.

-هذا المبلغ لا يأخذه أيُّ ولد في سنك.

-لأنّ الأولاد الذين في سنّي يذهبون إلى المدرسة، ولا يعملون في

السوق.

-بل لأنهم عاجزون عن تحصيل المال، ومساعدة أهلهم، أنت الآن رجل البيت، وأنت الذي تصريف على أمك، هل تريد من أمك أن تصريف عليك؟ أم تريد أن يصريف عليكما خالك؟

حرّكت هذه الكلمات شيئاً في نفس عبدالرحمن، وشوّشت تفكيره، فاتّقّد الصراع في داخله الصغير:

-هل أدرس وتصريف عليّ أمي أو خالي، أم أعمل وأصريف على أمي؟  
-بل أعمل، وأكون رجل البيت.

-إذن تضيّع دراستك، ويصل زملاؤك إلى أعلى المراتب وأنت تعمل في السوق.

-صحيح، بل أدرس وأترك العمل.

-لكنّي أحب العمل في السوق، وأما الدراسة فتحتاج إلى سنوات كثيرة ...

وما زال عبدالرحمن يغوص في أودية التفكير حتى أعاده إلى الواقع صوت أبيه:

-اسمع جيداً ما سأقوله لك، إذا تركتَ العمل معي في الدكان سأخذك من أمك بالقوّة، وستبقى معي في البيت طول حياتك.

-هذا لا يمكن، وأمّي من يبقى معها.

- أنت تبقى معها إذا بقيت تعمل معي في الدكان.

- لماذا تفعل هذا بي، يا أبي؟

- لأنني أبحث عن مصلحتك، فأنا أعلم بها منك ومن خالك الذي

سوف يأتي ويصدّع رأسي بك بعد قليل، فإذا جاء فقل له: سوف أبقى في الدكان، وإلا سوف آخذك من أمك.

دارت الدنيا الكبيرة بعبدالرحمن الصغير، وأسقط فيه يده، ولم يدر ما يفعل، فأتمه لا يمكن أن يفرط بها أبداً، وسيترك الدنيا من أجلها، لا الدراسة فقط.

لم يؤذن الظهر حتى كان الخال أحمد في الدكان، وقد ارتفع صوته على أبي سالم في شأن دراسة عبدالرحمن، ولم يوقفه سوى قول أبي سالم:

- اسأل عبدالرحمن، هل يريد الدراسة أم العمل في الدكان؟

- لا شك يريد الدراسة.

- ولماذا لا تسأله؟

- أسأله، ولماذا لا أسأله.

وكان عبدالرحمن قد انزوى في إحدى زوايا الدكان، فناداه خاله، حتى

إذا كان بجواره:

- هاه، يا عبدالرحمن، أخبر أباك أنك تريد الدراسة.

- أنا .... أنا .... يا خال ... في الحقيقة ....

- ما بالك يا عبدالرحمن؟ قل: ماذا تريد.

- سرح قليلاً، ثم خرجت من فهمه كلمات كأنها إلهام:

- الذي أريده لا يريدني، والذي يريدني لا أريده.

- لم أفهم.

- يا خال: سأبقى في العمل في الدكان.

- ولكن هذا سيحرمك من الدراسة.

- أريد أن أعمل سنة ثانية في الدكان.

- هل هذا رأيك أم رأي أبيك؟

- لا يهمّ، المهمّ أن هذا ما سيكون.

- هنا تنهّد أبو سالم تنهّد المنتصر:

- أخبرك الولد أنه يريد العمل في الدكان معي، فرجاء لا تزعجني

بعد الآن بهذا الموضوع.

- الشكوى لله.

\*

\*

\*

بكت أم عبدالرحمن وهي تقول له:

-كيف تختار العمل في الدكان على الدراسة يا ولدي. ألم تكن تريد

الدراسة؟ وكنت تقول: سأكملها حتى أصبح مدرسًا أو قاضيًا؟

لم يحز عبدالرحمن جوابًا، ولم يستطع أن يخبر أمه أنه يخاف أنه يحرمه أبوه منها إذا ترك العمل، وأراد أن يخفف عنها:

-يا أغلى الناس، أنا أحبّ العمل في السوق، والحمد لله أنا ماهر في

البيع والشراء، وقد استفدتُ من ذلك كثيرًا.

-لا بأس يا ولدي، بعد أن تدرس اعمل ما تريد.

-أريد أن أعمل في السوق ولو سنة أو سنتين، ثم يكتب الله ما يشاء.

-أظنّ أن أباك قد أثر في رأيك، وحسّن إليك العمل في السوق.

-هو يفعل ذلك دائمًا، ولكنّي أحبّ العمل فعلاً.

-والدك يريد أن يستفيد منك في العمل، ولو استغنى عنك لما همّه أن

تدرس أو تعمل، ألا تراه لا يعطيك إلا فلوسًا قليلة لا يأخذها أقلّ عامل في السوق.

-سيزيدها أبي (١٠) ريالاً من الشهر القادم.

-ولماذا لا يجعل أولاده الآخرين يعملون معه؟

-يقول أبي: لأنهم غير ماهرين في العمل والتجارة.

-آه، يا ولدي، آه.



تصرَّمت السنة الثانية، وعبدالرحمن في رتابة العمل في دكان أبيه، يستيقظ مع أذان الفجر، يصليَّ الفجر في مسجد حارته، ينطلق إلى السوق، ويبقى في الدكان إلى ما قبل أذان المغرب، يعود إلى البيت بعد أن يصليَّ المغرب في مسجد حارته، ثم يذهب إلى البيت، ثم يتعشى ويبقى مع أمه، إلى أن يصليَّ العشاء، ثم ينام.

كان عبدالرحمن يعمل ذلك في أحيان كثيرة كآلآة، لم يجد السعادة التي كان يجدها في السنة الماضية، صار ينتظر انتهاء هذه السنة فقط، مرَّت السنة بلا طعم ولا لون ولا رائحة!

صارت نفس عبدالرحمن كالشبكة الممزقة، تمرُّ بها الحوادث اليومية بلا تأثير، ويرى ويسمع الكثير ولكن بلا إحساس، فذهبت نُفُسه، وزالت بهجته.

كان عبدالرحمن يبقى في الدكان، ولا يكاد يخرج منه، لا يعرف من زوايا السوق وخفاياه إلا القليل، كان همُّه في ما يكفي من البيع والترتيب والتنظيف، ثم في انتظار آخر العصر كي يعود إلى أمه.

كان لا يكثرث بالزبائن، ولا يحتفل بالبضائع، ولا يعبا بنصائح أبيه، ولا يبالي إلا بانتهاء السنة.



كان يشعر بأنه يسير بغير هدف، إلى وجهة غامضة، قَلَّتْ حيويته التي عرفها كل ما خالطه في السنة الأولى، وبدأ يذوي شيئاً فشيئاً، حتى قَلَّ كلامه فلا يتكلم إلا في ما لا بُدَّ منه، وقَلَّتْ حركته فلا يتحرك إلا بمقدار ما يدفع عنه غضب أبيه وصراخه، وربما مرَّ اليوم واليومان دون تنظيف أو ترتيب إلا بأمر مباشر من أبيه.

انقلب الدكان إلى منبع حزن له بعدما كان ينبوع سعادة، لأنه صار يحسُّ بأنه لا طاقة له بالعمل فيه، ولا قِبَلْ له بكلام الزبائن ومكاسراتهم التي لا تنتهي.

كان ينظر في السوق فلا يرى فيه إلا الرجال، ولا يأتي الصبيان إلا للتمشية مع آبائهم والتسوق، فإذا أرسله أبوه لإكمال النواقص من دكان كبير العطارين أبي سعد، أو ذهب معه أحياناً إلى دكان العم أبي عائشة لشراء الأرز يرى نفسه ضائعاً بين الرجال، كعُشْبَةٍ بين أشجار، وفَرْخٍ بين أطيّار. وكلما اقتربت السنة الثانية على الانتهاء أحسَّ عبدالرحمن بالفرج والراحة، وعادت نفسه المرحّة، وتعامله الحسن.



وأخيرًا لفظت السنة الثانية أنفاسها، ورحلت غير محزون عليها،  
وتصرّمت بعدها الإجازة الصيفية، واقتربت الدراسة، فصار عبدالرحمن  
يُلحُّ على أبيه بالعودة إلى الدراسة وتسجيله في المدرسة.

وجاء الخال أحمد إلى أبي سالم يذكره بوعده عند انتهاء السنة الثانية:  
-ها قد انتهت السنة الثانية، ضيّعتَ من عمر الولد سنتين دراسيتين.  
-ماذا تريد؟

-أريد تسجيل عبدالرحمن في المدرسة.

-لماذا؟

-لكي يدرس كغيره من الأولاد، ويأخذ شهادة تفيده في حياته بإذن

الله.

-العمل في الدكان أحسن له من المدرسة، ويضمّن له وظيفة دائمة.

-يعني أنك لن تسجله هذه السنة في المدرسة أيضًا؟

-يا أحمد، لا علاقة لك بولدي.

-عجيب، يظهر أنك نسيت أبي خاله، وأمّه أختي.

-ويظهر أنك نسيت أبي أبوه، وأعلم منك بمصلحته.

-يظهر أن الكلام معك لا يفيد، سوف أسجّله بنفسي في المدرسة.

أعطني ملف الولد الذي سحبتَه من الابتدائية.

- لن تفعل، سوف تُحزن عبدالرحمن أكثر.

- لماذا؟

- لأنك ستعلقه بالمدرسة، وأنا سوف أخرجه منها، وأسحب ملفه.

- أنت قاسي القلب، قليل الرحمة، يا رجل، أمه تريد أن يدرس

كإخوته.

- أنا أعمل لمصلحة ولدي.

- ولماذا لا تعمل لمصلحة بقية أولادك، وتسحبهم من المدرسة أيضاً.

- لا علاقة لك بذلك، وإياك أن تتدخل في أولادي بعد ذلك.

- على كل حال سأذهب أنا وأمّه إلى المحكمة، وإلى الإمارة، لن

نسكت.

- إن كنت لا تعرف طريق الإمارة وصفته لك، والمحكمة بجانب

الإمارة.

- إذن سترى.

\*

\*

\*

تفاجأ عبدالرحمن وأمّه بطريق على بابهم بعد صلاة العشاء مباشرة،

فتح عبدالرحمن الباب، فتفاجأ بأبيه عند الباب:

- أين أمك؟

نادى عبدالرحمن أمه، وداخله شعور غريب، مرّة يقول له: جاء أبوك ليتفاهم مع أمك لتسجيلك في المدرسة، ومرّة يقول له: جاء ليخبر أمي بمنعي من الدراسة.

-نعم، يا أبا سالم، خيرًا إن شاء الله.

-كلّ الخير.

-اللهم آمين.

- اسمعي يا أم عبدالرحمن، عبدالرحمن ماهر جدًّا في التجارة والبيع والشراء، ومستقبله في السوق لا في المدرسة.

-مستقبل ولدي في الدراسة، وبعدها يدرس -إن شاء الله- يعمل في المكان الذي يريد؟

-أنتِ لا تعرفين مصلحة عبدالرحمن، ولا تعرفين الخير الذي في التجارة.

-أنتِ تريد أن يعمل عبدالرحمن عندك في الدكان، ولا تريد أن يكون تاجرًا، وإلا فلماذا تعطيه (٦٠) ريالًا في الشهر، وأقلّ العمال يأخذ أضعاف ذلك.

-لأنه ليس عاملاً، بل هو صاحب ملك، يعمل في ملك أبيه، وما يكسبه الدكان سيكون فيها بعد من إرثه وإرث إخوته.

-الله لا يُؤجِه إليك ولا إلى إرثك، المهم الآن أن يدرس عبدالرحمن قبل أن يفوته الوقت.

-أنت لا تفهمين، ليس هناك دراسة ولا مدرسة، وإن أصررت فسوف آخذ عبدالرحمن عندي، يعمل في الدكان، ويسكن مع إخوته.

-ليس هذا من حَقِّك.

-طيب، نرى ما سيكون.

\* \* \*

بقي عبدالرحمن مذهولاً، وبقيت أمه جامدة صامتة حيناً مرّاً على عبدالرحمن كأنه دهر.

-عبدالرحمن.

-سمي.

-لن تذهب غداً إلى الدكان.

-وهل هذا ممكن؟

-نعم، ممكن.

-وماذا أعمل، وملف المدرسة مع أبي.

-سأذهب مع خالك أحمد إلى المحكمة، ونشتكي أباك.

-لا تفعل يا أمي، هذا سيضرنا جميعاً.

- اذهب في فراشك الآن.

دارت الأرض برأس عبدالرحمن الصغير، وأحاطت به المخاوف على أمّه، وتذكّر معاملة أم سالم وأولاده له في بيتهم، وخاف عبدالرحمن كثيرًا من أن يأخذه أبوه، فيحرّمه من أمّه.

لمعت عين عبدالرحمن بعد تفكير طويل، وطوى نفسه على أمر سيعمله في الغد، وغرق في نوم متقطع غير هانئ.

\* \* \*

بعد صلاة الفجر مرّ عبدالرحمن بأمّه، وقبل رأسها:

- سأذهب إلى الدكان.

- لا يمكن ذلك، سيأخذك أبوك، ولن تعود إليّ.

- لن يكون ذلك.

- بل سيكون.

- هل خذلتك من قبل يا أمي، كي أخذك هذه المرّة؟

- أنت روحي وسعادتي يا ولدي، ولكن هذا الأمر كبير وصعب.

- أنا رجل البيت، وسوف أحلّ الأمر رجلًا لرجل.

لم تتمالك أم عبدالرحمن نفسها، وكادت تبكي، بل غلبتها دمة ساخنة من عينيها، وهي ترى أن الزمن والحوادث قد كَبُرَت عبدالرحمن قبل أوانه، وحرّمته من روح الفتيان ومرح الصبيان.

وقبل أن تتمكّن من استعادة القدرة على الكلام كان عبدالرحمن قد جدّ في المشي إلى الدكان، وخلفه دعوات أمّه الصادقة.

\* \* \*

جلس عبدالرحمن أمام الدكان بعد الانتهاء من التنظيف يرى الأعمى الحزن في وجهه، كان عابسًا كالحا كاسفًا منكسرًا.

ولم يشعر إلا بالعم عبيد قد جاء إليه ومعه كأس شاي قدّمه إليه، ثم سحب كرسيًا صغيرًا وجلس عليه بجانبه:

- عبدالرحمن.

- نعم، يا عم عبيد.

- أنت لست عبدالرحمن!

فتح عبدالرحمن فمه، ومخلّق بعينه، وذهب ذهنه كلّ مذهب، حتى ذهب به إلى أقصى الظنون السيئة وعاد به، وظنّ أنه ليس ولد أبي سالم.

- ما تعني بأني لست عبدالرحمن.

- عبدالرحمن الذي أعرفه حسن الظنّ بربه، بشوش الوجه، خفيف الروح، حسن التعامل، يحبّ الناس ويحبّونه.

-أهذا الذي تعنيه؟

-نعم، لقد كنت كثير الفرح، نشيط العمل، جميل الكلام، تفرح بالناس ويفرحون بك، فماذا أصابك؟ أرى سحب الحزن فوق وجهك، وجبال الهمّ على ظهرك، وتكاد كثرة التفكير تقتلك.

هنا التفت عبدالرحمن عن العم عبيد، وغلبته شهقة خرّجت من أقصى صدره، لكنّه كتمها، وعصى عينيه أن تدمعا:

-أبي منعني من الدراسة هذه السنة أيضًا يا عم عبيد، ويهدّد أُمّي أن يأخذني إذا أصرّوا على تركي العمل في الدكان.

-هداك الله يا أبا سالم، كنت قاسيًا فصرت أفسى! اسمع يا ولدي جيدًا ما سأقوله لك.

-تفضّل، يا عم.

-الإنسان لا يدري أين الخير، وعلينا أن نحسن الظنّ بالله، فلعلّ الله أراد بك خيرًا كثيرًا بمنعك من الدراسة.

-أيمكن أن يكون ترك الدراسة خيرًا لي.



-الدراسة وطلب العلم خير كله يا ولدي، ولكني أعني أنه قد يكون في تركك المدرسة خير لك، وخاصة أن خلفك أمًا طيبة تحرّسك بدعائها في الصباح والمساء.

-أحبُّ أُمي كثيرًا، ولا أريد أن تحزن من أجلي، ولا أن تتأذى أبدًا.  
-إذا أردت ألا تحزن أمك فاجعل كلّ شيء يصيبك ويقدره الله لك طريق خير، فانظر إلى الخير الذي فيه وحاول أن تحصل منه ما تستطيع، وانظر إلى الشر الذي فيه وحاول أن تجنبه ما استطعت.  
-لم أفهم، يا عم.

-أنت الآن ستعمل في دكان أبيك سنة أخرى، أو أكثر من سنة، فلا تجعل هذه السنة تمرّ دون فائدة لك، احرص على تعلّم كلّ شيء عن السوق، تعرّف على أسرارها، وعلى بضائعها، وعلى المصادر التي يشتري منهم أصحاب الدكاكين بالجملة.

-وما فائدة ذلك؟

-هذه الفائدة التي يمكن أن تخرج منها في هذه السوق، قد تحتاج إليها في يوم ما، قد تكون تاجرًا في السوق.

-عجيب، كيف ذلك وليس معي فلوس كثيرة!

- لا عجيب يا ولدي، التجارة مهارة، قد يضيّع صاحب الأموال  
الكثيرة أمواله بسبب جهله بالتجارة، وقد يصعد الفقير درجات الغنى  
بمهارته وعقله وحسن تعامله.

- ولكن التجار الآن مسيطرون على السوق.

- كلّ شيء قد يتغيّر مع الزمن، فالصغير يكبر، والكبير يهرم، والفقير  
قد يغتني، والغني قد يفتقر.  
- يعني.

- يعني: لا تكن مجرّد عامل في دكان أبيك، ولا تبقَ مسجوناً فيه، بل  
تعرف على كلّ أعمال الدكان، واذهب إلى كلّ التجار الذين يتعامل الدكان  
معهم، واعرف أنواع البضائع والجيد منها والردّيء، واحرص على السؤال  
عن البضائع الجديدة، ومزايا كلّ نوع.

\* \* \*

تفاجأ أبو سالم كثيراً لما رأى عبدالرحمن كعادته في الدكان، وما إن سلّم  
وجلس على كرسيه أمام درج الحساب حتى بادره عبدالرحمن:

- اسمع، يا أبي.

- ماذا هناك؟

- أنتَ لن تسمح لي بالدراسة من أجل أن أعمل في الدكان، و...

-بل من أجل مصلحتك.

-لن نطيل الكلام في ذلك، المهمّ سألقي في الدكان لكن بشرطين.

-ما شاء الله! وتشترط أيضًا.

-نعم، أشرط.

-وما شروط أيها المشترط؟

-الأول: لا علاقة لك بأمي، وإن كلمتها بعد ذلك أو أحزنتها

ستجدني أمامك.

-أنا أصلًا لا أريد الكلام معها، لولا أنّكم أحوجتموني إلى ذلك.

-والثاني أن تجعل راتبي كراتب غيري من العمال.

-يعني.

-يعني (١٥٠) ريالًا.

-مَعْصِي، أنت لا تستطيع أن تحمل الأكياس الكبيرة، ولا تذهب

وحدك إلى دكان أبي عائشة.

-سأذهب إلى كلّ مكان بعد ذلك، ووحدتي، وسأحمل ما أستطيع،

وسأقوم بكلّ أعمال الدكان إن شئت.

-ما شاء الله! سأزيد راتبك (١٠) ريالًا فقط، يعني سيكون (٧٠)

ريالًا، خير وبركة.

-قليل.

-كيف تعامل أباك هكذا، أنتَ تعمل في دكان أبيك، لا في دكان

غريب.

-كان الواجب أن يكون راتبى أكثر من العامل المعتاد في دكان أبى، لا

أقل.

-خلاص، جاء زيون، سأفكر في هذا الموضوع، قم وانظر ماذا يريد.

\* \* \*

-حياك الله يا عم، المحلُّ تحت أمرك.

-أريد بزارًا مطحونًا.

-أبشر، عندنا بزار طازج ومن أجود الأنواع.

أخذ عبدالرحمن بنصحية العم عبيد، وعادت حيويته، وصار كالنحلة

في الدكان، وكالعسل مع الزبائن.

-أريد قَمَحًا للقرْصان.

-الله أكبر، جاءنا قَمَح بَغْل، سقاه المطر العَذْب، وطَهَّرته الشمس

الصافية، حتى صار ينادي على نفسه.

-ما أحلى كلامك، أيها الولد!

-كم كيلو تريد؟

-زَن لي خمسة كيلوات. هل عندكم زبيب؟

-أعقل أن دكان أبي سالم يخلو من الزبيب؟ هل تريد زيتون فلسطين

أم عيون الشقراء؟

-أريد زبيبًا.

-أدري، هل تريد زبيبًا أسود أم أصفر؟

-أها، فهمت الآن، أريد نصف كيلو من زيتون فلسطين، ونصف

كيلو من عيون الشقراء.

....

-اليوم نحن سعداء؛ لأن الدكان تشرف بكم، يا عم.

-لسانك يقطر عسلًا يا ولد! كم الحساب؟

-سهل الله حسابنا، الحساب (٤٣) ثلاثة وأربعون ريالًا.

قال الزبون، وهو يمدُّ المبلغ:

-يا أبا سالم، جعلني ولدك أشترى أكثر مما أريد.

-بالهناء والعافية.

عاد عبدالرحمن إلى عمله، وأبو سالم ينظر إليه وهو يقول:

-كيف أفرط بك للدراسة يا ولد! تجارتي أولى بك.

\*

\*

\*

- يا أبي، الدكان تنقصه بضائع كثيرة.
- ماذا أفعل؟ رفض التجار تسليمي.
- لأنك لم تدفع المبالغ المتأخرة عليك.
- ليس عندي الآن فلوس، من أين أسددهم؟
- كيف ليس عندك فلوس؟ كنا نسدد المبالغ التي علينا من قبل ودخل الدكان أقل من الآن، الدكان دخله جيد الآن.
- يقطع حوارهما دخول فرج:
- أهلاً وسهلاً يا عم، زارتنا البركة.
- الله يعافيك، عندي طلبات، وأريد أن تستعجل؛ لأنني مستعجل جداً، وأريد أن أمر بسوق الأواني أيضاً.
- نخدمك بعيوننا يا عم، سوق الأواني قريبة، ما رأيك لو كتبت طلباتكم، وتذهب إلى سوق الأواني فلا تعود إلا والطلبات جاهزة.
- جيد، اكتب إذاً.....
- وما إن يذهب العم فرج حتى يلتفت أبو سالم لعبدالرحمن:
- متى كنا نخدم الناس وهم يذهبون إلى أعمالهم.
- عجيب، ألم تسمع طلباته.
- بلى، سمعت.

- هل أدركت أن نصف طلباته على الأقل ليست في الدكان، والعم  
فرج من أهمّ زبائن الدكان.
- وماذا سنفعل؟
- سأخضّر الطلبات التي عندنا، وأشتري الطلبات التي ليست عندنا  
من العم عبيد بالدين، ثم نسدد إذا عاد العم فرج.
- أحسنت، كي لا نخسر العم فرجًا.
- ولكنّ هذا حلّ مؤقت، لا بُدّ من إكمال نواقص الدكان، آه لو أعرف  
أين ذهبت فلوس الدكان؟

\*

\*

\*

- أبي.

- نعم.

- متى يجتمع التجار مع كبير العطارين أبي سعد.

- غالبًا بعد صلاة العصر مباشرة.

- لماذا تسأل؟

- أحبُّ أن أعرف السوق ورجال السوق.

- إيه. هذا جيّد.

- طيّب وأبو عائشة، متى يجتمع معه التجار؟

- لا أعرف، فعلاقتي معه ليست قوية، ودكانه بعيد عن هنا، ولكني

أظنُّ أنهم يجتمعون بعد صلاة العصر أو في الضُّحَا؟

أذنَّ العصر في مسجد السوق، وذهب عبدالرحمن وأبوه إلى المسجد:

- أسرع يا عبدالرحمن، فقد أقيمت الصلاة.

- أبي، سوف أتاخر قليلاً بعد صلاة العصر.

- طيب، لكن لا تتأخر.

وبعد الصلاة جمع عبدالرحمن أمره، وجَهَّز في نفسه كلاماً، وأخذ نفساً

عميقاً عدَّة مرات، ثم ذهب إلى دكان كبير العطارين أبي سعد، وانتظر

أمامه، حتى اجتمع عدد من التجار مع أبي سعد، فاستأذن عبدالرحمن منهم

بأدب:

- تفضَّل يا ولدي، ماذا تريد؟

- يا أبا سعد، أنت كبير العطارين، وظلُّ التجار، وحامي السوق، ما

رأى منك التجار إلَّا كلَّ خير، وسمعتك طيبة، وثوبك نظيف، وقد وصل

كرمك للبعيد، فلماذا تحجزه عن القريب الذي تعرفه منذ سنوات؟

- أبو فهد: تأدَّب يا ولد، كيف تكلمَّ أبا سعد هكذا؟

- دعه يا أبا فهد، ما تقصِّد يا عبدالرحمن؟



- دكان أبي منذ أيام تنقُصه بضائع كثيرة، حتى رغب عنه الزبائن، وإن استمرَّ الأمر على ذلك سيخسرَ أبي، ويُغلق الدكان.

- إذن أنت تقصدُ أباك؟

- نعم، لماذا لا تعطيه بالآجل، وتصبر عليه؟

- لأنَّ المبلغ المتأخَّر عليه كبير، وقد أخبرته مرارًا، ولكنه ماذا فعل؟

بَدَل أن يسدِّد دينه ذهب ليشتري بيتًا جديدًا كبيرًا مع أنَّ بيته السابق كان جيّدًا.

- ماذا؟ أبي اشترى بيتًا جديدًا.

- نعم.

غاص عبدالرحمن في داخله: كيف يشتري أبي بيتًا جديدًا وقد رفض أن يزيد راتبه إلا (١٠) ريالًا بحُجّة ضعف الإيرادات.

كادت دَمْعَةٌ تَقْرُ من عيني عبدالرحمن، ولم يفتنْ لِسِرِّ سكوته إلا العم عبيد الذي هزَّ رأسه وأغمَض عينيه، ودعا الله أن يلطّف بهذا الصبيّ.

- ياعمّي يا أبا سعد، أليس من حقِّ أهله أن يستمتعوا كغيرهم.

- يستمتعون بياهم، لا بياي.

- والله لقد عجبتُ من قسوتك، وكنتُ أراك أبا لتجار السوق.

- أبو فهد: عيب عليك يا ولد، تكلمْ كبير العطارين بهذا الكلام.

-آسف يا أبا سعد، لكني أرجوك أن تساعد أبي، ولو كنتُ أستطيع أن أكفل أبي لفعلتُ، ولكنَّ حقَّك لن يضيع، لأنَّ آخرَ الكَيِّ أن يبيعَ أبي الدكان ويُعيدَ إليك حقَّك.

تحسَّس أبو سعد لحيته، ثم التفتَ يمينًا فلم يُشِرْ إليه أحد بشيء، والتفتَ يسارًا فأشار العم عبيد إليه برأسه أن افعل.

قبَضَ أبو سعد على لحيته، وقال:

-أفعلُ، وأنا أبو سعد. يا مبارك.

-سَم، سَمَّ الله عدوك.

-اعطِ دكان أبي سالم بالأجل ما يحتاج إليه، لكن لا تعطه مرة أخرى حتى يسدَّ بعض ما عليه.

-أبشُر، يا عم.

فَرِحَ عبدالرحمن، وأهوى إلى يد أبي سعد، فقبَّلها، وهو يقول:

-بيَّضَ الله وجهك يا عم. ما جئتُك إلا وأنا أعلم أنك لن تتوانى في مساعدة أبي.

-أخبر أباك أني لن أعطيه مرّة أخرى حتى يسدَّ على الأقلَّ ثلث ما عليه.

-إن شاء الله.

دَلَفَ عبدالرحمن إلى دكان أبيه، ونظرات التجار تَبَّعَهُ:

- هل سمعتم لهذا الصغير وهو يقول: ولو كنتُ أستطيع أن أكْفُلَ أبي  
لفعلتُ؟ مضحك جدًّا.

- أبو سعد: هذا العبارة أكثر عبارة أثرت فيَّ.

- كيف يا أبا سعد؟

- لقد كَبُرَ هذا الصبي في عيني، والحقيقة أنه أغلق عليَّ جميع الجهات،  
ولم يبقَ لي إلا جهة مساعدة أبيه، عمره صغير، وجسمه هزيل، لكن عقله  
راجع، ولسانه فصيح.

\* \* \*

عاد دكان أبي سالم إلى سابق عهده، متعة للناظر، ونزهة للزبائن.

- أبي، ألا تذهب إلى أبي سعد لشكره.

- حقًّا، هو يستحقُّ الشكر، ولكنني خَجَلٌ منه.

- لا يَخْجَلُ إلا المخطئ، هل أخطأت في حقِّه يا أبي؟

- يعني، كان ينبغي أن أسدّد دينه قبل أن يُلَحَّ في طلبه.

- وكيف تسدّده وليس عندك فلوس، إلا إن كنتَ قد صرَفْتَهَا في ما لا

يستحقُّ.

- كيف أصرفها في ما لا يستحقُّ.

- كان تشتري شيئًا ليست بحاجة إليه، وكان سداد الدين أهم وأولى.

- هل أخبرك أبو سعد بشيء؟

- نعم، هناك الله بالبيت الجديد، ولكن لو أنك تأخرت قليلًا، أو

أبقيت جزءًا من الفلوس لكان أحسن، على كل حال: بيع البيت القديم  
وسدد الديون.

- البيت القديم يبعته، وأنت بئس منه البيت الجديد.

- كيف ذلك؟ كل ثمنه ذهب في الأثاث الجديد.

- رفضت أم سالم أن نأخذ معنا شيئًا من الأثاث القديم.

- كيف يُعقل أن تفعل هذا، يا أبي؟

- لقد أتعبتني جدًّا بكثرة الإلحاح حتى طيرت نومي وراحتي.

- الله المستعان!

- المشكلة الآن أنها مُصرّة على استكمال الأثاث، فهي تظن أن دخل

الدكان كبير جدًّا، بعد أن رأت أن دخله قد تحسن كثيرًا في السنوات  
الآخيرة.

- وهل أخبرتها أن الدكان شبه متوقّف بسبب نقص البضائع؟

- نعم، أخبرتها مرارًا.

-إذا قل لها: عبدالرحمن هو الذي جلب البضائع الناقصة، وهو المسؤول عن تسديد ثمنها، ولهذا هو يُمَسِّك حساب الدكان هذا الشهر.  
-هل أكذب عليها؟

نظر عبدالرحمن لأبيه، ولكنه لم يشأ تكدير الجو بتذكيره ببعض كذباته.  
-لا، لا تكذب عليها، لكن هذه هي الحقيقة، أنا الذي جلبت البضائع الناقصة، وصار تسديد ثمنها يَمَسُّ سمعتي في السوق.

\* \* \*

صَبَّ مبارك الشاي لأبي سالم، وهو يقول:  
-اشرب وتهنا، فقد جاءك ما تتمنى.  
-في الحقيقة يجب أن أشكرك كثيرًا يا أبا سعد، فقد ساعدتني وفككت أزمتي.

-الشكر كلّه لله، ولكن عليك أن تشكّر ولدك عبدالرحمن، فهو الذي أفنّني بذلك.

هنا تدخّل أبو فهد كعادته السيئة، وقال:  
-لكنّه قد أساء القول، وألقى بعض الكلمات غير اللائقة بمقام كبير العطارين.

- لا يا أبا فهد، لا تقل ذلك، فبالرحمن قد أحسن الكلام، وخاصة بالنسبة لصبي في عمره.

- أنا سَف إليك يا أبا سعد إن كان ولدي قد أساء الأدب معك.

- بالعكس، بل كان مؤدبًا ذكيًا، وقد أخبرني أبو عائشة بأنه قد أعجب بالرحمن كثيرًا، مع أنه بقي يحاوره ويحاصره أمام التجار حتى حمّله على مساعدتك حملًا.

- لا أدري من أين أخذ طول اللسان؟

- ليس هذا طول لسان، بل فصاحة لسان، وحسن بيان، فقد أحسن اختيار الكلمات، ونقّح العبارات، وتخَيَّرَ ألفاظًا عذبة مناسبة، فصار كلامه مقنعًا، أتيت الديباجة، محكم السبك، وقد فعل مثل ذلك معي، فلم أكن راغبًا في مساعدتك، فقد أغضبتني كثيرًا، ولكن بالرحمن أغلق أمامي كلَّ الطرق، ولم أفِلت منه إلا من طريق مساعدتك.

بعد أن شرب أبو سالم شايه، استأذن وانصرف، وهو يتمتم:

- أحسنت يا بن أمك، ما جعلتك تعمل في الدكان عبثًا.

\*

\*

\*

بعدما ارتفعت الضحى، وامتلات السوق بأهلها، دخلت أم سالم

وأبناؤها الثلاثة إلى دكان أبي سالم:

- أهلاً يا عبدالرحمن.

- أهلاً وسهلاً يا خالة. أهلاً وسهلاً بكم.

- أين أبو سالم؟

- سيأتي بعد صلاة الظهر إن شاء الله.

- ما شاء الله! حبيبي، كم دخل الدكان في اليوم؟

- دخل الدكان اليومي؟

- نعم.

- تضرّر الدكان كثيراً بعد أن بقي وقتاً ناقص البضاعة، ولكنه الآن بدأ

يستعيد بعض عافيته.

- يعني: كم دخله اليومي؟

- والله يا خالة: الذي يدخل لا يكاد يكفي تسديد الديون التي على

الدكان.

- ماذا؟ ما شاء الله، إذا درّسك أبو سالم جداً قبل أن آتي.

- مع الأسف يا خالة، لم يدرّسني، بل حرّمني من الدراسة منذ ثلاث

سنوات.

- أقصد أنه أخبرك أن تقول لي هذا الكلام إذا سألتك عن دخل

الدكان.

- لا، ما أخبرني بذلك؛ لأن هذه هي الحقيقة.

- طيب، أين الدخل من بداية هذا الشهر؟

- ولماذا تسألين عنه؟

- أريد أن أخذه معي.

- ماذا؟

- هو ما سمعت.

- آسف يا خالة، أولاً: أبي لم يخبرني أن أعطي دخل الدكان لأحد

غيره، كائنًا من كان. وثانيًا: أنا المسؤول عن حساب الدكان هذا الشهر.

- مامعنى أنك المسؤول عن الحساب؟ ولماذا هذا الشهر؟

- بسهولة؛ لأنني أنا الذي جلبت البضائع الناقصة، وأنا المسؤول عن

تسديد ثمنها. وأي نقص في دخل الدكان سيؤثر في تسديد الديون، وإذا لم

نسدد الديون لن نستطيع أخذ بضائع جديدة.

مدَّ سالم يده إلى درج الحساب ليأخذ ما فيه، فأغلق عبدالرحمن الدرج

بيده، ثم أغلقه بالفتاح، فدفع سالم عبدالرحمن بقوة إلى الخلف، فارتطم

عبدالرحمن بالجدار، فحال مروان بينهما، وهذا الوضع.

- لا أستطيع أن أعطي أحدًا شيئًا من دخل الدكان.

- سالم: نحن لسنا كأبي أحد.



-أبي هو الذي يستطيع أن يأخذ من دخل الدكان فقط.

قال سالم رافعاً صوته:

-كأن الدكان حلالك. أعطِ أُمِّي الدَّخْلَ وإلا كَسَرْتُ الدرج.

جاء العم عبيد بعدما سمع عامله صوت سالم، ولحَظ اللَّغَطَ الذي في

دكان أبي سالم:

-ماذا هناك، يا عبدالرحمن؟

-أبدًا يا عم عبيد، الخالة أم سالم تريد دخل الدكان.

-أهلاً وسهلاً، يا أم سالم.

-أهلاً وسهلاً.

-عافاكِ الله، لو طلبتِ ما تريدين من أبي سالم؛ لأن عبدالرحمن لا

يستطيع التصرُّف في الدكان دون إذن أبيه.

سارع سالم إلى الجواب:

-وأنت ما شأنك، يا شبيب؟

-عيب، هذا عبيد زميل أبيك.

-ساعحك الله، يا ولدي.

-على كلِّ حال، سأذهب الآن، ولكن ستفاهم في ما بعد.

ذهبت أم سالم وكأنَّ بركانًا صغيرًا فوق رأسها، وخلفها سالم يرمي  
الفاظًا بذئنة يمنة ويسرة.

\*

\*

\*

استطاع الدكان تسديد ثلث الدين، والحصول على ما يحتاج إليه من  
بضائع، وكان عبدالرحمن هو الذي يتولَّى تسديد الدَّين وتسليم المبالغ،  
وكان حريصًا على تسجيل تسديد الدَّين.

مرَّ شهر وشهران وثلاثة وأربعة وخمسة، استطاع الدكان فيها أن يسدَّ  
كلَّ ديوانه، ويقف على قدميه من جديد.

-أبي، لقد سألتُ العم أبا عائشة عن جديد الأرز، فأخبرني بأن نوعًا  
جديدًا قد وصل، حبَّته طويلة، ولونه أكثر بياضًا، وطعمه ألذَّ، ما رأيك لو  
طلبنا منه كيسًا أو كيسين؟

-لا حاجة لنا به.

-قد يعطي للدكان سمعة جيِّدة، بحرصه على الجديد الجيِّد.

-المهم أن نأتي بما يطلبه الزبون، فمتى ما طلبته الزبائن أتينا به.

-أبي.

-نعم.

-أنتَ لست تاجرًا!

-ماذا تقول؟

-كنتُ أمزح فقط.

\* \* \*

اعتاد إخوة عبدالرحمن المجيء إلى الدكان في إجازة نهاية الأسبوع، وغالبًا يأتون بعد صلاة العصر إلى المغرب، وأحيانًا يأتون من منتصف الظهر.

كان عبدالرحمن يعاملهم بلطف، وكانوا حريصين على تعلُّم تجارة الدكان، والتعامل مع الزبائن.

وكانت مشكلتهم الكبيرة في نوم الصباح الذي يؤخِّرهم عن الحضور إلى الدكان باكراً، وفي كثرة خروجهم من الدكان للتمشِّي في السوق. ولم يكن عبدالرحمن يبالي بذلك؛ لأنه يعلم أنهم لن يبقوا في الدكان، وسيعودون إلى بيوتهم ومدارسهم.

\* \* \*

انتهت السنة الثالثة لعبدالرحمن في الدكان، وجاءت الإجازة الصيفية، وفيها يكثر العمل.

لم يرغ عبدالرحمن في إحدى الصباحات الصيفية الباكِرة إلا حضور أبيه مع أخوته الثلاثة إلى الدكان.

رَحَّبَ عبدالرحمن بإخوته كالمعتاد، وظنَّ أنهم جاؤوا لإزجاء الوقت في الدكان، والتمسُّي في السوق.

-عبدالرحمن.

-سم.

-إخوتك سيعملون معنا في الدكان طول الإجازة.

-كلهم.

-نعم.

-أهلاً وسهلاً، ولكن الدكان يضيق بنا جميعاً.

قال سالم:

-إذا شئت أن تذهب فاذهب.

قال أبو سالم بصوت يحاول خفضه:

-لن يذهب أحد. هيا رتبوا الدكان.

أو يا أم سالم، ماذا أفعل معك، كيف سيبقى كل الأولاد في الدكان!

\*

\*

\*

دخل زبون إلى الدكان، فاستقبله سالم:

-نعم، ماذا تريد؟

فجاء صوت عبدالرحمن من آخر الدكان:

-يا مرحبًا، يا أهلاً وسهلاً، نورَت الدكان، يا عم.

-الله يحبيك.

-كيف أخذمك، يا عم؟

....

بعدما ذهب الزبون قال سالم:

-لماذا أخذتَ زبوني مني؟

أجاب أبو سالم:

-ليس هنا زبوني وزبونك، كلَّنا نعمل لمصلحة الدكان، ويجب أن

نعرف الطرق المناسبة للتعامل مع الزبائن، ما يصلح أن نقابلهم بكلام

مباشر، أو كلام جاف، لا بُدَّ من عبارات الترحيب والكلام الحسن

اللطيف.

-علَّمتنا، كما علَّمتَ عبدالرحمن.

-عبدالرحمن هو الذي تعلَّم من المشاهدة والممارسة، تعلَّموا مثله.

وعندما أذن الظهر اجتمع الإخوة الثلاثة عند الأب:

-نحن جائعون.

-سنذهب الآن إلى البيت إن شاء الله.

-عبدالرحمن.

-نعم.

-انتبه للدكان، سأذهب، ثم أعود بعد صلاة العصر مباشرة.

-إن شاء الله.

\*

\*

\*

-أم سالم: كيف تقول لأولادي: كونوا مثل عبدالرحمن.

-اهدني، يا أم سالم.

-لقد كسرت خاطر الأولاد، وأخرجتهم أمام أخيهم.

-ما أخرجتهم، لقد سألوني أن أعلمهم العمل كما علّمته لعبدالرحمن،

فقلت: إن عبدالرحمن تعلّم بنفسه من المشاهدة، فتعلّموا مثله.

-مرة أخرى لا تشبّه أولادي بعبدالرحمن.

-طيب، إن شاء الله.

فقال سالم مُغَضَّبًا:

-لقد أخذ زبوني مني، وجعل يرفع صوته، حتى تركته له.

-مرّة أخرى يا ولدي، لا تترك له الزبون، خذه أنت.

-أبو سالم: يا أم سالم، يجب أولاً أن يتعلّموا كيفية التعامل مع الزبائن.

-أولادي أذكاء، سيتعلّمون بسرعة.

-الحمد لله، إذا تعلّموا حُثِيهِم على أخذ الزبائن، ليس الآن.

- سالم: لن نتعلّم إلا إذا واجهنا الزبائن، وتسلمنا الحساب بأنفسنا.

- أم سالم: هذا صحيح.

- أبو سالم: تسلم الحساب لا، أما الزبائن فيجب أن تعاملوهم كما

أخبرتكم من قبل.

- ومسك الحساب؟

- في ما بعد إن شاء الله.

- وعبدالرحمن لماذا يمस्क الحساب في الدكان؟

- عبدالرحمن له في الدكان ثلاث سنوات، ولا يمस्क الحساب إلا في

غيابي.

- ولكته مسك كل الحساب في الأشهر الماضية، حتى إنه رفض

إعطائي دخل الدكان.

- كان ذلك لما جلب البضائع الناقصة، واستمرّ بضعة أشهر حتى

سدّد ديون الدكان فقط.

هنا قطعت سمية الكلام، ونقلته إلى مجال آخر:

- لقد اشتقنا إلى أحنينا عبدالرحمن، لماذا لا تدعوه لزيارتنا، يا أبي؟

- مروان: واو، نراه في الدكان وفي البيت أيضًا.

- رقية: نحن لم نره منذ زمن طويل، أرجوك، يا أبي.

-خالد: أحبُّ أن أَلعب معه كما كُنَّا نلعب من قبل.

-أم سالم: عبدالرحمن صار كبيرًا الآن.

-سمية: نَعزِمه على الغداء يوم الجمعة.

-رقية: فكرة ممتازة.

\*

\*

\*

- عبدالرحمن.

-سم، يا أبي.

-إخوتك وأخواتك يريدون أن تتغدَّى عندهم يوم الجمعة القادمة.

-قصدك أخواتي فقط.

- عبدالرحمن، يجب ألا يكون بينك وبين إخوانك شيء.

-والله يا أبي ليس بيننا شيء، ولكن هم يعاملونني بقسوة.

-كلهم؟

-إلا خالدًا.

-خالد يحبُّك.

-لم تستطع المؤثرات الخارجية أن تؤثر فيه إلى الآن.

-ماذا تقصد؟

-لا شيء.



-المهم، نحن نتحرك بعد صلاة الجمعة مباشرة.

-إن شاء الله.

✱

كانت رقية تدور حول باب البيت، وتدخل إلى البيت، ثم تخرج إلى

الحوش، حتى طُرق الباب، فهُرِعت إلى فتحه:

-السلام عليكم، أختي العزيزة.

-وعليكم السلام، أخي العزيز. تفضل.

-اشتقنا إليك كثيرًا.

وهنا تُقبل سمية الصغيرة:

-أخي عبدالرحمن.

وضمّت أباها عبدالرحمن.

-الله! أختي الشقية الصغيرة.

-سأعُضُّ أذنك إن تأخّرت في زيارتنا مرة أخرى.

-لا، تكفيني العَصَّة السابقة.

-لكن يظهر أنك لم تتأدّب، فقد تأخّرت كثيرًا في زيارتنا.

رقية:

-تفضل، ادخل، كلنا مجتمعون في الصلاة.

صَمَّ عبدالرحمن أختيه إليه، وجعلهما جانبيه، ودخل الصلاة.

-السلام عليكم ورحمة الله.

-وعليكم السلام.

وهنا قام خالد، وأراد الذهاب إلى أخيه عبدالرحمن، ولكنه التفت إلى

أمه، ثم وقف مكانه:

-أهلاً وسهلاً، يا عبدالرحمن.

-أهلاً وسهلاً.

-أم سالم: جهّزوا الغداء بسرعة، يا بنات.

-أبو سالم: ما زال الوقت مبكراً!

-رقية: صحيح، الغداء جاهز، وسنضعه بعد قليل.

-سمية: ما عليك يا أخي، نحن نحبُّك كثيراً، ونحبُّ الجلوس معك.

نظرت أم سالم بطرف عيناها إلى بنتها الشقية سمية، وهي تعلم ما

تقصد.

-خالد: بعد الغداء ستلعب معي يا عبدالرحمن، أليس كذلك؟ أنا

جهّزتُ الألعاب.

-وأنا أيضاً أريد أن ألعب معك، لكن لا تغضب إذا غلبتك.

-خالد: لقد تمرّنت كثيراً على الألعاب، ولن تهزمني.

-سالم: ألم تكبر يا عبدالرحمن عن هذه الألعاب؟

-أم سالم: أنت الآن كبير، وتجلس مع أهلك في الدكان.

-الأخ لا يكبر عن اللعب مع أخيه، خاصة إذا رغب أخوه في اللعب

معه.

كانت رجاحة عقل عبدالرحمن أكبر ما يغيظ سالمًا وأم سالم، أما مروان

فكان ضعيف الشخصية، تابعًا لهما في ذلك.

-سالم: ولكن هذه ألعاب صغار.

-ولماذا لا يُسعد الأخ أخاه ما دام يستطيع ذلك.

ثم التفت عبدالرحمن إلى أخيه الصغير خالد، وقال:

-خاصة أني أحبُّ اللعب مع هذا العفريت.

-مروان: يظهر أنك تحبُّ اللعب بألعاب خالد؛ لأنه ليس لديك

ألعاب.

تكهرب البيت حينئذٍ، ولكن عبدالرحمن كان هادئًا، فقد وطَّن نفسه

قبل المجيء على رباطة الجأش، وكنم الغضب.

-وهل يقصّر أبي عليّ بشيء؟ عندي مثل ما عندك.

زمت أم سالم شفيتها، وألقت نظرة غاضبة مكتومة إلى أبي سالم، الذي

تلفت وهو لا يدري ماذا يفعل أو يقول.

-رقية: هاه، ما أخبرك يا عبد الرحمن، وأخبار خالتي أم عبد الرحمن؟

-الحمد لله، نَعَمْ الله لا تُعَدُّ ولا تحصى.

-عساك مرتاح في العمل.

-الحمد لله، العمل يأخذ كلّ وقتي، فالدكان بحاجة إلى كثير من

العمل.

أم سالم:

-ولذلك سيعمل إخوانك معكم في الدكان أيضًا.

-سمية: جميع الإخوان، يعملون في الدكان، الله!

-أم سالم: ألم يزدحم الدكان بكم؟

-سالم: لقد ازدحم بنا جدًّا.

-أبو سالم: لا، لم يزدحم، الدكان يسع الجميع.

سمع عبد الرحمن ازدحام الدكان بهم أكثر من مرة، فلماذا يصِرُّ سالم

وأمه على ذلك، هل أتى أبي بباقي إخوتي دون موافقة أم سالم، هزَّ

عبد الرحمن رأسه، وعلم أنَّ مسألة ترك إخوته للدكان مجرَّد وقت، ولكنه لم

يجزَع لذلك؛ لأنه تعود العمل وحده.

-سمية: هل تعلم إخوتي العمل في الدكان، يا عبد الرحمن.

غضب سالم من سؤال أخته، وقبل أن يتكلَّم بادر عبد الرحمن، فقال:

-أبي هو الذي يجيب عن مثل هذا السؤال، يا شقية!

-سالم: طبعًا، العمل في الدكان سهل، تُعامل الزبائن بلطف، وتبالغ في الثناء، وتُغريهم بالشراء، ثم تأخذ أموالهم.

ضحك مروان من قلبه، ولكن رقية لم تفهم ما قاله سالم:

-ما معنى أن تأخذ أموالهم؟ أليسوا يشترون بها من الدكان؟

-سالم: نعم، ولكن نحن نجعلهم يشترون أكثر مما يريدون، ونزّين لهم ما لا يريدون، وإذا غفل الزبون عن الوزن فله الله!

-عبدالرحمن: نحن لا نفعل ذلك في الدكان، بل نجعل الزبون يشتري وهو مرتاح، ونبيّن له مزايا ما لا يعرف من البضائع، فبعض الزبائن يطلب أشياء غيرها أحسن منها لأنه لا يعرفها ولا يعرف الفرق بينها، فإذا نصّحت للزبون، وأخبرته بطريقة لطيفة بمزايا البضائع، وساعدته على أن يشتري أفضل ما يحتاج إليه، أحبّ الزبون العودة إلى الدكان، ووثق بصاحبه.

ثم التفت إلى سالم، وقال:

-أما الميزان فلا يتغيّر أبدًا، غفلّ الزبون عنه أو انتبه!

-أم سالم: هيّا، ضعّن الغداء، يا بنات.



جاء أبو سالم وأولاده مبكرين جدًا على غير العادة، فوجدوا الدكان مفتوحًا ونظيفًا ومرتبًا كالعادة.

تعجب عبدالرحمن كثيرًا لما رأى سالمًا يجلس على كرسي المحاسبة، ويجلس أبو سالم بجانبه.

-مروان: ما شاء الله! المحاسبة تليق بك كثيرًا يا سالم.

-سالم: طبعًا.

أدرك عبدالرحمن أن سالمًا هو الذي سيتولَّى المحاسبة، فلم يقل شيئًا، وسأل الله ألا تحدث مشاكل في المحاسبة حتى تنتهي هذه الإجازة.

-مروان: ما رأيك يا عبدالرحمن؟

-في ماذا؟

-سالم سيكون المحاسب في الدكان من الآن فصاعدًا.

-جيد، لا بُدَّ أن نتعوَّد جميعًا أعمال الدكان كلها.

-لا، أنت لن تكون محاسبًا أبدًا، الأموال من عملنا نحن فقط.

-أبو سالم: دع هذا الكلام يا مروان، كلِّكم تتعلَّمون على المحاسبة إن

شاء الله.

-خالد: لقد مسك عبدالرحمن المحاسبة كثيرًا، وقد رأيتَه يحاسب

الناس عندما جنْتُ مع أمي إلى الدكان.

- سالم: الذي فات مات، ولن يعود، ولن يضيع مال الدكان بعد ذلك.

- ماذا تقصد بكلامك هذا، يا سالم؟

- أبو سالم: خلاص، اسكتوا، ما هذا الكلام؟ حساب الدكان والحمد لله مضبوط، قديماً والآن، ولا أريد كلاماً في هذا الموضوع.

- سالم: ولكننا عندما جئنا مع أمي إلى الدكان ....

- أبو سالم: قلتُ: خلاص، لا أريد كلاماً، اهتمُّوا بالدكان، واستعدُّوا للزبائن.

عَلِمَ عبدالرحمن أنَّ وراء الأكمة ما وراءها، وأنَّ ما يراه ويسمعه الآن من آثار جدالات سابقة بين الأولاد وأبيهم، وقد يكون لأم سالم علاقة بالأمر، ولكنه عزَّى نفسه بأن الأمر سيتهي في نهاية الإجازة.

\*

\*

\*

- تفضَّل يا عم فرج، الحساب عند الأخ سالم.

- أهلاً يا سالم، كم الحساب؟

بعد أن جمع سالم الأغراض، وحسبها، قال بصوت واثق:

- الحساب (٤٨) ريالاً.

حكَّ العم فرج عارضه، وقال:

-لعلك تراجع الحساب يا ولدي.

جاء أبو سالم، وساعد في جمع ثمن الأغراض، ثم قال:

-آسف، المبلغ (٤٣) ريالاً، يا عم فرج.

-نعم، هذا الذي في بالي.

-تفضّل، يا أبا سالم.

لم يكن هذا هو الخطأ الأول لسالم في الحساب، فقد أخطأ أكثر من مرة، فأحياناً يزيد، وأحياناً ينقص، فقال عبدالرحمن لأبيه:

-ما رأيك لو قام أحدنا بحساب المبلغ، وقام سالم بمحاسبة المشتري؟  
فقد يكون من الصعب أن يجمع ويحاسب في آن واحد، خاصّة إذا كثُر  
الزبائن.

-سالم: أستطيع فعل كلّ ذلك وحدي.

-يا أخي، لا لَوَمَ عليك في ذلك، فالإنسان لا يمكن أن يُتَقَنَ مثل هذه  
الأعمال بسرعة، بل يحتاج إلى وقت وكثرة مِرَان، فنتساعد كلّنا على ذلك،  
حتى أنا إذا كنت المحاسب سأحتاج إلى من يساعدني في المحاسبة إذا كثُر  
الزبائن.

-أبو سالم: لا بأس، أنا سأكون قريباً من المحاسبة دائماً.



جلس سالم بعد أن كان واقفاً والغضب يتطاير من عينيه، وفي هذا الحين يدخل زبون آخر، فيستقبله عبدالرحمن أحسن استقبال، وبعد أن يجمع أغراضه، يأتي بها إلى مكتب المحاسبة، ويبدأ بوضعها غَرَضًا غَرَضًا وهو يحسبها، حتى إذا انتهت الأغراض انتهى معها الحساب:

-وهذا العرض الأخير، بريالين، فيكون المبلغ تسعة عشر ريالاً. ويُمَدُّ الزبون إلى سالم خمسين ريالاً، فيأخذها سالم وهو جالس على مَضَضٍ، ويضعها في الدرج.

-الزبون: أين الباقي يا ولدي؟

-سالم: إيه، طبعاً، تَفَضَّل.

\*

\*

\*

يتحسَّن عمل الإخوة مع الوقت كثيراً، ولكنهم لا يكفُّون عن مضايقة عبدالرحمن، وهو لا يعرف سبباً لذلك.

وكان سالم إذا ذهب جعل الحساب عند مروان، وكان أكثر ما يغيظ سالمًا أن يتأخروا في الصباح، فيجدون عبدالرحمن قد باع وحاسب الزبائن قد مجيئهم، فكان إذا جاء اشتدَّ في سؤال عبدالرحمن عن الذي باعه وكَمِّيَّته، وكان عبدالرحمن يتضايق من ذلك كثيراً، حتى قال مرّة:

-لن أفتح الدكان حتى تَصِلُوا، يا أبي.

- لا، هذا لا يمكن، هذا سيؤثر في سمعة الدكان.
- لكنّ راحة رأسي أهمّ من سمعة الدكان.
- سالم: هل تتلاعب أنت في الحساب، فتخاف أن أكشف ذلك.
- لا، بل أخاف أن أشغل نفسي في شيء لا يستحقّ ذلك.
- أبو سالم: خلاص خلاص، يا أولاد خلاص.
- إذا عاد لمحاسبتني بهذه الطريقة فلن أفتح الدكان قبل أن تصلوا.
- خلاص، أنا الذي سأخذ الحساب عندما نصِلُ في الصباح.
- أمرٌ آخر، لا بُدَّ من ترك فكّة؛ لكي أستطيع أن أحاسب الزبائن في الصباح، ولا يضيع وقتي في البحث عن فكّة.
- سالم: تريد أن تترك الدخل عندك من أجل زبون أو زبونين في الصباح؟
- لا، بل أريد أن تبقى في الدرج بعض الورقات النقدية الصغيرة، فتأخير الزبون في البحث عن فكّة يضايقه كثيرًا.
- أبو سالم: طيّب، سننظر في الأمر.
- سالم: سوف آتي كل يوم بعد صلاة الفجر مباشرة، وستكون مفاتيح المحلّ معي.
- الله يُقوِّيك.

-أبو سالم: هل ستعطي سالمًا مفاتيح الدكان، يا عبدالرحمن.

-سالم: لا داعي لذلك؛ لأنني سأغير القفل.

-ولماذا كل ذلك؟

-سالم: لأنني أنا المسؤول الأول عن الدكان.

-الله يعين.

وفي نهاية اليوم يضع سالم قفله الجديد على باب الدكان، ويغلقه وهو

ينظر لعبدالرحمن، ويقول:

-لقاؤنا غدًا بعد صلاة الفجر.

-إن شاء الله.

\*

\*

\*

يأتي عبدالرحمن كالمعتاد، ينظف أمام الدكان، ثم ينتظر سالمًا الذي قلما

جاء مبكرًا، فيفتح الدكان ويجلس على كرسي المحاسبة، ويكمل نومه، حتى

يأتي زبون، وينتهي من شرائه، ثم يستيقظ للحساب، وهكذا دواليك.

بقي الأمر على ذلك أيامًا حتى جاء يوم الخميس، فغادر أبو سالم بعد

صلاة العصر مباشرة ليقضي بعض الأعمال قبل عودته إلى البيت.

ويبقى عبدالرحمن وإخوانه في الدكان، وقبل أذان المغرب بنصف

ساعة:

-سالم: سوف نعود إلى البيت، وأنت أغلق الدكان، يا عبدالرحمن.

-إن شاء الله.

يغادر سالم ومروان بسرعة، ويحزّان خالداً معهما. ويُكْمِل عبدالرحمن

بعض الترتيبات، ويُدْخِل البضائع التي أمام الدكان.

ولما أراد إغلاق الدكان فُوجئ بالقفل مغلقاً بإحكام، حاول مراراً أن

يفتحه فلم يفلح، فوقع في حيرة، كيف يغلق الدكان والقفل مغلق، تَلَفَّت

يميناً ويساراً فرأى العم عبيداً يمشي في آخر الرُّقَاق متجهاً إلى المسجد، فقد

كان يَبْكَرُ إلى الصلاة قبيل الأذان.

نادى عبدالرحمن العم عبيداً بأعلى صوته، فلم يَكْذُ يَسْمَعُ النداء حتى

كَّرَّرَهُ عبدالرحمن أكثر من مرة، فلما التفت إلى الخلف رأى عبدالرحمن يشير

إليه أن تَوَقَّفَ، فجاءه عبدالرحمن ركضاً:

-يا عم عبيد، يا عم عبيد.

-ماذا هناك يا عبدالرحمن؟ خير، إن شاء الله.

-أردتُ أن أغلق الدكان فوجدتُ القفل مغلقاً، ومفتاحه مع أخي

سالم، وقد ذهبوا مبكرين.

-إنا لله، وإنا إليه راجعون.

-وماذا ستفعل، يا ولدي؟

-أرجو أن تبقى في الدكان حتى أذهب وأشتري قفلاً جديداً وآتي، لا أستطيع أن أترك الدكان دون قفل.

-اذهب، وأنا سأنتظرك في الدكان.

بقي العم عبيد في الدكان وهو يرُدُّ: إنا لله وإنا إليه راجعون، رجم الله ضعفك، يا عبد الرحمن.

وجاء عبد الرحمن وصدره يعلو وينزل من الركض والتعب:

-جزاك الله خيراً، يا عم عبيد، ها قد آتيت بالقفل، وآسف لأنني أخرتك عن المسجد.

-لا عليك يا ولدي، لا عليك.

أغلق عبد الرحمن الدكان بقفله، وعاد إلى بيته في أمان الله.

وفي الصباح يأتي أبو سالم وأولاده متأخرين قليلاً، فوجدوا عبد الرحمن قد فتح الدكان، ونظف المكان، ورتب البضائع:

-سالم: قد فتحت الدكان يا عبد الرحمن، والمفتاح معي؟

-وجدت القفل البارحة مغلقاً، فاشتريتُ قفلاً جديداً، والآن سأعيد القفل؛ لأنني اشتريتُ إعادته إذا لم يناسبني.

-مروان: ما هذه الحيلة السخيفة؟ تغلق القفل وتشتري قفلاً جديداً، وتفتح الدكان، ولعلك بعت بعض البضائع أيضاً.

-أي حيلة؟ انتبه لكلامك.

-سالم: مروان معه حق، ما هذه الحيلة المكشوفة؟ ولماذا لم تنتظرنا

حتى نأتي ثم تفتح الدكان.

-ولماذا أنتظركم ومفتاح القفل الجديد معي؟

-سالم: ولماذا أخذت مفتاح الدكان إذا؟

-ولماذا أخذته؟

-أبو سالم: الذي حدث غريب، من الذي أغلق القفل؟

-لا أدري.

-مروان: وهل كان القفل مغلقاً؟

-إنك تكذبني.

-سالم: ولكن كلامك لا يصدّق!

حزن عبدالرحمن كثيراً لما حدث، بل حزن حزناً لم يشعر بمثله من

قبل، وأشدّ حزنه أنه لم يجد أباه يدافع عنه أمام إخوته وهو الذي يعلم

أمانته وصدقه، حتى صار يسأل نفسه: هل الذي حدث كان مدبراً أم غير

مدبر؟

-أبو سالم: هيّا، كلّ يذهب إلى عمله، وأنت يا عبدالرحمن أعيد القفل

الذي اشتريته.

ذهب عبدالرحمن يَجُرُّ خطواته جَرًّا، ولم يشعر بنفسه وهو يتجاوز  
 دكان العم عبيد الذي كان يشاهد ويتابع كل ما حدث، فلما ابتعد  
 عبدالرحمن أرسل العم عبيد عامله إلى أبي سالم:

- يا عم أبا سالم.

- ماذا تريد أنت على الصباح.

- العم عبيد يطلب منك أن تشرب معه الشاي.

- ولكنني مشغول الآن.

- لكنه مُصِرٌّ، ويقول: إن الأمر مهم.

- الأمر مهم، طيب، دقائق وآتي إليه إن شاء الله.

يفكر أبو سالم في هذا الأمر المهم، هل سيبيع عبيد دكانه؟ أم سيطلب  
 سلفة مني؟ أم حدث في السوق أمر مهم لم أعلم عنه؟ ..... أوه ... سوف  
 أذهب وأعلم ما الأمر.

- السلام عليكم، يا عبيد.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، حيّاك الله يا أبا سالم.

- جعله الله خيرًا، ما الأمر المهم الذي أردتني من أجله.

- الآن نشرب الشاي، ثم أخبرك عنه بإذن الله.

- أرجو ألا تتأخر.

- طبعاً لن أتأخر.

صَبَّ منصور الشاي للعم عبيد، الذي يأخذه ويعطيه لأبي سالم.

- خيرٌ يا عبيد، ماذا هناك؟

- رأيتُ شيئاً بعيني، وقلتُ: لا بُدَّ أن أخبرك عنه، فهو يُهمُّك.

- وماذا رأيت؟

- أمس في آخر العصر رأيتُ سالماً يُلْقِي قفل الدكان والدكان مفتوح،

وقد ظننتُ أنه يجرب القفل، ولكن...

- إيـه، ولكن ولكن يا عبيد. الله يَهْدِيه، أتعنني مع أخيه.

- أردتُ فقط أن أخبرك؟

- أعلم أن عبدالرحمن أمين وصادق، ولا يمكن أن يفعل مثل هذه

الأمر.

- الله يوفِّقه هو وإخوانه.

- آمين، وأشكرك على الشاي، أراك على خير.

\*

\*

\*

- أم سالم: يا خائب، رآك بعض من في السوق، وأخبروا أباك أنك أنت

الذي أغلقت القفل.

- سالم: من المؤكَّد أن العم عبيد هو الذي فعل ذلك.



- لا أدري من هو، ولا يهم من هو، المهم ألا تفعلوا شيئاً حتى نهاية الشهر، فقد أقنعتُ أباكم بأن تبَقُوا وحدكم في الدكان بقية الإجازة.  
- كيف؟ وأين عبدالرحمن؟  
- لقد بقي وحده في الدكان كثيراً، والآن حقكم أن تبَقُوا وحدكم في الدكان.

- أخشى ألا نستطيع القيام بأمور الدكان وحدنا؟  
- يا خائب، ألم تتعلموا إلى الآن؟ لقد نبّهتكم كثيراً، يجب أن تتعلموا كل ما يتعلّق بالدكان والتجارة والبيع والشراء.  
- أوه، هي كثيرة جدّاً، وصعبة جدّاً، ولا تنتهي!  
- على كلّ حال ستتعلمون، وعندما تكونون وحدكم ستتعلمون أسرع.

- طيّب، اجعليه يفتح الدكان في الصباح وينظّفه فقط.  
- لا، ستقومون أنتم بكلّ شيء، كلّها شهران فقط، نعرف من خلاهما كم دخل الدكان، فلا يستطيع أحد أن يتلاعب بعد ذلك بنا.

\* \* \*

في اليوم الذي يكمل شهرًا من بداية الإجازة يأتي أبو سالم وأولاده مبكرين جدّاً، وعبدالرحمن ما زال ينظّف الدكان:

- ما شاء الله! يظهر أن أبي قد شَدَّ عليهم اليوم كثيرًا!

يمضي اليوم كغيره من الأيام، حتى تقترب الشمس من المغيب،  
فتنبض نفس عبدالرحمن على غير العادة، ولا يعرف سببًا لذلك، فمظهر  
الأصيل في آخر العصر كان من المناظر التي تدخل الراحة في نفسه، ولكنه  
في هذا اليوم شعر بشعور المطعون من الظهر، أو المخنوق من حبيب.  
نادى أبو سالم كلَّ واحد من أولاده، وأعطاه (٧٠) ريالًا راتبًا لهذا  
الشهر.

استغرب عبدالرحمن، لإخوانه لم يتقنوا العمل بعد، وكثيرًا ما يتأخرون  
في الصباح، ولكنه سكت، وقال: تنتهي الإجازة ويعود كل شيء لوضعه.  
وقيل أذان المغرب، نادى أبو سالم أولاده:

- هيا يا أولاد، اذهبوا إلى السيارة، وسأتي بعدكم.

خرج عبدالرحمن وإخوانه إلى خارج الدكان، ثم توقف عبدالرحمن  
واستمرَّ إخوانه في طريقهم إلى السيارة، فغمَزَ سالم لمروان وهزَّ رأسه إليه أن  
ارجع إلى عبدالرحمن، عاد مروان إلى عبدالرحمن، واقترب من أذنه، وقال له  
بصوت خافت:

- راتبنا مائة ريال، ولكن أبي أعطانا أمامك سبعين ريالًا، يا مسكين،

مع السلامة.

قلَّبَ عبدالرحمن نظراته خلف إخواته مستغربًا، مستغربًا من فعل أبيه هذا، ومستغربًا من إخبار أخيه له بذلك، فهو لا يعرف سبب كل ذلك، فهو لم يتعامل معهم قطُّ بسوء، ومشاكله مع أبيه انتهت بعدما ترك الدراسة وعمل في الدكان.

قام أبو سالم من كرسیه ثم جلس، ثم نظر يمنة ويسرة، وحرك رأسه حركة المغلوب على أمره، المرغم على فعل شيء لا يريده:

-عبدالرحمن.

-سم.

-تعال.

-نعم، يا أبي.

-أنت ترى أن الدكان مزدحم بك ويأخونك.

-إن أرادوا ألا يأتوا فعلى راحتهم.

-هم يريدون أن يعملوا وحدهم في الدكان.

-ما معنى ذلك؟

-إذا بقوا وحدهم سيضطرون إلى التعلُّم، وسيقومون بكل الأعمال.

-هل تريد مني أن أمسك الحساب وهم يعملون؟

-لا، أنا أمسك الحساب.

-وأنا ماذا أفعل؟

-أنت يا ولدي عملتَ كثيرًا في الدكان، فلعلّك تستريح بقية الإجازة.

أدرك عبدالرحمن الآن أن أباه يريد منه أن يترك الدكان، فجالت في رأسه مئات الأسئلة التي لا جواب لها، حتى إنه لا يدري ما يسأل منها وماذا يترك:

-هل تريد مني أن أترك الدكان الآن وقد تركت الدراسة من أجله؟

=هل تريد مني أن أعمل في الدراسة وإخواني يدرسون، وأنام في

الإجازة وإخواني يعملون؟

أحسَّ عبدالرحمن أن نفسه تترتاح وهو يقذف من داخلها هذه

الأسئلة، فواصل في قذفها:

=هل أترك الدكان وأنا أعرف كلّ أسرارهِ، ويعمل فيه إخواني الذين

لا يعرفون منها إلا القليل؟

=هل أترك الدكان وأنا الذي أفتحه في الصباح، وهم نائمون ولا

يأتون إلا متأخرين؟

=هل أترك الدكان وأنا الذي أنظِّفه وأرتِّبه، قبل أن يشرفوا بالمجيء؟

=هل أترك الدكان وراتبي (٧٠) ريالًا، وهم ثلاثة كلّ واحد راتبه

(١٠٠) ريال؟

-ماذا الذي تقوله يا عبدالرحمن؟ اهدأ يا ولدي، واسمع مني.

-بل اسمع أنت، يا أبي ...

-سكت قليلاً، وهو يغالب نفسه، ثم أكمل:

-متى تريد أن أترك الدكان؟

-غداً.

-غداً، غداً؟

-نعم، من الغد لا تأتي.

-طيب، إذا أردت مني أن أترك الدكان فسوف أتركه، ولكنني لن

أعود إليه بعد ذلك.

-لا، أريد أن تتركه شهرين فقط، وبعد الإجازة تعود.

-آسف يا أبي، أنت أخرجتني من المدرسة ولم أرجع إليها، وأنت

أخرجتني من دكانك ولن أرجع إليه.

كان عبدالرحمن يحس أن كل ذرة في جسمه تهتز وهو يكتنم دموعه التي

اعتاد أن يكتنمها أمام الناس، فإذا خلا بنفسه تحدّرت ووكفت كدجلة

وبردى.

أخرج عبدالرحمن قفل الدكان الذي صار يحفظه في مخبأته منذ تلك

الحادثة، ووضعه أمام أبيه:

- هذا قفل دكانك يا أبا سالم.

ثم استدار وذهب، كورقة بالية سقطت من شجرة تلعب بها الرياح  
 أينما تميل، حتى نداء العم عبيد لم يسمعه عبدالرحمن، كرّر العم عبيد نداءه  
 دون فائدة، فعلم أن الذي حدث هذه المرة مختلف جدًّا، وشديد الوقع على  
 هذا الصغير جدًّا، فلم يعرف ما يفعل سوى أن يدعو:  
 - اللهم الطّف به، يا خفيّ اللطائف.



النصل الثاني  
عبدالرحمن في دكانه





لا يدري عبدالرحمن كيف وصل إلى مسجد حارته، وكان الإمام في الركعة الأولى، فدخل معه في الصلاة، وترك نفسه تنهل من صفاء الصلاة، وراحة القرب من الله، لعلها تنسى الهم الجديد.

وبعد انتهاء الصلاة تربّع عبدالرحمن، ووضع مِرْقَيقِهِ على رُكْبَتَيْهِ، ورأسه على كَفَّيْهِ، ودخل في صَوْمَعَةِ الشُّرُودِ الذهني، وكانت لعبدالرحمن عادة قديمة، كلما اشتدَّ حزنه أو همّه أو تفكيره دخل هذه الصومعة لترتاح نفسه، وبقي في صومعته صامتًا ساكنًا، لا يتحرّك منه عضو ولا قلب ولا عقل، وغاص في بحور صومعته، ثم غاص، ثم غاص ....

-عبدالرحمن.

...

-عبدالرحمن يا ولدي. ألا تسمعي؟

كان هذا صوت مؤذّن المسجد أبي راشد، الذي بقي يؤذّن في المسجد منذ كان شابًا يافعًا إلى أن شابته لحيته وهريم.

-يا عبدالرحمن.

-نعم، نعم، من؟

-ما بالك يا ولدي!

-مرحبًا ياعم، آسف كانت شارد الذهن.

-بل كنت مُنفَصِلاً عن الدنيا! هيّا انهض واذهب إلى البيت.

-إن شاء الله.

-لقد قابلتُ أمك في الطريق، وكانت تبَحْث عنك.

-تبَحْث عني!

-نعم، لقد انتهينا من صلاة المغرب ، وخرج كل المصلين منذ زمن

طويل.

يا الله، لقد نسي عبدالرحمن نفسه، ولم يتبه إلى مُضي الوقت، لقد تأخر

كثيراً على أمه، على غير عادته.

خرج عبدالرحمن من المسجد مسرعاً، وذهب إلى بيته راکضاً، ووصل

إلى أمه محرَجاً:

-أين أنت يا ولدي؟ لقد قلقْتُ عليك كثيراً.

-لقد كنتُ متعباً، ونعست في المسجد.

-ماذا الذي حدث اليوم؟

-لا شيء.

-ولماذا أنت حزين ومتكدر؟

-أبدًا، يا أمي، أبدًا. لا شيء.

-يا عبدالرحمن، أنت لا تعرف تكذب على أمك.

-ولماذا أكذب عليك، ولكنني متعب جدًا اليوم، وأريد أن أتعشى، ثم أصلي العشاء، وأنام مباشرة.

لم يَذِرْ عبدالرحمن ماذا يفعل مع أمه أغلى الناس، فهو لا يريد أن يكذب عليها، ولا يريد أن يحزنها فهي مريضة، وليس عندها غيره.

عبدالرحمن يعلم أنه ما زال صغيرًا، ولكن أحلامه كانت كبيرة، كبيرة جدًا، وكان يحلم دائمًا أن تفخر أمه به، وأن تسعد بإنجازاته.

وضع عبدالرحمن خده على المِخْدَة، ثم جرّته سلسلة أفكار لا تنتهي:

-ماذا أستفيد من الحزن الذي ينهش داخلي الآن؟

-هل أعود إلى المدرسة بعد مضيّ ثلاث سنوات وقد صار أقراني في

السنة الأولى الثانوية؟

-هل أذهب إلى أبي مرة أخرى، وأدخل معه في جدال أعرف آخره؛

لأنّ القرار في هذا الأمر ليس بيده، بل بيد أم سالم؟

-هل أذهب إلى أم سالم؟ وماذا سأقول لها؟ وماذا سأستفيد من ذلك؟

....

بقيت سلسلة الأفكار تجرّ عبدالرحمن حتى طعن في خاصرة منتصف

الليل، حينها شعر بشيء من الراحة؛ لأنه وصل إلى قرار سيعمل به منذ

الغد.

\*

\*

\*

بعد صلاة الفجر نادى المؤذن أبو راشد عبدالرحمن:

- تعال يا ولدي، اجلس بجانبى.

- سم يا عم، أبشر.

استوى أبو راشد في جلسته:

- يا ولدي، هل تعرف من أسعد الناس؟

استغرب عبدالرحمن من هذا السؤال:

- ماذا، أسعد الناس؟

- نعم، من أسعدُ الناس؟

- أسعد الناس الذي عنده كلُّ ما يريد؟

- كثير من الأغنياء عندهم ما يريدون وليسوا سعداء!

- أسعد الناس، أسعد الناس ...

- أسعد الناس يا ولدي أرضاهم بقضاء الله.

سبحان الله! وقعت هذه الكلمات من نفس عبدالرحمن موقعًا عجيبًا،

ما أجل هذه العبارة! قصيرة ولكنها أقوى من قصيدة، وقليلة ولكنها أعمق

من كثيرة، كأنه كان عطشان فأروته، وتائها فدلّته.

- نعم، صدقت يا عم.

-أصلحك الله، ونفع بك، يا ولدي.

ثم انصرف أبو راشد إلى إكمال أذكاره، وعبدالرحمن يريد أن يُصَمِّه  
لولا خَجَلَه من بقايا المصلين في المسجد.

\* \* \*

انتهى عبدالرحمن من تنظيف ما أمام دكان أبيه كالعادة، ثم انطلق  
بسرعة لتنفيذ فكرته.

استغرب منصور من ذهاب عبدالرحمن، وعدم انتظاره لأبيه، وازداد  
استغرابه لما جاء أبو سالم وأولاده وفتحوا الدكان وعبدالرحمن لم يَعُدْ.

ولما رأى إخوان عبدالرحمن يُخْرِجون البضاعة أمام الدكان انقبض  
قلبه؛ لأن عبدالرحمن هو الذي يخرج البضاعة كل يوم، ولكنه كَذَّب قلبه،  
وقال:

-سيعود عبدالرحمن قريباً إن شاء الله.

صار الوقت ضحاً ولم يعد عبدالرحمن، فازداد قلق منصور، وأخبر  
العم عبيداً بذلك، فهزَّ العم عبيد رأسه، وقال:

-حدَّث أمر يا منصور، عسى الله أن يَسْتُر. اذهب واسأل أحد الأولاد

عنه.

كان مروان وخالد أمام الدكان، فسألها منصور:

-صباح الخير، يا شباب، أين عبدالرحمن؟

-مروان: طرده أبي.

-طرده.

-خالد: لا، لم يطرده، وإنما طلب منه أن يرتاح هذين الشهرين.

هنا جاء سالم، وشارك في الحوار:

-يعني أبي ما طرده تمامًا، ولكنه طرده هذين الشهرين.

-خالد: لا، ما طرده، بل جعله يرتاح.

-منصور: طيب، طيب، يعني لن يأتي هذين الشهرين.

-سالم: نعم.

أخبر منصور العم عبيدًا بالخبر، فقال:

-هداك الله يا أبا سالم، هداك الله!

أما سالم ومروان فقد غضبا من خالد:

-سالم: لماذا تخالف كلامنا أمام الناس.

-خالد: لا أحب أن تتكلما عن أخي عبدالرحمن هكذا.

-مروان: أنت صغير، ولا تفهم شيئًا.

-خالد: وما ضرركما لو قلتما: إن أبي جعله يرتاح، هل يفرح أحد لأنَّ

أخاه طُرد من العمل؟

- سالم: أوه، لا فائدة من نقاشك، ولكن لو خالفتني كَرَّةً أخرى أمام الناس فلا تَلُم إلا نفسك.

\* \* \*

اشترى عبدالرحمن ببعض راتبه عربية وحبلًا وسلسلة وقُفْلًا، فقد قرَّر أن يعمل حملاً في السوق، فلما وصل إلى السوق كانت الضحا قد ارتفعت قليلاً، فدخل السوق وهو يرى أن الجميع ينظرون إليه، ويتساءلون: لماذا عبدالرحمن هنا، وليس في دكان أبيه؟ ولعل بعضهم يقول: يا له من ولد عاق، ترك أباه!

توقَّف عبدالرحمن وسط السوق، حيث يلتقى الزُّقاق الشَّالي الذي فيه دكان أبيه والزُّقاق الجنوبي وشارع السوق الكبير، طال وقوفه وهو ينتظر زبوناً يحمل له، ولكنَّ الزبائن إما معهم من يحمل لهم أو لا يرغبون بذلك: -مرحباً بعبدالرحمن.

التفت عبدالرحمن فرأى أبا النور يرحب به، ويشير بيده إليه أن تعال.

ترك عبدالرحمن العربية حيث يراها، وجلس بجوار أبي النور.

كان أبو النور رجلاً عقيماً في أوائل الخمسين من عمره، وكان لطيفاً طريفاً، وكان يعمل في دكان يملكه الخال أحمد، وقد استأجره منه أبو ناصر.



كان دكان الخال أحمد صغيرًا جدًّا، ولكنه كان على الزاوية، يفتح على شارع السوق الكبير وعلى الزقاق الشمالي.

- ما تفعل هنا يا عبدالرحمن؟

- الذي ترى يا أبا النور، أنتظر زبونًا أحمل له.

- ولماذا لا تذهب إلى دكان أبيك؟

- هاه، دكان أبي يعمل فيه إخواني، وفيهم خير وكفاية.

- ولكنهم لا يعرفون السوق كما تعرفها أنت؟

- لا بأس، يتعلَّمون، يتعلَّمون إن شاء الله.

- أعانك الله، ولكن بقاؤك في هذا المكان غير مناسب لطلب الزبائن.

- لماذا؟

- يجب أن تقف في مدخل السوق من الطريق الرئيس؛ لأن الزبائن

يطلبون الحمالين من هناك.

- ولكن هناك أكثر من حمال، ولا أريد المشاكل معهم.

- لا مشاكل، كل يأخذ رزقه يا ولدي. وإن تعرَّض لك أحد فاذهب

إلى كبير العطارين.

غاص عبدالرحمن في داخل نفسه، فلو حدث له ما حدث فلن يذهب

إلى كبير العطارين وهو بهذه الحال.

-شكرًا، يا أبا النور.

صلى عبدالرحمن الظهر، وارتاح بعد الصلاة، ثم ذهب إلى موقف  
الحمالين، فوجد أن عددهم قليل، ففرح بذلك.

-هل أنت حَمَّال جديد؟

-نعم.

-أهلاً وسهلاً، لم أرك من قبل.

-صحيح.

-لماذا تأخرت؟

-عن ماذا؟

-يجب أن تأتي إلى هنا بعد الصلاة مباشرة، قبل أن تنفُض الزبائن  
بالحمالين.

-جزاك الله خيرًا.

يظهر أن على عبدالرحمن أن يتعلَّم الآن أشياء كثيرة قبل أن يعمل  
حَمَّالًا، ومع أنَّ جسمه كان نحيلًا إلا أنه اعتاد الأعمال الشاقة، بل اعتاد حمل  
الأكياس بعدما كان يصعُب عليه ذلك.

مضى الظهر ولم يظفر عبدالرحمن بزبون، وبعد صلاة العصر جاء  
مباشرة إلى موقف الحمالين ليجد الحمالين الأقوياء يصطادون الزبائن قبله،

وهو يدور من خلفهم ولا يستطيع النفاذ من بين أجسامهم القوية ليصل إلى أحد الزبائن.

وكان أول زبون له زبون اختلف مع الحمال على المبلغ، فرفض الحمال العمل له، فبادر عبدالرحمن بالموافقة.

كان الحمال يحمل بريال أو ريالين، ولكن عبدالرحمن حمل أول مرة بنصف ريال، وبقي يمشي خلف هذا الزبون ويحمل مشترياته حتى انتصف العصر، فلما وضع المشتريات في السيارة، وأخذ نصف ريال أحس بأنه وضع قدمه الأولى في طريق طويل جدًا، لا يدري ما نهايته، وما يلاقه فيه. انتهى أول يوم لعبدالرحمن في عمله الجديد بنصف ريال فقط.

\* \* \*

في صباح اليوم التالي نظف عبدالرحمن ما أمام دكان أبيه، ثم ذهب مسرعًا لموقف الحمالين، فلم يجد فيه إلا قليلًا جدًا من الحمالين:  
- ما شاء عليك! جئت اليوم مبكرًا جدًا، أكثر الحمالين يتأخرون قليلًا؛ لأن الزبائن الآن قليلون.

- أنا معتاد على التبكير؛ لأن في البكور بركة.

- صدقت، ولكن النوم غلاب.

اصطاد عبدالرحمن زبونًا بسهولة، وبريال كامل، ودار معه حيث يدور، وكان همُّه في الانتظار حتى يشتري الزبون ما يريد، ثم يحمله هو في العربة، وهكذا دواليك، حتى ينزل المشتريات في السيارة، ويأخذ الريال. عاد عبدالرحمن إلى موقف الحمالين فوجده هذه المرة مزدحمًا بالحمالين، الذين ما زال يسابقهم ويسابقونه حتى أذن الظهر ولم يظفر بغير ريال. لكنه ظفر بزبون آخر بعد صلاة العصر، وبريال كامل أيضًا، وكالعادة دار خلفه حتى امتلأت العربة عن آخرها:

-يا عم، امتلأت العربة تمامًا.

-إذَا لنذهب إلى السيارة.

انتظر عبدالرحمن الريال بعد تنزيل المشتريات في السيارة، ولكن الزبون عاد إلى إكمال التسوق، فرح عبدالرحمن لأنه سيحصل على ريال آخر من دون مزاحمة باقي الحمالين.

وبينما كان يمشي خلف الزبون:

-عبدالرحمن.

-من؟ منصور، أهلاً يا منصور.

-أهلاً وسهلاً. كيف أنت؟

-طيب، والحمد لله.

-العم عبيد يُريدك.

-الآن لا أستطيع، معي زبون.

-هل تعمل حمّالاً؟

-نعم، إذا انتهيتُ من هذا الزبون سأمرُّ على العم عبيد إن شاء الله.

امتلات العربّة مرة أخرى، وانتهى الزبون من التسوق، وأنزل

عبدالرحمن المشتريات من جديد في السيارة:

-حقي ريالان، يا عم.

-لا، اتفقنا على ريال واحد.

-لكنني لَقَفْتُ معك السوق مرتين، وحملت مشترياتك إلى سيارتك

مرتين.

-نحن اتفقنا على ريال واحد.

-لكن هذا معروف عند الحمالين، يا عم.

-نحن اتفقنا على ريال واحد فقط.

-طيب يا عم، الله يسامحك.

كاد عبدالرحمن ينسى موعد العم عبيد بسبب ضياع هذا الريال،

ولكنه ما إن وصل إلى موقف الحمالين حتى ذكره، فربط العربّة بالسلسلة

....

- السلام عليكم ورحمة الله.
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أهلاً وسهلاً يا ولدي.
- أهلاً وسهلاً يا عم عبيد.
- بشّرني عنك، عساك طيب.
- الحمد لله، بخير، أسعد الناس أرضاهم عن الله.
- الله يفتح عليك يا ولدي، ما شاء الله! اختصرت عليّ ما كنتُ أريد قوله لك.

صَبَّ منصور الشاي لعبد الرحمن:

- تفضّل يا دُحيم.
- شكراً يا منصور.
- قال العم عبيد:
- أخبرني، ما الذي حدث؟ ولماذا تركتَ الدكان؟
- منذ جئتُ إلى السوق وأنت يا عم عبيد أقرب الناس إليّ، وما قصّرتَ معي.
- هذا واجب يا ولدي، أنت مثل ابني.
- طلّبَ مني أبي أن أترك الدكان الشهرين القادمين، ولا أعرف أكثر من ذلك.

-وماذا ستعمل؟

-قد عملتُ.

-ما شاء الله عليك! صرتَ حمّالاً، أخبرني منصور.

-نعم.

-ولكن هذا مجهد لك ومتعب.

-الله يعين.

-ما رأيك أن تعمل عندي؟

-ماذا أعمل؟

-في دكاني مع منصور.

-منصور يكفي، يا عم.

-أنا بحاجة إلى آخر في الدكان.

أحسَّ عبدالرحمن أنه سينفجر، وأن دموعه التي اعتاد كتمها أمام

الناس ستغلبه هذه المرة.

تنحنح، وتلفّت، وتحرك، ولكنه لم يستطع التحكم في عينيه هذه المرة،

إلا أنه منع بكاءه، فامتلات عيناه بالدمع، وقبل أن يخرج الدمع من عينيه

نهض وهو يشعر أنه يرفع الدنيا على كتفيه:

-مع السلامة، يا عم.

وأسرع مبتعدًا قبل أن يرى أحدًا دموعه، أو يسمَع نسيجه. وهو يحدث

نفسه:

-كيف يكون الغريب أحنَّ عليَّ من أبي!

-وكيف يكون الغريب ألطف معي من إخواني!

-العم عبيد يريد أن أعمل في دكانه وهو غير محتاج إليَّ، وأبي يخرجني

من دكانه وأنا محتاج إليه.

✱

✱

✱

وبعد يومين يقابل منصور عبدالرحمن:

-السلام عليكم يا عبدالرحمن.

-وعليكم السلام، صباح الخير.

-العم عبيد يُريدك.

-أخبره أني لا أرغب في العمل في دكانه.

-لا، هو يُريدك في أمر آخر.

-وما هو؟

-لا أدري.

-هل دكان أبي بخير؟

-نعم، هو على حاله، لا أظن الأمر يتعلَّق به، على كل حال لا تتأخَّر.



-إن شاء الله.

حار عبدالرحمن في الأمر، ماذا يريد العم عبيد، فالعم عبيد كله بركة.

-سم، يا عم عبيد، خير إن شاء الله.

-خير إن شاء الله يا ولدي. سلّم أولًا.

-آسف، السلام عليكم.

-وعليكم السلام.

-اسمع يا ولدي، أنت تريد أن تعمل حمالًا في السوق.

-نعم.

-لا بأس، عمل طيّب، ولكني اسمع نصيحتي جيدًا.

-لا أخلاني الله من نصائحك، تفضّل.

-راقب الله دائمًا في عملك، ولا تَغش، ولا تحقّد على زملائك الحمالين

الآخرين، فلن يأخذ الإنسان إلا رزقه.

-صدقتَ يا عم، أستغفر الله، أحيانًا أجد في نفسي شيئًا عليهم.

-وبعد ذلك اعلم أن الحمالين على نوعين، نوع همّة في يومه، ونوع همّة

في المستقبل.

-لم أفهم.

-بعضهم همّة أن يأخذ الريال في آخر عمله.

- كل الحمالين كذلك.

- لا، لا تكن من هؤلاء، هؤلاء همُّهم في يومهم فقط.

- إذا.

- كن من الذين همُّهم في المستقبل.

- كيف؟

- ليكن همُّك الأكبر أن تكسب الزبون، وتتعرف عليه، وتنصح له،

حتى يثق بك، ويرتاح إليك، فإذا جاء مرة أخرى بحث عنك، وقدمك على غيرك.

- جميل.

- وخاصة أنك على خبرة جيدة بالبضائع وأنواعها ومزاياها

وأسعارها.

- يَبْضُ الله وجهك، يا عم عبيد.

\*

\*

\*

- أين راتب الشهر الماضي؟

- لقد أخذته، ولكنني نسيت أن أعطيك إياه، يا أمي.

تنظر أُمّه إليه باستغراب:

- وما الذي أشغل بالك إلى هذه الدرجة؟

يتلثم عبدالرحمن، ولكنه يبادر:

-اشتريت بعض الأشياء التي كنت أتمناها من زمان.

-يظهر أنك اشتريت أشياء غالية أو كثيرة.

لم يجد عبدالرحمن ما يقوله سوى:

-سأجعلها لك مفاجأة، يا أمي.

اشتغل بال أم عبدالرحمن عليه كثيرًا، فهي تشعر أن شيئًا حدث،

فحالة عبدالرحمن مختلفة عما كانت عليه، ولم تجد إلا أخاها أحمد، فبثت إليه

الأمر، وطلبت منه أن يتحرى عن الموضوع.

\*

\*

\*

رأى عبدالرحمن العم فرجًا داخلًا من مدخل السوق الرئيس، وكانت

عادته أن يدخل من المدخل الشمالي؛ لأنه يشتري مقاضيه من دكان أبيه:

-السلام عليكم يا عم فرج.

-وعليكم السلام. أأنت عبدالرحمن ولد أبي سالم.

-بلى، يا عم فرج.

-ما الذي تفعله هنا؟

-أنا أعمل حمالًا.

-وهل تركت دكان أبيك؟

- هذه قصة طويلة.

- مررت بدكان أبيك مرتين فلم أجد عنده كل ما أريد، فاضطرت

أن أذهب لغيره.

- لا عليك يا عم فرج، هل أحمل لك؟

- طيب.

كان العم فرج طبائخًا لأحد الأمراء، وهو المسؤول عن تأمين التموين

لقصر الأمير يوسف، ولذا كان حريصًا على البضاعة الجيدة ولو كانت

غالية.

- يا عم فرج.

- نعم.

- البزار الذي اشتريته قديم، قد طُحن منذ وقت طويل.

- أكيد!

- أكيد. إن شئت أرجعته، وأخذتُ لك بدله بزارًا جديدًا طازجًا.

- أحسنت.

- وعلى فكرة يا عم فرج، لقد جاءت نوعية جيدة من الأرز، أظنها

تناسب قصر الأمير، لكنها لا تباع في كل مكان.

- وأين تباع؟

- ونحن عائدون سأريك أين تباع.

وبعد أن أنزل عبدالرحمن المشتريات في السيارة:

- كم الحساب؟

- رضاك، يا عم فرج.

- كلامك طيب، يا عبدالرحمن.

- طيب الله فالك.

أعطاه فرج ريالين، كانت أول ريالين يأخذهما من هذا العمل، وقبل

أن يذهب العم فرج تنحنح عبدالرحمن، ثم قال:

- يا عم فرج، إذا شئت أريحك.

- كيف؟

- أنت تعطيني الطلبات، وتذهب لباقي أعمالك، فإذا عدت تجدني قد

جهزت لك الطلبات على أحسن ما يكون، فأنا عندي خبرة في السوق.

- أعرفك يا عبدالرحمن، أمين وصادق، وماهر في عملك، فكرة جيدة،

سأفكر فيها، مع السلامة.

\*

\*

\*

جاء الخال أحمد من الغد عصرًا إلى سوق العطارين؛ ليطمئن أخته عن

حال ابنها عبدالرحمن.

-السلام عليكم، يا أبا سالم.

رفع أبو سالم رأسه، فلما رأى الخال أحمد خفضه، وقال:

-وعليكم.

-قل: (وعليكم السلام) على الأقل.

-ماذا تريد يا أحمد، عبدالرحمن لن يرجع قبل نهاية الإجازة.

-ماذا تعني؟ وما الذي حدث؟ وأين هو ذاهب كي لا يعود قبل نهاية

الإجازة.

-سالم (من أقصى الدكان): نائم في البيت.

-مروان: أو يلعب في الشارع.

-خالد: لقد طلب أبي من عبدالرحمن أن يرتاح هذين الشهرين، ثم

يعود إلى الدكان مع بداية الدراسة.

-أحمد (وهو مندهش): ولكن عبدالرحمن لم يخبرنا بشيء!

-أبو سالم: أنت ترى أن الدكان مزدحم، فأردت أن يرتاح قليلاً.

-أحمد (وهو غاضب): الآن يرتاح بعدما حرّمته من المدرسة.

-أبو سالم (متأففاً): أوه، عدنا إلى مسألة المدرسة.

-أحمد: منذ متى لم يأت إلى الدكان.

-سالم: منذ عشرة أيام تقريباً.

أحمد: ولكنه يخرج كل يوم منذ الفجر إلى أذان المغرب.

-أبو سالم (مستغرباً): وماذا يفعل إذا؟

-خالد: يعمل حمّالاً في السوق.

-أحمد (بين الغضب والاندهاش): ماذا، ماذا؟

-أبو سالم: وما أدراك، يا خالد؟

-خالد: لقد سلّم عليّ عبدالرحمن قبل ثلاثة أيام بعد صلاة الظهر في

مسجد السوق، وأخبرني.

-أبو سالم: إيه، وأنا أقول: لماذا شيخ العطارين أساء مقابلي قبل

أمس!

-أحمد: يُهْمُّكَ غضب شيخ العطارين، ولا يُهْمُّكَ ابنك عبدالرحمن.

-أبو سالم: أنا أعلم بمصلحته.

ذهب الخال أحمد إلى داخل السوق متلفئاً باحثاً عن عبدالرحمن، حتى

وجده خلف زبون في الزُّقاق الجنوبي:

-السلام عليكم، يا عبدالرحمن.

اندهش عبدالرحمن لرؤية خاله أحمد، وداخله شعور بالخوف

والخجل، وشعر باضطراب شديد:

-وعليكم السلام، أهلاً خالي أحمد.

- ماذا تفعل يا عبدالرحمن؟

- هاه، أبداً، كنت ....

- هل تعمل حمالاً؟

.....-

سكت عبدالرحمن، ولم يُحرّ جواباً، وسوى أن يطأطئ رأسه.

- أخبرني ما الذي حدث.

- طردني أبي من الدكان.

- يقول: إنه طلب منك أن ترتاح شهرين فقط.

- ما فعله ليس لراحتي، بل لراحة إخواني.

- هل تريد أن أبحث لك عن عمل؟ أو تعمل في دكاني أكلّم المستأجر.

- دكانك صغير جدّاً، حتى إن أبا النور يجلس في الخارج دائماً.

- أكلّم لك شيخ العطارين.

- أرجوك لا تفعل، ماذا سيقول عن أبي حيثنّذ؟ وعلى كل حال أنا

مرتاح في هذا العمل، ولن أتركه حتى أعرف جميع أسرارته، فهو كنز زبائن.

- لم أفهم! المهمّ لماذا لم تخبر أمك.

- أرجوك لا تخبر أُمّي بذلك، لا أريد أن تحزن.



-عدم صدقك مع أمك هو الذي يحزننا، فقد أحسست بالأمر، وطلبت مني التحري عنه.

-أرجوك، لا تخبر أمي.

-هل تريد مني أن أكذب على أمك، يا عبدالرحمن.

-وهل تريد أن تحزن أمي؟

-أمك مؤمنة، وترضى بقضاء الله، وأقلُّ الأمر أن تنيرك برأيها.

-يعني: يجب أن أخبرها.

-يجب أن تخبرها قبل صلاة العشاء اليوم؛ لأنني سأمرُّ بها بعد صلاة

العشاء وأخبرها.

-لا، أنا سأخبرها إن شاء الله.

\*

\*

\*

مسحت أم عبدالرحمن على رأسه:

-لماذا لم تخبرني، يا ولدي.

يقبّل عبدالرحمن يدها:

-منعني من ذلك خوفي من أن تحزني، والله ما أردت أن أكذب عليك.

تقبّل أم عبدالرحمن رأسه:

- لا تحش عليّ يا ولدي، لقد رأيتُ من الحزن وجوهاً كثيرة حتى  
صِرْتُ لا أخاف منها.

- ولذا لا أريد أن تري منها شيئاً بعد ذلك.

- لا تُحَفِّ عليّ شيئاً بعد ذلك يا ولدي، فلن نجد مني إلا الصبر  
والدعاء، وربما أشير عليك بما هو أفضل لك.  
- إن شاء الله.

دَمَعَت عينا أم عبدالرحمن حتى كادت تقطرُ على رأسه:

- أسأل الله أن يجعل التوفيق حليفك، والنجاح صاحبك، والسعادة  
بين يديك.  
- آمين.

- يا وليّ كل نعمة، اكشِف هذه الغمّة. يا غاية رجائي، استجب لي  
دعائي.

\*

\*

\*

بعد انتهاء الإجازة حاول أبو سالم أن يعيد عبدالرحمن إلى الدكان،  
ولكنه أبى، وأغلق باب النقاش بقفل رمى مفتاحه في البحر.  
أيقن أبوه أنه لن يعود، ولم ينفع معه التهديد هذه المرة، فعبدالرحمن  
كبر، وفهم من أين تؤكل الكتف:

-إن حاولت أن تؤذي أُمِّي هذه المرة فسوف أذهب إلى شيخ  
العطارين، وأخبره بكل شيء.

-وعمَّ ستخبره؟

-لم أخبره أنك طردتني في آخر الإجازة خوفاً على سمعتك، مع أنه  
بعث إليّ مرتين. ولكنني هذه المرة لن أتردد في الذهاب إليه.

وقع أبو سالم في حَيْصَ بَيْصَ، وخاصة أن دخل الدكان اضطرب في  
الشهرين الماضيين، وتوظيف عامل في الدكان سيؤثر في دخله، ولكنه لم يجد  
بديلاً عن ذلك.

وكان كلما ذهب إلى البيت دخل في نقاش وصداع من أم سالم عن هذا  
الموضوع:

-ما معنى أنه لن يعود إلى الدكان؟ أليس دكان أبيه؟

-حاولتُ معه كثيراً، ولكنه رفض بشدة.

-أنت أبوه، ولك حقُّ الطاعة.

-عبدالرحمن كبر، وتغيّر كثيراً، حتى إنه هدّدني بشيخ العطارين أبي

سعد.

-وما معنى ذلك؟

-شيخ العطارين علم أصلاً أني أبعدتُ عبدالرحمن عن الدكان،  
فاختلفتُ معاملته لي بسبب ذلك.

-إذن أخبره عبدالرحمن.

-لا، لم يخبره، ولكن عبدالرحمن عمل حمالاً في السوق، فوصل الخبر  
إلى شيخ العطارين. وعلاقة عبدالرحمن جيدة جداً مع شيخ العطارين.  
-طبعاً، أكله بلسانه.

-بل سحره بلسانه، فمنذ أن أقنعه بمساعدتي وهو يحبُّ الجلوس إليه،  
والكلام معه.

-وماذا ستفعل؟

-وظفّتُ عاملاً في الدكان معي.

\*

\*

\*

انتهت الإجازة وبدأتِ الدراسة، فقلّ عدد الحمالين، وخاصة في  
الصباح، فصارت فرصة عبدالرحمن أكبر في التعرف على الزبون، بل كان  
الحمالون يتعجبون منه لأنه لا يزاحمهم على كل زبون، بل ينتقي بعض  
الزبائن ويزاحم عليهم، بل كان يرضى بالمبلغ القليل مقابل ذلك.  
-أهلاً يا عم، لقد رأيتك أيضاً في الأسبوع الماضي في السوق.

-نعم، أنا عندي محال عطارة صغيرة ومحامص في داخل الأحياء، اسمها عطار الأمانة، وأحتاج أن أموئها كل أسبوع على الأقل من أكثر من سوق.

-ما شاء الله!

-هيا، كي لا تتأخر.

بعد أن انتهى عبدالرحمن وزبونه، وأنزل المشتريات في السيارة:

-هل تسمح لي، يا عم.

-تفضل، ماذا عندك؟

-لو أنك لم تشتري جميع بضاعتك من دكان واحد لكان أفضل.

-ماذا تعني؟

-كل دكان في السوق يتميز بشيء، فمثلاً: الدكان الذي اشتريت منه

متميز بالأعشاب الطيبة، وكذلك البزارات، ولكن الدهونات التي عنده

ليست جيدة، أما الأرز والسكر والقمح التي عنده فجيدة ولكنها غالية.

-عجيب!

-لو اشتريت من كل دكان ما يتميز به، سواء في جودة البضاعة أو

السعر، لكنت أنت الرابح، وحصلت محالك على أحسن البضائع

وأرخصها.

- وكيف سأعرف كل هذه الدكاكين، وما تتميز به؟

- جربني.

- ماذا تقصد؟

- في المرة القادمة أعطني قائمة طلباتك، وأنا آتيك بأحسن البضائع

وأرخصها، وإن شئت اذهب أنت لباقي أعمالك حتى أنتهي.

- هل أنت متأكد؟

- لا تأخذ شيئاً مما آتي به حتى تنظر فيه، وتعرف سعره، ثم قارنه بما في

السوق.

- تتكلم كلام الواصل، من أنت؟

- أنا ابن هذه السوق، دخلت كل الدكاكين، وخبرت كل الأسرار،

وعرفت كل الأسعار، بغت في واشترت، وأصبحت فيه وأمست.

- خلاص خلاص، يكون خير، إن شاء الله.

\*

\*

\*

كان عبدالرحمن يفرح كثيراً عند زيارته لبيت خاله أحمد، فقد كان في

صغره يلعب مع بنته العنود التي تصغره بثلاث سنوات، وكثيراً ما تلعب

معهم صغار الغنم التي في حوش الخال أحمد.

لا ينسى عبدالرحمن ملاحظها حتى بعدما كبرا وصارت تمتنع من اللعب معه، كانت وضيئة الطلعة، صبيحة الوجه، تضحك عن مثل البرد، وتستدير عن شعر كالليل، وكان يعجبه فيها أنها هشة بشة، باسمه الشجر، حلوة الكلام.

ولذا كان يضحك من نفسه إذ تمنى أنه لو لم يكبر ولم تكبر العنود، ويردد:

صغيرين نرعى البهْم، يا ليت أننا

إلى الآن لم تكبر، ولم تكبر البهْم

حتى أم عبدالرحمن كانت تتراح لزيارة أخيها أحمد، ولذا تعجّب عبدالرحمن من ارتفاع صوتيهما في هذه الزيارة على غير المعتاد، ولكنه لما دخل المجلس حوّلوا الكلام إلى موضوع آخر.

وبعد أن عاد عبدالرحمن وأمه إلى البيت، وقبل أن يجلسا، سأل أمه عن سبب ارتفاع صوتها، فاستغربت أمه، فقد ظنّت أنه لم ينتبه:

-ليس هناك شيء مهم، يا ولدي.

-لكني أريد أن أعرف يا أمي. فأنا الآن لست صغيراً.

-صدقت، لكنه أمر خاص بيني وبين خالك أحمد.

-ألا يخصني هذا الأمر أيضاً؟

- في الحقيقة يَخْصُكُ أيضًا.

أمسك عبدالرحمن بيد أمه، وطلب منها الجلوس:

- اجلسي، يا نور عيني.

- لعلك تترك هذا الأمر، يا ولدي.

- الأمر إليك يا أمي، لكن إن كان الأمر يَخْصُنِي فأحبُّ أن أعرفه.

تنهدت أمه:

- طيب، سأخبرك، ولكن عدني أن تحسن التصرف، بل لا تفعل شيئًا

دون موافقتي.

- أعدك، يا أمي.

- كنتُ أكلّم خالك أحمد عن بقية إرثي من أبي.

- فهمتُ الآن، وماذا بقي؟

- أعطاني البيت الذي نسكنه الآن، وهذا قرابة نصف حقي، وبقي

قرابة نصفه، لكن المشكلة أن خالك لا يستطيع أن يبيع بيت العائلة الكبير

الذي يسكن فيه؛ كي يعطني باقي حقي، وليس عنده فلوس كافية.

- الله يكتب ما فيه الخير.

\*

\*

\*



كان عبدالرحمن يُمُرُّ حينًا بعد حين على العم عبيد، يسلم عليه، ويُبَشِّهُ بعض شكواه، وأهم شيء أنه يسأله عن أبيه ودكان أبيه:

-دكان أبيك تأثّر قليلاً بسبب إهمال إخوتك، ثم تأثّر أكثر بعد بدء الدراسة، فلم يكن مع أبيك من يساعده، لكنّ حاله تحسنت بعد مجيء العامل مَرَّجان، صار ينظّفه ويرتّبهُ كل يوم.

-الحمد لله.

-لكن العامل ليس ماهراً في البيع والشراء كثيراً، ربما يحتاج إلى وقت طويل؛ ليتعلّم.

جاء منصور بالشاي، وشارك في الحوار:

-منصور: الظاهر أن مرجان لا يريد أن يتعلّم، يريد أن يبقى عاملاً للتنظيف فقط؛ ليرتاح.

-هذه مشكلة كبيرة، فالذي لا يرغب في التعلّم لا يتعلّم ولو كان الشيء سهلاً، كيف وهذا بيع وشراء!

احتسى العم عبيد رشفة من الشاي:

-سنرى ماذا يفعل في المستقبل القريب.



ما إن وصل عبدالرحمن كعادته في الصباح الباكر إلى موقف الحمالين،  
حتى وجد العم فرجًا يبحث عنه:

- ما شاء الله عليك يا عم فرج، دائمًا تشتري المقاضي مبكرًا، بل أنت  
أول من يأتي إلى السوق من الزبائن.

- كيف حالك، يا عبدالرحمن؟

- طيب، بخير وعافية.

- هذه قائمة الطلبات، أريد أن تجهّزها بسرعة.

- أسرع من يرثوع.

- وإذا انتهيتَ انتظرنِي عند زاوية الزقاق الجنوبي؛ لأنني سأعود من  
هناك، ولا تذهب حتى آتي، لن أتأخر.

- سأنتظرك أصبرَ من صَبَّ.

كانت هذه أول طلبية يقوم عبدالرحمن بتجهيزها، فرح لذلك كثيرًا،  
فقد بقي يخطط لهذا الأمر منذ كلمه العم عبيد، وقد مضى على ذلك اللقاء  
قراية أشهر.

لم يستطع منع نفسه من الذهاب إلى دكان أبيه، بل بدأ به قبل غيره،  
دخله كما يدخل الإنسان بيته الذي يعرفه تمامًا:

- السلام عليكم.

رد أبوه:

-وعليكم السلام.

ردَّ مرجان:

-وعليكم السلام، كيف أخذكم؟

أخذ عبدالرحمن يجمع ما سيشتري بنفسه، يأخذ من هذا الرّف، ويزن من هذا الكيس، ويجمع من هذا الدرج، فغضب مرجان وأراد أن يمنعه ويعتقه، فأشار أبو سالم إليه بيده أن اتركه يفعل ما يشاء.

اشترى من دكان أبيه ما يعرفه فيه من البضائع الجيدة، وقبل أن يخبره العامل بالحساب كان عبدالرحمن قبل دفع المبلغ لأبيه، ثم سلّم وذهب. ثنى عبدالرحمن بالعم عبيد، واشترى منه بعض البضائع، ثم جمع بقية البضائع من دكانين السوق.

ثم أسرع إلى زاوية الزقاق الجنوبي، ينتظر العم فرجًا، الذي لم يتأخر كثيرًا، أوقف السيارة بسرعة، وأشار إلى عبدالرحمن أن صّع المشتريات في صحن السيارة:

-عبدالرحمن (وهو تعبان): كلُّ المشتريات في السيارة.

-فرج (وهو يهزُّ رأسه): هذا حسابك، ولكنني سأنظر في البضاعة،

فإن أعجبني بقيتُ معك، وإلا مع السلامة.

فرح عبدالرحمن بذلك؛ لأنه يعلم أن ما اشتراه أحسن مما كان العم  
فرج يشتريه، وأرخص.

\* \* \*

استغرب عبدالرحمن كون دكان خاله مغلقاً، ولذا بادر أبا النور لما رآه  
بعد صلاة الظهر:

-خيرًا يا عم، الدكان مغلق هذا اليوم.

-العم أبو ناصر مريض، فذهبتُ لزيارته.

-شفاه الله، وكيف هو الآن؟

-الحمد لله على كل حال، لكن مرضه شديد.

ذهب أبو النور لفتح الدكان، وانطلق عبدالرحمن إلى موقف الجمالين،  
وفي الطريق يوافقه أحد الزبائن ومعه حال آخر:

-أهلاً عبدالرحمن، لقد كنت أبحث عنك.

-كنت مشغولاً مع زبون آخر يا عم. سم.

-خلاص، مرة ثانية إن شاء الله.

نظر الجمال الآخر إلى عبدالرحمن نظرة غاضبة، فردها عليه عبدالرحمن  
بابتسامة جميلة.

مشى عبدالرحمن الهوينى إلى موقف الحمالين، وبقي فيه هادئاً يفكر،

حتى إنه لم يزاحم على أي زبون:

-أحد الحمالين: سلامات، يا عبدالرحمن.

-أبدًا، متعب قليلاً فقط.

نهض عبدالرحمن لما جاء الحمال الذي كان مع الزبون الذي سأل عنه

قبل قليل:

-أهلاً وسهلاً.

-الحمال (غاضباً): ماذا تريد؟

-الزبون يعرف أبي، وأظنه أراد شيئاً يتعلّق بأبي، هذا كل ما في الأمر.

-أكيد.

-أجل، وإلا لماذا يسأل زبون عن حمال؟!

يقاطع أحد العمال الحوار:

-عبدالرحمن، أبو سعد يُريدك؟

-يُريدني أنا؟

-نعم، وبسرعة.

-طيّب.

أسرع عبدالرحمن إلى أبي سعد شيخ العطارين، ولم يستطع تخمين سبب طلبه، هل الأمر متعلق بأبي؟ هل شكاه أحد؟

وصل عبدالرحمن وأبو سعد مشغول مع أحد التجار، فوقف عبدالرحمن أمام دكانه، حتى فرغ التاجر وذهب، فجاء عبدالرحمن فسلم: -اجلس، يا عبدالرحمن.

جلس بعدما شعر بشيء من الراحة من معاملة أبي سعد:

-سم يا أبا سعد، خير إن شاء الله.

-خير إن شاء الله، لماذا لا تعود إلى العمل مع أبيك؟

فكر عبدالرحمن قليلاً، ثم قدر، ثم رفع رأسه:

-أهذا أمر -يا أبا سعد- أم سؤال؟

-بل سؤال، فليس لي عليك أمر.

-بل تأمر، ولو أمرتني أن أعود لعدت.

استحسن أبو سعد جواب عبدالرحمن:

-بل أسأل فقط، يا ولدي.

تمهل عبدالرحمن قليلاً، وأراد أن يقول شيئاً، ولكنه لم يجد كلمات

مناسبة:

-هل يجب أن أجيب عن سؤالك أم يمكن أن تسمح لي بعدم

الجواب؟

عرّف أبو سعد أن عبدالرحمن لا يجب أن يخبر أبا سعد بما فعله أبوه

معه، مع أنه يعرف كثيرًا من ذلك.

-الذي تريد، يا عبدالرحمن.

-إذا عذرتني عن الإجابة.

-على ما تريد.

-الله يعافيك.

-إذا لم تُردّ العودة إلى العمل في دكان أبيك فأنا أريد أن تعمل عندي،

وسأعطيك راتبًا جيدًا.

-جزاك الله خيرًا، أنا مرتاح في عملي، ولا أرغب الآن في تغييره.

استغرب أبو سعد من جواب عبدالرحمن، بل استغرب عبدالرحمن من

جوابه، فقد دفعته نفسه إلى هذا الجواب دفعًا دون تفكير، مع أن عرض أبي

سعد كان مغريًا.

-على ما تريد، متى ما أردت مني مساعدة فأنا موجود.

-لا أستغني، وسأحتاج إليك في يوم قريب.

-الله يوفقك، ويأخذ بيدك.

-أستاذن.

-تفضّل، مع السلامة.

كانت نفس عبدالرحمن قد كرهت أن تنقاد إلى غير نفسه، أراد أن يكون حرّاً نفسه، وأن يعمل لحسابه هو ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

\* \* \*

عند خروج عبدالرحمن من صلاة الظهر وجد صاحب عطار الأمانة أمامه، وواضح من حاله أنه مستعجل جداً:

-السلام عليكم.

-وعليكم السلام يا عم، عرفتُك، أنت صاحب عطار الأمانة.

-صحيح، أنا مستعجل جداً، وقد عَرَضْتُ عليّ من قبل أن تجهّز لي طلباتي.

-حاضر، أبشر.

-ولكنني لن آتي إلا قبيل أذان المغرب بقليل.

-طيب، سأحضرها من منتصف العصر إن شاء الله.

-إذا جنّت ورأيتُ البضاعة جيدة، والأسعار مناسبة، سأعطيك

الفلوس.

-حسنَ بَسَن. قبيل أذان المغرب ستجدني في المدخل الرئيس للسوق.



لا يدري عبدالرحمن لماذا بعض الناس شديد في معاملته، يُغَلِّب دائمًا سوء الظن؟

وبعد أن انكسرت الشمس بدأ عبدالرحمن بجمع الطلبات، فبدأ هذه المرة من أبي النور:

- حياك الله، يا عبدالرحمن.

- ما أخبار أبي ناصر؟

- ما زال مريضًا، فهو شيخ كبير، نسأل الله له حسن الخاتمة.

- ولماذا لا يأتي بعض أولاده مكانه؟

- أوه، أولاده موظفون، ولا يرغبون في الدكان إطلاقًا.

- غريب، لا يريدون الدكان. المهمّ عندي بعض الطلبات.

وبعد أبي النور ذهب إلى دكان أبيه، فقد صار أبوه يفرّح كلما أقبل عليه

عبدالرحمن؛ لأنه كان يشتري منه بمبلغ كبير كل مرة، ومرجان يستغرب من

هذا الفتى الذي يتصرّف في الدكان على ما يريد.

ولمّا ذهب عبدالرحمن بالمشتريات هذه المرة، بادر مرجان:

- يا أبا سالم، لماذا تسمّح لهذا الفتى بأن يدخّل إلى الدكان، ويفعل ما

يريد كأنه دكانه؟

- لأنه دكانه.

-لم أفهم، كيف دكانه؟

-هذا ولدي عبدالرحمن.

-ولذلك.

-نعم، وكان يعمل في الدكان إلى ما قبل خمسة أشهر.

سكت مرجان، ولم يرغب في أن يصل الحوار إلى أبعد من ذلك؛ لأنه رأى التأثير في وجه أبي سالم وكلامه.

\* \* \*

امتلاً مجلس الرجال في بيت عبدالرحمن بأكياس الخيش التي كان

يجمعها عبدالرحمن، حتى تضايقت أمه منها:

-لماذا تجمع هذه الأخياش، يا ولدي؟

-عبدالرحمن (وهو يرمي بعض الأخياش فوق بعض): سأحتاج إليها

قريباً، يا أم عبدالرحمن.

-فيم تفكر، يا ولدي؟

-لا أفكر في شيء معين، ولكني أفكر في عمل شيء.

-متى؟

-حين يأذن الله، وأمل أن يكون ذلك قريباً.

- لا تعذّر عليك مطلب، ولا غرق لك مركب، ولا أغلق دونك مذهب.

- اللهم آمين، ما أحلى دعواتك، يا أمي!

\* \* \*

ذهب عبدالرحمن مع خاله أحمد لتقديم العزاء في أبي ناصر رحمه الله، وبعد العزاء لحق أكبر أولاد أبي ناصر بالخال أحمد قبل أن يركب سيارته:

- يا عم أحمد.

- ماذا هناك؟ خير إن شاء الله.

- تعلم أني وجميع إخوتي موظفون، ولا نرغب في استئجار الدكان، فأردت أن أخبرك بذلك، كي تبحث عن مستأجر آخر.

- طيب، بإذن الله.

كان دكان الخال أحمد قد تدهور وضعه بعد مرض أبي ناصر، وكان أبو النور يشتكي كثيراً من نقصان البضائع، وقد سأل عبدالرحمن أبا النور عنه أكثر من مرة حتى استغرب من كثرة سؤاله عنه:

- كم بقي من إيجار الدكان يا أبا النور؟

- قل: كم فات من الإيجار؟ فقد فات ستة أشهر لم يسدّها أبو ناصر.

- ولكن خالي لم يذكر ذلك لأولاده عندما كلّموه عن الدكان.

-يمكن أن يأخذ الخال أحمد ما بقي من بضاعة الدكان مقابل الإيجار، فلم يبق منها إلا القليل.

-وأنت ماذا تفعل يا أبا النور؟

-أحاول تمشية الدكان، فقد كلَّمتُ أولاد أبي ناصر مرارًا، فقالوا: لا علاقة لنا بالدكان، فصرت أبيع، ثم اشتري بما تجمَّع من مبالغ بضائع جديدة، وأحاول تكميل النواقص، ولكن الوضع صعب جدًّا، حتى إنني أفكر الآن أن أترك الدكان، وأبحث عن عمل آخر.

-عبدالرحمن (مستعجلًا): لا، لا تترك الدكان.

استغرب أبو النور هذه العجلة:

-ولماذا؟ لماذا انفعلت؟

-عبدالرحمن (وهو يحاول استجماع نفسه): لا ينبغي أن تترك الدكان، فهو الآن أمانة عندك، حتى يتبيَّن أمره.

-هذا الذي يجعلني أصبر وأنتظر.

-لعلك لا تنتظر طويلًا.

نظر أبو النور نظرة تعجُّب إلى عبدالرحمن، ولم يدِرِ ماذا يقصد.

\*

\*

\*

كان غريباً أن يصلي عبدالرحمن العصر هذا اليوم في مسجد الحيّ، فقد كان يصلي العصر كل يوم في مسجد السوق.

وبعد الصلاة تربّع، ووضع مرفقيه على ركبتيه، ورمى رأسه على كفيه، ولكن هذه المرة لا ليدخل صومعة الشرود الذهني، بل ليخوض معمعة التفكير، لا ليهرب من كربة، بل لبحث عن فكرة.

بقي عبدالرحمن متقلباً بين أمواج التفكير، يسفل ويعلو، يفرق ويطفو، حتى وصل إلى الساحل سالماً، بعد أن استقرّ رأيه على أن يكلمّ خاله أحمد في أسرع وقت.

خرج من المسجد خفيف القدم، سريع الخطو، حتى اقترب من بيت خاله أحمد، توقف قليلاً، أخذ نفساً عميقاً، ثم نفساً آخر، ثم طرق الباب، ردّت العنود هذه المرة، فعذّ عبدالرحمن ردّها من حسن الفأل، سألها عن خاله، فنادت على أبيها، ودلّفت هي إلى داخل البيت:

- أهلاً بك وسهلاً.

- أهلاً يا خال، أريد أن أتحدث معك في أمر إن كان الوقت مناسباً.

أدخل الخال أحمد عبدالرحمن إلى المجلس، وصبّ له الشاي:

- تفضّل، هذا الشاي حضّرتُه العنود.

- سلّمت يداها، نفّلاء كأمتها.

-كأَمَها وعمَّتَها.

ارتاح عبدالرحمن لتشبيه خاله لبنته العنود بأمه، فقد كان خاله يحبُّ أم عبدالرحمن ويقدِّرُها، فأخذ عبدالرحمن هذا مدخلًا لحديثه:

-جزاك الله خيرًا يا خال، لقد ساعدتَ أُمِّي ووقفتَ معها كثيرًا.

-أُمُّكَ أم طيبة، لكنَّها لم توفِّق مع أبيك، الله يهديه ويسامحه.

-وبعد طلاقها أعطيتها البيت التي تسكنُ فيه.

-البيت حقُّها يا عبدالرحمن، فهو جزءٌ من إرثها من الوالد رحمه الله.

-رحمه الله.

-ولعلها أخبرتك أنه بقي لها جزء من الإرث عندي.

-نعم، أخبرتني، وهذا ما أردتُ الكلام فيه.

-والله يا عبدالرحمن ليس عندي فلوس، ويصعبُ أن أبيع بيت

العائلة، ولكن ...

-لا عليك يا خال، أنا عندي رأي لعلك تفكِّر فيه.

-وما هو؟

-دكانك الذي في السوق.

-ما باله؟

-أريدُه، ويكون هو باقي إرث أُمِّي، ويكتبُ باسمها.

-فتح الله عليك، كيف كنت غافلاً عن ذلك. ولكنه في الحقيقة أقل  
من باقي إرث أمك.

-نأخذه مع البضاعة التي فيه؛ لأنها مقابل الإيجار الذي لم يدفعه أبو  
ناصر رحمه الله.

-ما شاء الله! يظهر أنك سألت جيداً عن الدكان.

-وأريد معها أيضاً السيارة الحوض، وأظن أن ذلك مناسب.

-نعم، مناسب لي، لكن هل عند أمك خبر بذلك؟

-لا، أردت أن أكلّمك أولاً، فإن وافقت أخبرتُ أمي.

-خلاص، أخبرها، فإن وافقت ذهبنا في أسرع وقت، ونقلت ملكية  
الدكان والسيارة.

\* \* \*

كادت الفرحة تفجّر قلب عبدالرحمن، فهو لم يتوقّع أن يوافق خاله  
بهذه السهولة، وما علم أن خاله كان مشغول البال بهذا الموضوع، ولم يكن  
يتوقّع أن ترضى أخته بمثل هذا الحل.

\* \* \*

دخل عبدالرحمن على أمّه في آخر العصر مسروراً جديلاً، قد استخفّه  
الفرح، وهزّه المرح:

-أدام الله عليك الأفراح، وأبعد عنك غيوم الأتراح.

-آمين، يا أمي.

-لكن ماذا أتى بك الآن؟ هل حدث شيء؟

قَبَّلَ عبدالرحمن رأس أمه، ثم جلس بجانبها:

-نعم، كنتُ قبل قليل عند خالي أحمد.

-خالك أحمد، وماذا تفعل عنده.

-كنتُ أعرض عليه فكرة تتعلق بباقي الإرث.

-باقي الإرث؟

-نعم، عرضتُ عليه أن يكتب باسمك دكانه الذي في السوق

وسيارته الخوض مقابل ما بقي لك من إرث.

قامت أم عبدالرحمن، وهي لا تملك نفسها من الغضب:

-لا إله إلا الله، ألم أقل لك: لا تفعل شيئاً في هذا الأمر إلا بمعرفتي.

تجَمَّد عبدالرحمن من ردة فعل أمه، وتبَخَّرَ الفرح الذي ملأ قلبه، وحلَّ

محله شعور ليس له وصف سوى أنه ضائع تائه.

-أنا أخبرك الآن يا أمي، ولن يكون شيء إلا بموافقتك ورضاك.

-ولماذا لم تخبرني قبل أن تكلم خالك، أظنُّ أن خالك الآن أخذَ في

نفسه عليك وعليَّ.



-ولماذا يأخذ في نفسه علينا؟

-أخشى أن يظنّ أني أنا التي اقترحتُ عليك هذا الرأي، وأنّي غير واثقة من أمانته.

-لا أظنّ الأمر كذلك يا أمي، فقد فرح خالي بهذا الرأي، ووافق عليه بسرعة أنا لم أتوقعها، بل شكرني على هذا الرأي.

-أخشى أنه يتظاهر بذلك.

-لو كنتِ معي لرأيت كيف انشرح صدره، وتهلّل وجهه، وبرقت أساريره، وتدفّق السرور في كل جسمه.

جلست أم عبدالرحمن:

-يا ولدي، أخي أحمد عزيز عليّ، ولا أريد أن أجرحه أو أخرجه.

-خلاص، لن أكلّمه عن هذا الموضوع، لكن سامحيني ولا تغضبي مني.

\*

\*

\*

لم يستطع عبدالرحمن أن يتخلّص من التفكير في دكان خاله وهو يدور مع الزبون في السوق، وبعد أن انتهى مرّ بدكان خاله:

-السلام عليكم يا أبا النور، ما أخبارك اليوم؟

-وعليكم السلام، أخباري كأمس، لم يتغيّر شيء.

-ودخل الدكان؟

-ما يخرج منه يدخل إليه. لكنني أراك كثير السؤال عن الدكان، خير

إن شاء الله!

هنا يقطع منصور الحوار:

-العم عبيد يريدك، يا عبدالرحمن.

-إن شاء الله.

ووجدها عبدالرحمن فرصة للتملُّص من الرَّدِّ على استفسار أبي النور، فاستأذن مستعجلاً، وذهب إلى العم عبيد الذي وجده يرْتب أحد أدراج الدكان:

-أهلاً يا عبدالرحمن، اجلس سآتي الآن.

انتهى العم عبيد ما في يده بسرعة، ثم جلس بجانب عبدالرحمن:

-كم حالك، يا ولدي؟

-أنا، بخير وعافية، والحمد لله.

-كأنك -يا ولدي- تعذب نفسك بلا طائل.

-لماذا تقول ذلك يا عم؟

-رفضت العمل في دكان أبيك، ورفضت العَرَض الذي قدّمه لك أبو سعد، وأنت مُصِرٌّ على هذا العمل المرهق المتعب الذي لا تحصل منه إلا على الفتّات!

-هل تذكر -يا عم عبيد- النصيحة التي أتخفتني بها في بداية عملي في التحميل؟

-نعم، ولكنني ظننتك ستعمل فيها أيامًا حتى تجد عملًا ثابتًا.

قام عبدالرحمن، وقبّل رأس العم عبيد، وقال:

-لقد استفدتُ منها كثيرًا كثيرًا، وقد بنيتُ علاقات ومعارف آمل أن أستفيد منها بإذن الله.

-معرفة الرجال كنوز، يا ولدي.

-آمل يا عم أن أترك التحميل قريبًا.

-إلى أين إن شاء الله؟

-إلى حيث يشاء الله لي، وهو خير الرازقين.

-أنعم بالله!

\* \* \*

بعد أن صلى عبدالرحمن المغرب في مسجد الحي، وصلى سنة المغرب البُعْدية، أحسَّ بيد على كتفه اليسرى.

التفت فرأى خاله أحمد مبتسماً:

-هل كَلَّمْتَ أُمَّكَ؟

-في ماذا، يا خال؟

-في ماذا، في أمر الدكان والسيارة.

-كَلَّمْتُهَا وَغَضِبْتَ، لَأَنَّهُ ظَنَنْتُ أَنَّكَ غَضِبْتَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ.

-هذه أختي الغالية، أَحِبُّهَا وَتَحِبُّنِي، وَأُغْلِيهَا وَتُغْلِيَنِي.

-إِنْ كَانَ الْأَمْرُ يُهِمُّكَ يَا خَالَ كَلِّمَهَا أَنْتَ.

-طيب، أَنَا سَوْفَ أَكَلِّمُهَا بِإِذْنِ اللَّهِ.

\*

\*

\*

في عصر اليوم التالي جاءت العنود إلى بيت عمَّتْهَا أُمُّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، يَلْفُفُهَا

الحياء، وَيَزِينُهَا الْحِجَابَ:

-حَيَّا اللَّهُ بَتِّي الْحُلُوةَ الْعَنُودَ.

-أَهْلًا وَسَهْلًا يَا عَمَّة. أَبِي يَدْعُوكُمْ إِلَى الْعِشَاءِ عِنْدَنَا اللَّيْلَةَ.

-هذه اللَّيْلَةُ؟

-نعم، وَيَلْزَمُ عَلَيْكُمْ.

-أُبَشِّرِي، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

تعجبت من إلحاح أخيها على العشاء، وخشيت أنه قد وقع في نفسه شيء من عرض عبد الرحمن، فبقيت في هم قائم قاعد، حتى جاء عبد الرحمن بعد صلاة المغرب، وما إن دخل إلى البيت بادرته أمه:

- عبد الرحمن، سنذهب إلى خالك أحمد الآن.

- لماذا؟

- لقد دعانا إلى العشاء، وألح في ذلك، وإني أظنه قد وجد في نفسه علينا شيئاً.

تبسم عبد الرحمن، وعجب من شدة حب أمه لأخيها:

- هدني من روعك يا أمي، لقد كلمني خالي البارحة، وهو الذي يصير على إتمام ما عرضته عليه.

تحاول أم عبد الرحمن أن تهدأ:

- سنذهب ونرى حقيقة الأمر.

كان بيت الخال أحمد مرمي حجر من بيت عبد الرحمن، ولذا وصلا بسرعة، ووجدا العنود كالمعتاد في انتظارهما:

- أهلاً وسهلاً يا عمّة، تفضلي.

- هل أدخل وحدي، أم أدخل أنا وعبد الرحمن.

تستحي العنود، وتنسحب بخِفَّةٍ إلى داخل البيت، ويخرج الخال أحمد ضاحكًا مما حدَّث:

-حَيَّا الله أم عبدالرحمن وعبدالرحمن، أسفر البيت وأنور، تفضلاً.  
-البيت مبارك بأهله، يا أخي.

كان عبدالرحمن وأمه يدخلان إلى داخل البيت، ويجتمعان بأهل الخال في وسط البيت، وبعد أن كبر عبدالرحمن صار يبقى في المجلس، ويجلس معه حمدانُ ابن خاله، وأما خاله أحمد فيتردد بينه وبين داخل البيت.  
جلست أم عبدالرحمن بين زوجة الخال سعاد وبين العنود، وجلس الخال أحمد تجاهها، وهي ترمق أباها بين وقت وآخر؛ لتعرف ماذا وراء أكمة هذا العشاء.

تنحج الخال أحمد، ثم قال:

-يا أم عبدالرحمن، تعرفين أنه قد بقي لك نصيب من إرثك.  
-لست متعجلة عليه، يا أخي.  
-أنا مستعجل، فهو همُّ عليّ، وأريد أن أسلمه لك ولولدك.  
-الله يخليك لنا، يا أخي.

-وقد عرض عبدالرحمن عليّ رأيًا أعجبني كثيرًا، وقد كنتُ عنه

غافلاً.

-سعاد: ما شاء على عبدالرحمن، ذكّي، الله يخليه لك.  
هَزَّتْ العنود رأسها رَضًا بما تَسْمَعُ، فنظرت إليها أُمُّها نظرةً غير  
الراضي.

-أحمد: لا أدري هل أخبرك أحمد بتفاصيل العرض أم لا؟  
-أم عبدالرحمن: أخبرني به دون تفاصيل.  
-أعرف، فقد غضبت عليه، وطلبت منه أن يترك هذا العرض.  
-أنت يا أخي أهمّ عليّ من إرثي.  
-يا أم عبدالرحمن، هذا العرض ناسبني جدًّا، ولو خطر في بالي  
لبادرتُ إليه بنفسي، فإن كنتِ راضيةً به فأنا راضٍ.  
-الأمر لعبدالرحمن.  
-عبدالرحمن هو الذي عرضه.  
-لا بأس، أريد أن أثاروه بنفسي، ثم أرُدُّ عليك.  
-لك ما تريدن، يا أم عبدالرحمن.

\*

\*

\*

بعد أن عادت أم عبدالرحمن ومعها عبدالرحمن إلى البيت، ونَزَعَتْ

عباءتها:

-عبدالرحمن، تعال أريدك.

- سَمِّي، يا أغلى الناس.

علمَ عبدالرحمن أن خاله سيكلّم أمّه عن عرضه، وكان يرجو أن يكون خاله قد أقنع أمّه به.

جلس عبدالرحمن بجوار أمّه.

- لقد كلّمني خالك عن عرضك، وذكر أنه مرتاح إليه، ورغب بشدة في إتمامه.

- ألم أخبرك أنه غير غاضب، وأنه ارتاح للعرض.

- طيّب، الآن إذا أخذت الدكان والسيارة، فمعنى ذلك أنه لم يبقَ لي شيء غير هذا البيت الذي نسكنه.

- نعم، هذا صحيح وواضح.

- يعني أنت مدرك لهذا.

- نعم، كل الإدراك.

- وهل هذا في مصلحتك يا ولدي؟ ماذا لو خسر الدكان؟ وخربت

السيارة؟

- يا أمي، لقد علّمتني وعلمني السوق أن أكون دائماً حسن الظن بالله،

بعد أن عملتُ كل ما في جهدي للنجاح.

- عملت أم ستعمل؟



- بل عملتُ، وسأعملُ أيضًا.

- لم أفهم.

- ثقي بي يا أمي، فأنا ابن السوق، لحمي مُرٌّ، وخطواتي محسوبة.

- لا تغترّ بنفسك يا ولدي كثيرًا.

- ليس هذا غرورًا، بل إعداد واستعداد، والقادم أشدّ تعبًا، فأنا ليس  
عندي شهادة كما تعلمين.

- الشكوى على الله! الله يجازي الذي كان السبب.

- لا تدعي عليه يا أمي، قد يكون هذا خيرًا لي، فقد خَبَرَت السوق،  
وعَرَفَت رغائب الزبائن وطلباتهم، وكثير منها لا يجدونها في السوق اليوم،  
وأنا سأعمل على توفير هذه الطلبات، وتحقيق هذه الرغبات.

- لا أدري ما أقول لك.

- بل تعرفين، ادعي لي بالتوفيق.

- جعلك الله في كَنَفِهِ، وقَرَّب إليك الخير وأحبابه، وأبعد عنك الشر  
وأسيابه.

- اللهم آمين.

\*

\*

\*

لم يستطع عبدالرحمن أن ينام هذه الليلة، ولم ينقطع تفكيره:

-هل يُعَقَّل أن يكون لي دكان في السوق؟

-هل يعقل أن أبيع وأشتري لحسابي أنا؟

-هل يعقل أن أتعامل مع التجار مباشرة؟

وفجأة يحسّ عبدالرحمن كأنه سيارة تسير بسرعة ثم تصطدم بجدار كبير، إذ تتسلَّل إليه بعض الأفكار السيئة كثعابين الصحراء التي تمشي تحت الرمال:

-وماذا لو خسر الدكان؟

-وماذا لو رَفَضَ التجار التعامل معي؟

-الدكان صغير جدًّا، ولو نَجَحَ لكان نجاحه صغيرًا كحجمه.

لم يجد عبدالرحمن حلًّا سوى أن يتوضَّأ ويصلي ركعتين، ثم ينام في هدوء، ويدع الأفكار وحدها تتصارع فيما بينها بعيدًا عن رأسه.

\* \* \*

لم يذهب عبدالرحمن إلى السوق بعد صلاة الفجر كالمعتاد، بل بقي في البيت ينتظر خاله أحمد، ليذهبا معًا إلى السوق.

رأته أمه وهو قَرِحٌ وَجِلٌ، فلم تَدْرِ أنفرَحَ لأنها رأت ابنها رجلًا يتحمَّلُ المسؤولية، ويفكِّرُ ويعمل كالرجال، أم تحزَنَ لأنه دخل في معمرة الحياة ولم يهنا بصباه كالأطفال:

-أراك كثير التفكير، يا ولدي.

-لقد جاء وقت العمل والجد، فما مضى شيء، وما سيجيء شيء آخر.

-الله يطرح البركة والتوفيق في كل أعمالك، ويتولاك في كل أوقاتك.

ليتني أستطيع أن أساعدك.

-نعم، تستطيعين، وأنا بحاجة لمساعدتك.

ظننت أم عبدالرحمن أنه بحاجة إلى مشورة أو مال، ولكن عبدالرحمن

أكمل:

-الخياش التي في المجلس.

-ما بالها؟

-أريد أن تُقصِّي كل خيشة كبيرة، ثم تخطيها ثلاث خياش صغيرة.

-أفعلُ وكرامة، يا ولدي.

-وأريد شيئاً آخر، يا أم عبدالرحمن.

-أبشر يا نور عيني، ماذا تريد؟

-أريد أن أفطر، فأنا جائع.

ضحكت أمه، وأحسَّت بشيء من الطمأنينة، فلا يستطيع عبدالرحمن

أن يهازحها إلا إذا كان مرتاح النفس.

وقد قصّد عبدالرحمن مـمازحة أمّه؛ لأنّه يعلم أنّها تحسّ بالراحة تجاهه إذا رآته يمزح، وترى أنّه حينئذ منشـرح البال.

\* \* \*

جاء الخال أحمد قرابة الساعة الثامنة صباحاً، وقبل أن يجيء كان عبدالرحمن قد وصل إلى آخر الدنيا ورجع أكثر من مرة، يطير به خياله كل مَطِير، مرة على جناح الآمال حتى يرى نفسه شيخ العطارين، ومرة على جناح الآلام، حتى يرى نفسه غارقاً في الديون.

ركب الخال أحمد في السيارة الحوض لآخر مرة، وركب بجانبه عبدالرحمن، ووصلا إلى السوق عندما نشف ريق الضحا من شدة الحر.

نزل الخال أحمد -ومن خلفه عبدالرحمن- قائلاً:

-هيا أيها التاجر الصغير؛ لنذهب إلى دكانك.

-هل نقلت ملكيته إلى اسم أمي؟

-لا، ولكن الدكان ملككم من اليوم، وسأنقل ملكيته الأسبوع القادم

بإذن الله.

-إن شاء الله.

كان أبو النور جالساً تحت مظلة صغيرة أمام الدكان، وما إن رأى

الخال أحمد حتى سارع في النهوض، وبالع في الترحيب:

-السلام عليكم يا عم أحمد، نورت السوق بكم.

-وعليكم السلام. ما أخبار الدكان؟

-على حاله.

سكت قليلاً، ثم أكمل:

-بل أسوأ. لا بُدَّ أن تجدَ مستأجرًا جديدًا للدكان يا عم أحمد.

-لقد وجدتُ.

-الحمد لله، وجدتَ مستأجرًا؟

-لا، بل مالكا.

-ستبيعُ الدكان.

-الدكان من اليوم لعبدالرحمن وأمه، يا أبا النور.

فتح أبو النور فاه، ونظرَ إلى عبدالرحمن نظرةً اختلطت فيها الدهشة

بالإعجاب وبالخوف وعدم الفهم.

-عبدالرحمن ولد أختك؟

-نعم، عبدالرحمن هذا الذي بجاني.

-عبدالرحمن: إيه، عبدالرحمن أنا، لماذا تستغرب؟ هل تراني صغيرًا

عن ذلك؟ أم جاهلاً بالسوق؟

-أستغفر الله، أبدأ، لقد كان الأمر مفاجئًا لي فقط.

وفي الحقيقة لم يكن الأمر مفاجئاً لأبي النور تماماً، فقد شعر بأن عبدالرحمن يدور حول الدكان بسبب كثرة سؤاله عنه، ولكنه كان يظن أنه سيستأجره من خاله، أما أنه يشتريه فهذا شيء لم يخطر بباله.

-أحمد: الدكان الآن ملك عبدالرحمن، هو والبضاعة التي فيه.

-وأنا، يا عم أحمد.

بادر عبدالرحمن:

-طبعاً ستبقى معي في الدكان، فانا بحاجة لمساعد، ولن أجد أفضل منك.

لم يَدُرْ أبو النور ما يقول، فهو غير واثق من إدارة عبدالرحمن للدكان، ولكنه استحي من أن يرفض العمل، وخاصة في وجود خاله أحمد، فآثر السكوت، وانتظار ما ستسفر عنه الأيام القادمة.

\* \* \*

أعطى الخال أحمد مفتاح السيارة، وهو يَهِيمُ بالعودة:

-هذا مفتاح السيارة معك، وهذا الدكان لك.

-ما قَصَّرْتَ يا خال!

-أدعو لك بالتوفيق والإعانة.

-دعني أذهب بك إلى حيث تريد.

-عافاك الله، عندي عمل قريب من هنا.

ذهب الخال، وجلس عبدالرحمن بجوار أبي النور قليلاً يتلفت ويفكر كيف يبدأ بتنفيذ أفكاره التي طوى عليها فؤاده، وأبو النور لا يتمالك نفسه أن يقوم ويخبر بهذا الخبر القنبلة، لولا الحياء من عبدالرحمن.  
دخل عبدالرحمن إلى داخل الدكان، تفحصه جيداً، وعرف ما فيه، فوجد أن نواقصه أكثر من موجوداته.

مال أبو النور إلى جاره أبي كريم صاحب الدكان الذي بجانبه:

-واه، هل علمت أن عبدالرحمن اشترى دكان العم أحمد!

-أخيراً باع أحمد دكانه! ولكن من عبدالرحمن؟

-عبدالرحمن ولد أبي سالم، ولد أخت العم أحمد.

-عبدالرحمن الحمّال!

-نعم، بلحمه وشحمه.

ضحك أبو كريم ضحكة سمعها عبدالرحمن من داخل دكانه:

-وهل له شحم؟ إنها هو جلد على عظم.

-ولكن له عقل وهمة أكبر من الشحم المتراكم عليك.

لم يلبث الخبر أن انتشر في السوق، وطار ذكره حتى سار على الأفواه، وملاً الأذان، وصار حديث المجالس في السوق.

\*

\*

\*

عاد عبدالرحمن بعد صلاة المغرب إلى أمّه فوجدها مستغرقة في خياطة الخياش، فأهوى إلى يدها يقبّلها:

- ما شاء الله على أم عبدالرحمن!

- خياشك كثيرة يا أبا الخياش.

- لا تعبي نفسك في خياطة الخياش، يكفيني منها الآن أعداد قليلة.

- بالعكس، أنا أسلي نفسي بهذا العمل.

- آمل أن الخياش لم تأكل العشاء!

- الله أكبر، الذي يسمعك يظنّك كثير الأكل، إنما هي ثلاث لقيمات.

- وأين هذه اللقيمات الثلاث؟ أنا جائع.

لم يكن عبدالرحمن جائعاً، وإنما أراد أن ترتاح أمّه من الخياطة.

جاءت أم عبدالرحمن بالعشاء، ووضعت على الأرض، وجلسا

متقابلين، وقبل أن يبدأ عبدالرحمن بالأكل سألت أمّه:

- ما أخبار السوق اليوم؟ وأخبار دكان خالك؟

- قصدك دكان أم عبدالرحمن.

- بل دكان عبدالرحمن.

ضحك عبدالرحمن، ثم قال وهو يكمل أكله:



- كل شيء تمام، أخبر خالي أبا النور أن الدكان صار ملكنا الآن، بل  
وأعطاني أيضًا السيارة.  
- الحمد لله.

- الدكان قديم، وبحاجة إلى تنظيف وتجديد.

- وماذا ستفعل؟

- سترين يا أم عبدالرحمن، سترين.

حمد عبدالرحمن الله أن الحوار توقَّف عند هذه النقطة، ولم يصل إلى  
محتويات الدكان.

\*

\*

\*

صباح يوم الاثنين مختلف كليًا عن الصباحات السابقة، فقد ذهب  
عبدالرحمن إلى السوق -بعد قرابة سبعة أشهر من تركه لدكان أبيه- مالكًا،  
لا عاملاً ولا حمالًا.

وصل إلى الدكان قبل أبي النور، فتحه وهو يدعو بالبركة والرزق،  
ونظف ما أمامه.

ثم التفت إلى الدكان، وزفر زفرة طويلة:

- التنظيف لا ينفع معك، أنت بحاجة إلى أكثر من ذلك.

وصل أبو النور رافعًا صوته على عادته:

-اللهم افتح لنا أبواب رزقك، وعافنا وعاف عنا.

-صباح الخير، يا أبا النور.

-صباح الرضا والعافية، أراك تكلم الدكان من الآن؟

-لا بُدَّ أن يكلم الإنسان كلَّ ما يحبُّ، يا أبا النور.

تبسم أبو النور:

-وهل ردَّ عليك الدكان؟

-نعم.

-وماذا قال؟

-قال: ينقصني بضائع كثيرة، وأنا بحاجة للتنظيف والتجديد.

-لقد قال لي الدكان ذلك من زمان!

-إذا فقد كنتَ تكلمه.

زمَّ أبو النور شفتيه، وهزَّ رأسه، ثم قال:

-المهم، أنت بماذا أجبتَه؟

-قلت له: أبشِّر.

-لكن (أبشِّر) هذه لا تأتي ببلاش.

-كلُّ شيء يأتي مع الوقت، يا أبا النور.

شرب عبدالرحمن وأبو النور شاي الصباح، ثم نهض:

- اسمع، يا أبا النور.

- سمعاً وطاعة.

- أولاً: أريد أن تكون دائماً مبتسماً وواثقاً وحسن الظن بالله.

- أنعم بالله.

- ثانياً: اجمع كلّ العلب والدهونات والكريمات في كراتين قبل أذان

المغرب، ودع الأكياس الكبيرة والخياش، ولا تذهب حتى آتي.

- إن شاء الله.

- ثالثاً: ادعُ الله لي بالتوفيق، فأنا ذاهب إلى معركة عسيرة.

- الله يسترُ، معركة.

- مع السلامة، ولا تنس الكراتين.

\*

\*

\*

خرج عبدالرحمن من دكانه إلى شيخ العطارين أبي سعد، أراد أن يصله

مبكراً قبل أن يزدهم دكانه بالتجار أو الزبائن.

وجد عبدالرحمن شيخ العطارين مع أحد محاسبيه، فجلس عبدالرحمن

قصياً ينتظر فرصة مناسبة لمخاطبة أبي سعد.

اشتدّت المناقشة حتى إن أبا سعد لم ينتبه لعبدالرحمن، حتى همَّ

عبدالرحمن بالانصراف، إلا أنه سمع أبا سعد يقول للمحاسب:

- اذهب الآن إليه، ولا تأتِ إلا ومعك المبلغ.

انتظر عبدالرحمن قليلاً أيضاً كي يهدأ أبو سعد، ثم تقدّم إليه، وسلّم

عليه:

- أهلاً عبدالرحمن، هل هناك مشكلة؟

- لا، والحمد لله.

- ماذا عندك إذًا؟

تمنّى عبدالرحمن لو اختار غير هذا اليوم للكلام مع أبي سعد، فيظهر

أن مزاحه اليوم متعكّر جدًّا، ولكن طمعه في إكمال نواقص دكانه دفعه

للكلام:

- لقد اشتريتُ دكان خالي أحمد.

- إيه، صحيح، لقد سمعتُ بذلك، بارك الله لك فيه.

- وفي الحقيقة كثير من بضائعه ناقصة، أنت تعلم أن أبا ناصر قد أهمل

الدكان في آخر حياته و...

- والمطلوب؟

- أحتاج أن آخذ منكم بعض البضائع بالآجل.

- أنت أيضًا، يظهر أني سأوقف البيع بالآجل، تأخذون ثم تتعبونني في

التسديد.

-ولكنك تعرفني يا أبا سعد، أنا لا أهمل ديوني، ولا أقصّر في

سدادها.

-كلّكم تقولون ذلك.

عاد المحاسب بسرعة، ودخل في الحوار دون تمهيدات:

-دكانه مغلق، يا عم.

-ما شاء الله! مغلق أيضًا، هيّا بنا، تعال.

انصرف أبو سعد، وترك عبدالرحمن جالسًا مع أحزانه وهمومه:

-كنتُ أسمع أن أبا سعد سريع الغضب.

=وقد رأيتُ كيف امتنع عن مساعدة أبي.

=ولما أخطأ اثنان من الحمالين لم يتساهل معها، وطردهما من السوق.

=يظهر أنك قد وقعت في مصيبة كبيرة، يا عبدالرحمن.

\*

\*

\*

خرج عبدالرحمن من دكان شيخ العطارين متّجهًا إلى أبي عائشة

والدنيا فوق كتفيه، يجرّ قدميه جرًّا، فقد خاب ظنّه في أبي سعد، ويخشى أن

يكون حاله مع أبي عائشة كذلك، ولم يخرجّه من حالته الكئيبة إلا أذان

الظهر.

وبعد صلاة الظهر ترَبَّع عبد الرحمن، ووضع مرفقيه على ركبتيه، ورمى رأسه فوق كفيه، ودخل إلى صومعة التفكير، وسمع من داخله صوتاً يقول:  
- هذا اليوم من أوله سُؤْم.

- يعني؟

- لا تذهب إلى أبي عائشة، قد يردّك كأبي سعد.

- يا الله، وماذا أفعل؟

- يجب أن تذهب إلى البيت، وترتاح، وتترك باقي الأعمال إلى الغد.  
هذا أفضل حل.

وفجأة يأتي صوت آخر:

- ما هذا يا عبد الرحمن؟ ألا تعرف أن التشاؤم من عمل الجاهلين،  
والمسلم لا يتشاءم، فالأمر بيد الله وحده.

- صحيح، ولكنني أخاف أن يردني أبو عائشة كأبي سعد.

- لا علاقة لأبي عائشة بأبي سعد. أبو سعد ردّك لأنه كان غاضباً،  
وأنت اخترت الوقت الخطأ، وكذلك لم تحسن عرض طلبك عليه.

- يعني: ترى أن أذهب لأبي عائشة؟

- استعن بالله، ثم جهّز المسألة في نفسك جيّداً، وتوكّل على الله،

واذهب.

خرج عبدالرحمن من صومعة التفكير، وانتصب واقفاً، وقال بإصرار:  
- سأذهب إلى أبي عائشة.

\* \* \*

وصل إلى دكان أبي عائشة بعد صلاة الظهر بقرابة ساعة، وكان بيت  
أبي عائشة بجانب الدكان.

دخل عبدالرحمن الدكان ولم يجد أبا عائشة:

- أين أبو عائشة؟

- خرج قبل قليل.

- ولكنني أريده في أمر مهم.

- لعله في بيته.

- في بيته.

- نعم، أول باب يسار الدكان.

تردّد عبدالرحمن في طرق الباب، لكنه قال:

- لعلّ كلامي مع أبي عائشة في بيته أحسن من كلامي معه في الدكان.

طرق الباب برفق، فجاءه الردّ بسرعة:

- طيّب، طيّب.

إنه صوت بنت، لكنه صوت ناعم، مليء بالحنان، ذكره بصوت العنود.

لحظات ويُفتَح الباب:

-السلام عليكم، أريد العم أبا عائشة؟

-وعليكم السلام، ليس في البيت. لقد جئت مبكرًا قليلًا هذا اليوم، لكنَّ الغداء جاهز.

-الغداء جاهز؟

-هل أنت عامل جديد؟

-عامل جديد؟

-لا بأس، يظهر أنك مضطرب، خذ الغداء، واذهب به إلى أبي.

ثم أغلقتِ البنت الباب، وعبدالرحمن متجمّد أمام الباب، لا يدري ما الذي أصابه، ولماذا بلع لسانه، بل لم يستوعب الذي حدّث؛ لأنه حدّث بسرعة.

وفجأة يتنبه عبدالرحمن أن يديه تحملان غداء العم أبي عائشة بتكليف من بنتٍ لعلها بنته، أحسّ بحرج شديد، ودارت به الأرض، لو لم يناديه العامل لسقط على الأرض:

-يا ولد، جاء العم أبو عائشة.



قال عبدالرحمن بتلُف:

-الحمد لله، أين هو؟

-في الدكان، وقد أبلغته عنك وعرفك، تعال معي.

أسرع عبدالرحمن خلف العامل الذي أخذه إلى غرفة صغيرة في داخل

الدكان:

-تفضّل، العم أبو عائشة ينتظرك.

دخل عبدالرحمن وهو متردّد:

-السلام عليكم ورحمة الله، يا عم.

هنا انتبه مرة أخرى إلى الغداء الذي يحمله، فوضعه أمام أبي عائشة،

ومدّ يده للمصافحة.

-وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا عبدالرحمن. ما شاء الله! هذه

المرّة أتيت معك بطعام.

وقع عبدالرحمن في حرج لم يقع في مثله من قبل، وبكلّ اضطرابٍ يرُدّ:

-لا، يا عم، هذا غداؤك.

-غداي، وأنت تأتي به؟

-أصلاً عندما جئتُ ولم أجدك قالوا لي: إنك في البيت.

-فذهبت إلى البيت، وطرقت الباب، وأعطتك عائشة الغداء دون أن

تسألك؟

-في الحقيقة هي سألتني، ولكنها أغلقت الباب قبل أن أجيب.

ضحك العم أبو عائشة ضحكة قصيرة:

-هذه البنت لا تدع العجلة، أصلحها الله.

تمنى عبدالرحمن لو أنه أطاع الصوت الذي أمره بعدم الذهاب، فيظهر

أنه وقع في مصيبة أكبر من مصيبة أبي سعد، وقبل أن يحاول التملص

ويهرب ينادي أبو سعد على أحد العمال:

-خُذِ الغداء إلى البيت، وقل لهم يجهزونه في المجلس، لأنَّ عندي

ضيفًا.

غاص عبدالرحمن في ثيابه أكثر:

-يا الله، وعنده أيضًا ضيف، ما هذا الخطأ!

-هاه، يا عبدالرحمن، هل تريد أن نشرب شايًا أم نتغذى؟

-لا، يا عم، كثر الله خيرك، أنا سوف أذهب، وآتي في وقت آخر.

ازداد حرج عبدالرحمن، فقد اضطر أبا عائشة أن يعزمه مع الضيف

الذي عنده.

-لا يمكن، أنت ولد أبي سالم، وأبو سالم صديق قديم، وإن كان قد أغضبني، لكنك أصلحت ما بيننا.

منذ أن كلم عبدالرحمن أبا عائشة في شأن مساعدة أبيه، واستطاع إقناعه، وأبو عائشة معجب به، وبذكائه ومنطقه وحسن تعامله، وقد رغب في الكلام معه عن قرب بعد أن جاء إليه عبدالرحمن بنفسه.

-هيا، يا عبدالرحمن، كي نتغذى والغداء حار؛ لأنني لا أحب الغداء البارد.



تنحى أبو عائشة ودخل البيت، ودعا عبدالرحمن إلى الدخول، وتبعه عبدالرحمن لغسل يديه، ثم توجه إلى المجلس، ليجدا الغداء جاهزاً وموضوعاً على مائدة ليست مرتفعة عن الأرض، يأكل منه الأكل وهو جالس.

-تفضل يا عبدالرحمن، يا أهلاً وسهلاً.

-لعلنا ننتظر الضيف، يا أبا عائشة.

يضحك أبو عائشة ضحكتين ضعيفتين، فقد ضعف بسبب المرض والكبر:

-أنت الضيف يا ولدي، تفضل، سم الله.

لم يصدّق عبدالرحمن نفسه، وبلى لم يَدْرِ هل ما قاله أبو عائشة صدق أم  
أن الضيف اعتذر عن عدم الحضور.  
وبعد الغداء وغسل الأيدي يُطَرَّق باب المجلس برفق، ويرد أبو  
عائشة:

-ضعي الشاي عند الباب، يا بنتي.

يخفض عبدالرحمن عينيه، ويحسُّ بالحياء الشديد.

-يا ولدي، هاتِ الشاي، فأنت في مقام ولدي.

-أبشر، يا عم.

أتى عبدالرحمن بالشاي، وصَبَّ منه للعم أبي عائشة، ثم صَبَّ لنفسه،  
رَشَف أبو عائشة رَشْفَةً طويلة من الشاي، ثم التفت على عبدالرحمن:

-خير يا ولدي، لماذا جئتِ إليّ؟

تردّد عبدالرحمن، فقد تشوّش ذهنه جدًّا، ولم يَعُدْ يدري هل الوقت  
مناسب لعرض طلبه أم غير مناسب، فقد بدأ الوضع صعبًا، ثم انتهى إلى  
خير، وأحسَّ من أبي عائشة مودة ولطفًا.

- ما لك ساكتًا، لعلّ شاي بنتي لم يعجبك!

- أبدأ، أبدأ، يا عم، لكن كان لي طلب، ولكنني أظنّ أنّ الوقت غير

مناسب له.

-طلب، خير إن شاء الله، تفضّل يا ولدي، الوقت مناسب.

-أريد بعض البضائع بالآجل.

-أهلاً وسهلاً، وماذا في هذا، ما زلتُم تأخذون مني بالآجل، وبعد أن

تكفّلت لي بالسداد استقامت كلّ أمور والدك، وليس عندكم مشكلة في التسديد!

أراد عبدالرحمن أن يكمل كلامه، لكن غَصَّ بالكلام، أراد أن يخبره بأنه يريد البضائع لتجارته الخاصة لأبيه، ولكنه خشي أن يرفض، وأقنع نفسه بأنه لم يكذب، ولم يقل إنّ الطلب لدكان أبيه.

-الحمد لله.

تبسّم أبو عائشة، وواصل كلامه:

-حتى لو أردت من السكر الصافي الذي وصل الأسبوع الماضي.

-السكر الصافي.

-هذا لا يطلبه إلا علية القوم، غالٍ لكنه لذيذ، والقليل منه يغني عن

كثير من غيره.

\*

\*

\*

يستأذن عبدالرحمن من أبي عائشة بعد أن خرجا من المسجد بعد صلاة

العصر:

-سَلِّمْ لي على أبيك.

-إن شاء الله.

شعر عبدالرحمن وهو عائد إلى السوق كأنه يطير فوق الأرض من  
الفرح، لولا أبو سعد لكان اليوم أجمل.

حَمِدَ اللهَ على أنه أطاع الصوت الذي أمره بالذهاب، واستعاذ بالله من  
الشيطان الذي زَيَّنَ له التشاؤم.

وصل إلى السوق في منتصف العصر، فساعد أبا النور في تجهيز  
الكراتين:

-أبو النور: لماذا هذه الكراتين؟ ولمن تأخذها؟

-سأخذها إلى البيت.

-إلى بيتكم! لماذا؟

-سأنظفها حتى تعود جديدة.

-نظفها في الدكان.

-الدكان قديم، وأريد أن أنظفه، ثم أذهنه بلون متميز

-راعي طويلة!

-من كانت أحلامه طويلة لا بُدَّ أن يكون باله طويلًا.

قُبِّلَ أذان المغرب أغلقت أغلب الدكاكين كالمعتاد، وعبدالرحمن  
يُدْخِلُ سيارته برفق في شارع السوق الرئيس الذي لا تدخل فيه السيارات  
في النهار لصِغَرِه وكثرة الناس فيه.

حمل أبو النور الكراتين، وساعده عبدالرحمن، ثم أنزلوها في بيت  
عبدالرحمن، وقبل أن ينصرف أبو النور إلى بيته وصَّاه عبدالرحمن أن يجهز  
باقي بضاعة الدكان، من الأكياس والخياش، وأن يُوثِقَ وكاءها جيداً.  
وما إن يدخل عبدالرحمن إلى أمه حتى بادرتة:

-ذهبت الخياش وجاءت الكراتين.

-هذه لن تبقى طويلاً يا أمي، الذي سيبقى لم يأت بعد!

-يعني ستجعل البيت مستودعاً!

-نعم، يا أم عبدالرحمن، حتى يفرجها الله، وأتوسّع أو أشتري  
مستودعاً.

انبهرت أم عبدالرحمن من كلامه الواثق، فذهب ما في نفسها من جعل  
البيت مستودعاً، واكتفت بقولها:

-الله يقرّ عيني بصلاحك وبذريتك، هذا الأهم، وأما التجارة فيكفينا  
منها القليل.

وبعد العشاء وصلاة العشاء مباشرة نام عبدالرحمن، حتى نفخ من التعب، فقد مرَّ عليه يوم طويل حافل، في بياضه حزن من أبي سعد، وفرح من أبي عائشة، وفي أول سواده حمل الكراتين وإنزالها.

\*

\*

\*

بقي عبدالرحمن في اليوم التالي في البيت ينظف البضائع علبة علبة، ثم يعيدها إلى الكراتين، وأما أمه فما زالت مشغولة بخياطة الخياش الصغيرة. وفي آخر العصر نقل ما بقي من أكياس وخياش في الدكان، وأتى بها إلى بيته، ثم طلب من أبي النور ألا يتأخر صباح الغد؛ لأنها سينظفان الدكان ويدهنانه.

وفي صباح الغد جعلوا الدكان كالجنه الذهبي نظافة ولمعانا، وكالسماء الصافية لونا، فقد دهنا الدكان باللون الأزرق الفاتح السماوي؛ لأنه يجعل الدكان أوسع وأكبر، ويجعله أكثر تميزاً عن بقية الدكاكين. وقد تعجَّب تجار السوق مما فعله عبدالرحمن بدكانه، فكلما مرَّ به تاجر سخر منه، وقال: لو اشترى بهذا المال بضاعة أو ادَّخره لكان أحسن له، وكان عبدالرحمن لا يلتفت إلى هُتْمهم الذي ما زال يرتفع حتى ترامى إلى مسامعه.

\*

\*

\*



داوم أبو النور يومين في بيت عبدالرحمن، فكان يساعده في تنظيف العُلب والعصّارات والدّهونات، ثم في تقسيم الأكياس الكبيرة في الأكياس الصغيرة التي خاطتها أمّه:

- غريب، ما هذه الأكياس الصغيرة؟

- لقد طلبتُ من أمي أن تخطيها بهذا المقاس.

- ولماذا كل هذا العناء، كان يكفي أن تكون في الكيس الكبير، فإذا طلب الزبون بعض الكيس وضعناه في كيس صغير أو كرتون.

- أبا النور.

- نعم.

- كمّل شغلّك، ودع التفكير لي لو سمحت.

وفي اليوم الثالث كان الدكان قد نشف دهبانه الجديد تمامًا، وانتهى عبدالرحمن وأبو النور من تنظيف البضائع، فنقلوها إلى الدكان، ورتّبوها، فلما انتهوا قال أبو النور:

- لقد صار الدكان أحسن، ولكنه ناقص البضائع، وهذه المشكلة

الأهم، وليس الدهان والترتيب!

- كمّل شغلّك، ودع التفكير لي لو سمحت.

رأى عبدالرحمن منصورًا آتيًا، فطلب من أبي النور تجهيز الشاي:

- السلام عليكم، يا عبدالرحمن.
- وعليكم السلام، وقبل الكلام اشرب الشاي.
- صَبَّ أَبُو النور الشاي لمنصور، فجلس:
- مبارك الدكان.
- الله يبارك فيه وفيك.
- العم عبيد يُريدك.
- اشرب شاهيك، ثم نذهب معاً إليه بإذن الله.
- أمسك عبدالرحمن بيد منصور، ودلفا متجاورين متصاحكين إلى العم عبيد، وما إن رآه العم عبيد حتى تَبَسَّمَ، وَهَشَّ وَهَشَّ فِي وَجْهِهِ، وَطَلَبَ مِنْهُ الْجُلُوسَ أَمَامَهُ:
- عاد عبدالرحمن إلى عبدالرحمن الذي أعرفه.
- أفهم ما تعني يا عم، فقد قلتَ لي مرة: أنتَ لستَ عبدالرحمن الذي أعرفه.
- مبارك الدكان، وجعله الله باب خير وزرق حلال.
- آمين. وبُشِّرَني عن دكان أبي.
- كالحمار اللثيم، إن ضربته سار، وإن تركته رفسك.
- ضحك عبدالرحمن مِلْءَ شِدْقِيهِ، فَقَدْ كَانَ سَعِيدًا هَذَا الْيَوْمَ، وَقَالَ:

- بما أنه يسير بالضرب فلا بأس.
- لكنَّ أباك ضعُف عن الضرب، يا عبدالرحمن.
- الشكوى لله.
- المهمُّ بئُرني أنت عن دكانك.
- دكاني كمُفحص قِطاة، كلما دخلته تنثر شيء من بضاعته بسبب ضيقه.

- هو خير من عدمه.
- صحيح.
- وخير من التحميل.
- أرجو ذلك.
- الذي أعرفه أنه ناقص البضائع كثيرًا.
- هذا صحيح، وقد كلَّمت أبا عائشة، وسوف يعطيني بالأجل، والحمد لله.

- هذا جيد، والباقي؟
- الباقي يسِّره الله!
- أنعم بالله، لكن لماذا لم تذهب إلى أبي سعد لأخذ الباقي منه؟
- في الحقيقة ذهبتُ، ولكنه رفض.

- لا يمكن أن يفعل ذلك أبدًا أبدًا.

استغرب عبدالرحمن من ثقة العم عبيد الذي أكمل كلامه:

- لقد قال لنا مرة: إنه وعدك بالمساعدة إذا طلبت منه ذلك.

- صدقت يا عم، هو كان وعدني بذلك، لكنه رفض بشدة، وعنفتني

أيضًا.

- هذا شيء غير مفهوم، عنفك! اذهب إليه مرة أخرى.

- ليس الخليل على ما كنت تعهده

قد بدّل الله ذاك الخلل ألوانا

- على كل حال كل ما تريده من دكاني فهو تحت أمرك. لكن إن كلمت

أبا سعد مرة أخرى ورفض فتعال إليّ، أنا آخذ منه بالآجل وأعطيك بالآجل.

\*

\*

\*

كان عبدالرحمن يجلس دائمًا في خارج الدكان، وعينه على موقف

الحمالين، فهو لا يريد أن يذهب ما بناه في زمن التحميل سدى دون فائدة.

حتى رأى العم فرجًا وهو يسأل حمّالًا عن عبدالرحمن، هُرعَ

عبدالرحمن بل ركض حتى رآه العم فرج، فرحّب به عبدالرحمن أشدَّ

الترحيب، وأصرَّ عليه أن يشرب عنده الشاي:

-ولكنني مستعجل.

-لن أؤخرُك، هذه المرة فقط.

-خير، إن شاء الله.

-أريد أن ترى دكاني، وتشرب عندي الشاي.

رفع العم فرج صوته:

-ما شاء الله، دكانك أم دكان تعمل فيه؟

-بل دكاني اشتريته من خالي.

-إيه، دكان خالك أحمد.

-هل تعرفه؟

-نعم، لقد جاء أكثر من مرة إلى الأمير يوسف يخلّص له بعض

المعاملات.

وصلا إلى الدكان، وأبو النور في استقبالهما بالشاي على حسب توصية

عبدالرحمن.

-هذا دكاني، وهو من اليوم دكانك، يا عم فرج.

-مبارك، وما دمت تأتي بأفضل البضائع فأنا معك، فالأمير لا يرضى

إلا بالأفضل.

-ستجد كل ما يسرك ويسر الأمير إن شاء الله، فنحن حريصون على رضا الزبائن وخدمتهم.

-الفعل هو المهّم، وليس القول.

-أول فعل وخدمية أن نوصل الطلبات إلى قصر الأمير يوسف إن شئت.

ضحك العم فرج:

-إلى قصر الأمير؟

-نعم، إن شئت الظهر وإن شئت المغرب. وهذا كل يوم.

-هل أنت جاد؟

-نعم.

-خلاص، هذه طلباتي اليوم، وهاتها الظهر.

-أبشر، صِف لي الطريق، وأكون عندك بعد صلاة الظهر مباشرة إن

شاء الله.

وقد كان أبو النور بين المصدق والمكذب، ولولا ما وجده من جدية

عبدالرحمن لقاطع كلامهما، وما إن ذهب العم فرج، حتى ألقى ما فيه نفسه

على مسمع عبدالرحمن:

- هذا جنون، كيف ستوصل المشتريات إلى القصر، هل تعرف كم سيكلفك ذلك من بنزين ووقت وجهد ....

نظر عبدالرحمن إلى أبي النور، فقد كان يعلم أن هذا أقصى ما يستوعبه أبو النور من خدمة الزبائن، وظلَّ عبدالرحمن ينظر إليه، حتى أدرك أبو النور أنه تجاوز حده، ثم تبسَّم عبدالرحمن، وقال:

- أولاً: نحن نقدِّم هذه الخدمة لزبائن معينين سنكسب منهم الكثير.  
فأكمل أبو النور:

- وثانياً: كَمَل شغلك، ودع التفكير لي لو سمحت.  
- أحسنت.

\* \* \*

كان عبدالرحمن يعلم أن هذه فرصة يجب أن يستفيد منها جيداً، فقد يكون لها ما بعدها.

جهَّز طلبات العم فرج من أفضل بضائع السوق، ثم انطلق، ليصلي الظهر في الطريق، وبعد صلاة الظهر يكون أمام باب خدمات القصر:

- السلام عليكم، أريد العم فرجاً لو سمحت.  
- العم فرج عند الأمير يوسف، سيأتي بعد قليل.

جلس عبدالرحمن على كرسي مبني من الطين بجانب باب الخدمات،

حتى جاء أبو الفرج:

- أهلاً وسهلاً.

- حياك الله يا عم فرج.

- أنزل البضائع.

- لو عندك وقت يا عم فرج الآن، أنت دائماً مستعجل.

- أما في القصر فيكون عندي وقت في غير أوقات الإفطار والغداء

والعشاء.

- والآن؟

- باقى على الغداء قرابة الساعة، قل فيها ما تشاء.

- أبداً، أردتُ أن أريك بعض البضائع الجديدة، فأنت قد اعتدت على

شراء بضائع معينة، ولو رأيتَ هذه البضائع الجديدة ربما أعجبتك وأعجبت

الأمير.

أراه عبدالرحمن بعض البضائع الجديدة، وعرض عليه بعض الآراء

المتعلقة بالعطارة والطبخ مما استفاده من السوق:



-مثلاً، أنت تشتري دائماً نوعاً واحداً من الأباذير، صحيح أنه أفضل أنواعها، ولكنه لا يصلح لجميع أنواع الأرز، فبعض أنواع الأرز يناسبه بزار آخر لا يجهز ويطحن إلا حسب الطلب.

-هذا جميل.

-هل تعلم أنه قد وصل سكر صافٍ، طعمه ألدّ من السكر الحالي.

-تمام، الأمير يحبُّ الشاي كثيراً.

-هذا السكر الصافي لم يصل إلا الأسبوع الماضي، ولكنه غالٍ.

-إن أعجب الأمير فلا مشكلة في غلاته.

عاد عبدالرحمن إلى السوق ليجد أبا النور يكلم نفسه، ويكاد يخنقها:

-ما بالك، يا أبا النور؟ لقد كان يومي جميلاً مباركاً.

-أما أنا فكان يومي سيئاً، أنا غاضب جداً، لقد جاءني اليوم أكثر من

زبون، فإذا وجدوا طلباتهم ليست كاملة عندي يذهبون.

-الشكوى على الله. الله يهديك يا أبا سعد.

\* \* \*

اعتاد عبدالرحمن على وضع كرسي ومنضدة صغيرة أمام الدكان، وأن

يكون الشاي جاهزاً، فإذا جاء زبون لهَّاه أبو النور بالشاي ريثما يجمع

عبدالرحمن نواقص طلباته من الدكاكين الأخرى، أو يلهيه عبدالرحمن وأبو  
النور يجمع، فأحياناً تنجح هذه الحيلة، وأحيان لا تنجح.

- هل هذا دكان عبدالرحمن؟

- نعم، يا أهلاً وسهلاً.

- أنت الذي تمون قصر الأمير يوسف.

- نعم.

- عمي صاحب معارض السيارات يريد هذه الطلبات.

- يا مرحباً، ويا أهلاً وسهلاً، أبشر، والله.

- حاول أبو النور إلهاء الزبون ليجمع عبدالرحمن النواقص:

- أنا مستعجل، والسيارة فيها بضائع، أعطوني الطلبات بسرعة لو

سمحتم.

- أبشر.

- جمع أبو النور الموجود، وانسل عبدالرحمن ليجمع النواقص.

- ما زالت الطلبات ناقصة؟

- أبشر، لحظات ويعود عبدالرحمن بالنواقص.

- أهم شيء السكر الصافي.

- لا، السكر الصافي ليس في كل السوق الآن، لا بُدَّ من طلبه.

-عجيب، يظهر أنكم ستؤخرونني، خلاص، لا أريد منكم شيئاً، مع

السلامة.

لم يتأخر عبدالرحمن، ولكنه عندما جاء لم يجد الزبون:

-أين الزبون؟

ردّ أبو النور وهو يتفقاً غضباً:

-إلى حيث ألفت رحلها أم قشع.

-الله يهديك، ما هذا الكلام؟

-ترك كلّ الطلبات، وغضب وذهب؛ لأن طلباته ليست كلها عندنا،

وخاصة السكر الصافي. الله يهديك يا أبا سعد.

أعاد عبدالرحمن البضائع التي جمعها، ثم جمع نفسه وذهب إلى أبي

سعد:

-السلام عليكم، أريد أبا سعد؟

-وعليكم السلام، أبو سعد ذهب، ولن يعود هذا اليوم.

\*

\*

\*

حمّد عبدالرحمن الله كثيراً لأنه لم يجد أبا سعد أمس، فقد كان من وصايا

أمه: لا تعمل شيئاً وأنت غضبان، فالغضبان يفعل الخطأ غالباً، ويقول ما

يندم عليه لاحقاً.

أما اليوم فقد هدأ عبدالرحمن، وأعاد حسابه، وفكّر فيما سيقوله، ثم ذهب في أول اليوم إلى أبي سعد، قبل أن يردّ عليه ما يكدر مزاجه، أو ينقص يومه، فوجده يشرب قهوة الصباح، ويقدّع التمر:

-صُبَّ القهوة، يا مبارك.

-هذا الصباح مبارك، وأبو سعد مبارك، ويشرب من قهوة مبارك.

كان هذا صوت عبدالرحمن، وهو يدخل إلى دكان أبي سعد:

-السلام عليكم ورحمة الله، يا أبا سعد.

-وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. تعال تقهّو واقدّع.

-كثّر الله خيرك.

-أكيد، عندك موضوع مهم، فلهذا جئت مبكراً.

-تذكرتُ قول الشاعر:

تَلَذُّ له المروءةُ وهي تؤذي

ومن يَعشَقُ يَلَذُّ له الغرامُ

-إن كنت تقصد الشطر الأول فأنت تريد سلفاً، وإن كنت تقصد

الشطر الثاني فأنت تريد أن أخطب لك؟

-بل الأول.

-هذا أسهل. تريد أن تأخذ مني بالآجل؟

-نعم، يا عم، فقد تضرّر دكاني بسبب نقص البضائع.

-لكن أباك يتعبنى في سداد ديونه.

-أنت تعلم أني تركت دكان أبي منذ أشهر.

-تقصد أن أباك طردك منه.

-لا، ما طردني، ولكنه أراد أن أرتاح شهرين؛ ليعمل إخواني

وحدهم.

-المهم، في السوق أكثر من دكان متأخر في سداد الديون، وأنا لا

أتساهل مع من لا يسدّد دينه؟

-أعلم ذلك.

-سأبيعك بالآجل، لكن إن خسرت أو لم تستطع سداد الدين فقد

يصل الأمر إلى بيع دكانك.

-أعرف ذلك، وأنا موافق عليه

-يا مبارك، سجّل الدين على عبدالرحمن، وأعطه ما يريد.

تنفّس عبدالرحمن ريحة النصر والراحة، أخيراً وافق أبو سعد، وحمد

الله مرة أخرى لأنه لم يكلمه أمس وهو غضبان.

\*

\*

\*

استغرب كثيرًا أبو عائشة عندما وجد في طلبات عبدالرحمن (السكر

الصافي):

- هذا غالٍ، ولن يشتريه منك أحد في سوق العطارين!

- طلبه زبون عندي.

- ما شاء الله! كيف عرف الزبون بهذا السكر وهو لم يأت إلا قريبًا؟

- أنا أخبرته.

- وهل يعرف سعره؟

- أخبرته أنه غالٍ جدًا.

- حملوا لعبدالرحمن طلباته، وسلّم لي على أبيك.

- إن شاء الله.

\*

\*

\*

- يا ولدي، لقد سحبت كثيرًا من المبلغ الذي بقيت تدخره سنوات!

- يا أمي، يا حبيبتي، أنا الآن على مفترق طرق، إما أن أصعد كثيرًا

بإذن الله، وإما أن أفلس.

- الله يسرّ عليك يا بعدّ عمري.

- ولن أتوانى في عمل كل شيء يمكن أن يساعدي على النجاح.

- إن شاء الله، لكن ارفق بنفسك وبهالك قليلًا.

-لقد بذلتُ جهدي في التخطيط، وهذا الوقت هو البداية الحقيقية لتنفيذ ما خططتُ له.

-لا أعرف ما تخطط له، ولكنني خائفة عليك.

-أرجوك يا أمي، كوني دومًا معي، شجّعيني ولا تخوِّفيني، ولا تُخلِّيني من دعائك.

-إني لأدعو لك في كل صلاة، وفي السَّحَر، وكلما خرجتَ.

\* \* \*

فتح أبو النور الدكان، واستغرب تأخُّر عبدالرحمن على غير عادته، لكنه لم يتأخَّر كثيرًا، فقد جاء ومعه زيران لتبريد الماء.

نادى عبدالرحمن أبا النور، الذي أقبل مسرعًا، فلما رأى الزيرين خاب ظنه:

-ما هذا؟ ظنته بضائع للدكان!

-سيأتي الله بالرزق، وهذان الزيران شكرٌ لله على تيسير الأمور.

-لم أفهم!

-هيا، احمل معي.

ثبَّتَا المحامل جيدًا بجوار موقف الحمالين، ثم وضعَا الزيرين عليهما،

وأقبل الحمالون يشكرون عبدالرحمن:

-لقد كنا نعطش كثيرًا، والأزيار التي عند المسجد بعيدة عنا.

-هذا من فضل الله.

ضحك أحد الحمالين وهو يقول:

-الحمد لله، فقد كان عملك في التحميل مفيدًا لنا.

-صحيح، لقد كنتُ أعاني من العطش وبُعْدِ الأزيار.

-والماء البارد الآن بجانبنا.

-بقي أن تعبثوا الزيرين.

تسابق بعض الحمالين، وأتوا بجوالين الماء، حتى امتلأ الزيران.

\*

\*

\*

الآن يا أبا النور نذهب إلى أبي سعد؛ لنجلب طلبات الدكان:

-أخيرًا، هيّا بنا.

انطلق أبو النور إلى دكان أبي سعد:

-يا أبا النور، توقّف هداك الله.

-ماذا هناك أيضًا!

-سنذهب بالسيارة، فالبضائع كثيرة وثقيلة.

-مستعدُّ أن أحملها على ظهري، المهم نكمّل نواقص الدكان.

-سيكون ذلك إن شاء الله.



ولما وصلا لأبي سعد رَحَّبَ به أَكثَرَ من المعتاد:

- أهلاً وسهلاً، لقد أحسنتَ بوضع الزيرين للحمالين.

- الحمد لله.

- لقد كنتُ أفكر في وضعهما من مدة.

- إن سبقتُ في فضلٍ فإنما تعلمتهُ منك، يا أبا سعد.

اهتزَّ أبو سعد لهذا الإطراء، وازداد ترحيماً وبشاشة:

- ماذا عندك؟

- جئتُ لأخذ الطلبات.

ومدَّ عبدالرحمن ورقة الطلبات، فظهر التعجُّب على وجه أبي سعد

بسبب كثرة الطلبات.

لقد فكَّر عبدالرحمن بالزيرين منذ كان حمالاً، وقويت الفكرة بعد أن

اشترى الدكان، وقد قصَّد أن يبدأ جلب البضائع من أبي سعد بشكر الله،

لكنه لما رأى تغير وجه أبي سعد رجا في نفسه أن يكون الزيران سبباً لتهدة

أبي سعد وموافقة على هذه الطلبات الكثيرة.

وفعلًا وجد أبو سعد حَرَجًا من رفض طلبات عبدالرحمن، بعد هذا

الإطراء، وبعد أن مدحه أمام الزبائن.

جمع عمال أبي سعد طلبات دكان عبدالرحمن، ثم وقَّع على الدَّين، ثم التفت إلى أبي النور:

-هذا الدَّين يا أبا النور سيكون سيفًا على رقبتني إلى أن أسدَّده.

-واو، ما أشدَّ أبي سعد على من لا يسدِّد دينه!

-هيا، احمل البضائع.

وما إن ركبا السيارة حتى اندفع أبو النور يسأل:

-ما كلَّ هذه الطلبات يا عبدالرحمن! لقد أخذت أكثر مما يحتاج إليه

الدكان.

-أعلم ذلك.

-ولماذا فعلت ذلك.

-لو انتهت بعض البضائع عندنا، ولم نستطع أن نسدِّد دَين الطلبة

الأولى، فكيف سنأخذ من أبي سعد طلبية أخرى.

-لم أفهم!

-سأضع في الدكان ما يحتاج إليه من هذه البضاعة، وأضع الباقي في

البيت، ثم أمُدُّ الدكان من البيت، فنعرف بذلك ما البضائع المطلوبة التي

ستتهي بسرعة، فأحاول أن أستبدلها من أبي سعد بغيرها.

-تمام. ولماذا لم تعمل مثل ذلك مع أبي عائشة.

-ليست أصابعك سواء، أبو عائشة أستطيع أن آخذ منه ما شئت،  
بخلاف أبي سعد؟

أنزل عبدالرحمن وأبو النور بعض البضاعة، فالدكان صغير، ولا  
يتحمّل بضائع كثيرة:

-سأذهب إلى البيت، أنزل بقية البضائع، ولقاؤنا غداً.

-دعني أذهب معك.

-لا حاجة لذلك، فأنا أستطيع إنزالها وحدي.

\* \* \*

وقف عبدالرحمن أمام دكانه الصغير غير هيّاب ولا قَلَقٍ هذه المرة،  
فالدكان مليء بكلّ ما يطلبه الزبائن، بل هو الدكان الوحيد في السوق الذي  
فيه السكر الصافي.

وقف أمامه وهو يقول في نفسه:

-من شاء أن يأتي الآن فليأت.

-أين عامل رئيس معارض السيارات؟

لكنّ صوتاً قوياً قطع كلامه مع نفسه:

-هذا دكان عبدالرحمن.

كان هذا صوت أحد الحمالين، ومعه زبون.

-السلام عليكم، أهذا دكان عبدالرحمن.  
 -وعليكم السلام يا عم، نعم، وصلت، سم.  
 -أرسلني سيدي الأمير إبراهيم، يريد منك أن تزوره هذه الليلة أو  
 القابلة أو الآبله، لكن لا تتأخر.  
 رَحَّب عبدالرحمن برسول الأمير، ولَزِم عليه أن يجلس، وصَبَّ له  
 الشاي:

-خير، إن شاء الله.  
 -لا أدري، لكنني أظنه بشأن بعض المشتريات والطلبات.  
 انتبه عبدالرحمن إلى أنه نسي أن يصب الشاي للحمال، فطلب من أبي  
 النور أن يُصَبَّ له، وأكمل كلامه:  
 -أبشر، أنا آتي إليه في الموعد الذي يناسبه.  
 -الليلة مناسب، لكن لا تتأخر، بعد صلاة العشاء مباشرة.  
 -إن شاء الله، هل تريد أن أصلي العشاء عنده أو أصلي عند بيتي ثم  
 آتي.

-لا، بل تصلي العشاء في المسجد المجاور للقصر.  
 -سأكون في المسجد قبل المؤذن إن شاء الله.

انصرف رسول الأمير دون أن ينظر إلى الحمال، فطلب منه عبدالرحمن

أن يجلس، وأن يكمل الشاي على مهله:

-لقد أحسنتَ يا أخي في دلالة الرجل إلى دكاني.

-هذا عمل يسير، يا عبدالرحمن.

دسَّ عبدالرحمن رياءً في يد الحمال، وودعه.

لم يُعْجِبْ أبا النور فعلُ عبدالرحمن:

-لماذا أعطيته رياءً كاملاً؟ صرتُ لا أفهمك.

-يظهر أنني سأتعب كثيراً في الشرح لك يا أبا النور.

-اذكر لي سبباً واحداً مقنعاً.

-ألم يَدُلَّ الرجلُ إلى الدكان؟

-هذا فعل معتاد، أي إنسان كان سيُدُّهُ على الدكان.

-لكن هذا الرجل ليس أي رجل، إنه رسول أمير، وربما استفدنا منه

خيراً.

-ربما.

-أتريد سبباً آخر؟

-إيه.

-ربما يخبر زملاءه الحمالين بذلك، فيحرصون على جلب الزبائن إلينا.

-وهناك أمر ثالث، وهو أن أذهبَ إلى عملي، وأدع التفكير لك.

-كل مرة تقول ذلك، ثم تغلبك نفسك على السؤال.

\* \* \*

عاد عبدالرحمن إلى بيته بعد صلاة العصر، وأخبر أمه بلاقائه الليلة، وطلب منها الدعاء:

-أسأل الله أن يرعاك بحفظه، وأن يحرسك بعينه، وأن يحوطك بتوفيقه، وأن يجعل لقاءك خيرًا وبركة، وأن يبلغك ما تحب.

كان عبدالرحمن مضطربًا جدًّا، فهذه أول مرة يتلقى بها رجلًا بهذه المكانة، فاغتسل قبل صلاة المغرب، ولبس أحسن ملابسه، ورجل شعره، فلما أراد أن يذهب بعد صلاة المغرب مباشرة فوجئ بخاله أحمد وقد دخل عليه البيت:

-السلام عليكم، يا عبدالرحمن.

-وعليكم السلام، يا خال.

لقد قَلِقَ عبدالرحمن، فليس من عادة خاله أن يزروهم هكذا.

-هل ستذهب للقاء الأمير؟

ذهب رَوَّع عبدالرحمن، وابتسم، ثم التفت إلى أمه:

-آه، يا أم عبدالرحمن، لا تدعين القلق.

- خالك يا ولدي أكثر منك خبرة في ذلك.

بادر الخال أحمد:

- لقد دخلتُ على الأمراء والكبراء.

- وهل لقاؤهم يختلف عن غيرهم.

- نعم، الأمير إبراهيم من كبار الأمراء، فإذا دخلتَ عليه فسلم، ثم

انتظر ولا تجلس حتى يطلب هو منك الجلوس، ولا تتكلم حتى يسألك،

وإذا أجبتَ فلا تكثر الكلام، وإياك أن تغتاب أو تذمَّ عنده أحدًا، وإن قال

ما يضحك فتبسَّم بلا صوت، وإن قال ما يُعجِّب فتعجَّب منه، وإن أظهر

إعجابه بشيء فأظهر إعجابك به.

- واو، واو، كنت سأكلمه كأبي سعد أو أبي عائشة.

- وإياك ثم إياك أن يحسَّ منك بالطمع أو الاستغلال، وأظهر له

النصح فيما يتعلق بالعطارة بطريقة مناسبة دون استعلاء أو تكرير، وإياك أن

تقول له: هذا الشيء غالٍ، أو تستكثر طلباته.

- يا خراب بيتك يا عبدالرحمن، كنتَ تريد أن تذكر له غلاء السكر

الصافي.

- وأخيرًا، كن هادئًا في دخولك وخروجك، وإن طلب منك شيئًا فقل

له: أبشِر وسم، وإذا انتهى اللقاء قل له: أنا في خدمتكم في أي وقت.

لقد عَلمَ عبدالرحمن أن الناس مقامات، وأن طريقة التعامل مختلفة،  
فما يصلح لناس قد لا يصلح لآخرين كما عَلمَ أن المشورة من أهل المشورة  
الناصحين عقل ثان للإنسان وليس ضعفًا في عقله ولا شخصيته، فمهما  
كان المرء ذكيًا وحريصًا فهو لا يحيط بكل شيء، ولا يتقن كل شيء.

\* \* \*

انتهت صلاة العشاء ولم يدر عبدالرحمن ماذا قرأ الإمام، ثم تلا أذكار  
ما بعد الصلاة، وتلّفت فلم يرَ رسول الأمير، فقام وصلى راتبة العشاء بتأنٍ  
حتى ذهب أكثر المصلين، ثم تلّفت فلم يرَه.

خرج من المسجد، ومشى الهوينى، لعلَّ أحدًا يناديه أو يعرفه، حتى  
اقترَب من قصر الأمير، فلم يجد بُدًا من أن يعرف نفسه للحرس عند  
البوابة، فأدخلوه إلى مجلس واسع، فيه بضعة رجال ينتظرون الأمير أيضًا.  
ذهبت تعليمات خاله، فلا يدري ما يفعل، وبقي واقفًا، حتى طلب منه  
أحد الحاضرين الجلوس.

وما هي إلا دقائق قليلة حتى دخل الأمير ومعه حاشيته وحرّسه  
المقربون، فنهض الجميع، وجلس الأمير في مكانه، وألقى السلام، فردَّ  
الحاضرون السلام، وجلسوا إلا عبدالرحمن بقي واقفًا.

نظر الأمير إلى عبدالرحمن مستغربًا:



- لماذا لم تجلس؟

- لم أكن لأجلس حتى يأذن الأمير لي.

- تفضّل، يا ولدي، تفضّل.

شرع الأمير في الكلام مع جلسائه، ولم يُعِزْهُ كبير اهتمام، حتى دَخَلَ طبّاخُه الذي عرّفه عبدالرحمن بمجرد رؤيته، فقد مرَّ على العم فرج قبل أن يأتي، وسأله عن الأمير وعن طبّاخيه:

- سمو الأمير، متى تريدون العشاء؟

- ضعوه بعد ساعة من الآن. لكن أين العطار الذي سيأتي الليلة؟

- أخبرني حرس البوابة أنه جاء.

صار عبدالرحمن في حَيْصٍ بَيِّنٍ، هل يتكلّم ولم يطلب منه، أم يسكّت وهم يبحثون عنه:

- أحسن الله إليكم، يا سمو الأمير، أنا العطار.

- أنت العطار عبدالرحمن الذي ذكره الأمير يوسف.

نظر الطباخ عامر إلى عبدالرحمن:

- يظهر أنه هو أيها الأمير؛ لأن طباخ الأمير يوسف أخبرني أنه صغير،

لكن ما توقّعت أنه في هذه السن.

توجه الأمير بوجهه إلى عبدالرحمن:

- منذ متى وأنت تعمل في العطارة؟

- أنا لم أولد في سوق العطارين، ولكنني ابن السوق، درّجت فيه ونشأت، حتى تركت الدراسة من أجله.

استصغر الأمير عبدالرحمن، وقلّت منزلته في عينه، وأهمّل الكلام معه، حتى قال أحد الحاضرين:

- هذا الشاي أفضل أنواع الشاي، لم أذُق في حياتي أجود منه!  
راق الأمير هذا الكلام، لكنه أراد سماعه من عبدالرحمن، فتوجّه إليه، وقال:

- ما رأيك بهذا الشاي؟

- هي نوعية جيدة، ولكنها نخب ثانٍ، وأما النخب الأول منه فلا يستورده إلا تاجر واحد.

- وما أدراك أنها نخب ثانٍ لا أول؟

- هذا الشاي يزرع في سفوح الجبال، وأما النخب الأول فيزرع في المرتفعات.

كاد عبدالرحمن يزلّ به لسانه، ويقول: إن الأمير يوسف يستعمل النخب الأول من هذه النوعية من الشاي، لكنه انتبه في آخر لحظة، وقطع كلامه بطريقة لفتت انتباه الأمير إبراهيم.

- ما شاء الله!

استغلَّ عبدالرحمن الفرصة التي سنحت، وأكمل يقول:

- النخب الأول من هذا الشاي إذا طُبِّخ مع السكر الصافي ينتجان

أجود أنواع الشاي مذاقًا.

تذكَّر الأمير أنه كان استدعاه كي يسأله عن السكر الصافي، وقد

أعجبه كلامه قبل قليل، فقرَّر الإيغال في سؤاله لمعرفة خبرته في العطارة،

فقال مستفهمًا:

- الشاي الصافي؟

- نعم، هو سكر وصل حديثًا، القليل منه يغني عن الكثير من السكر

المعتاد.

- صدقتَ، لقد ذقته عند الأمير يوسف، وأعجبني كثيرًا. كما أني

أكلتُ عنده عشاءً لذيذًا.

ثم التفت الأمير إلى طباخه عامر، وقال:

- لماذا لا تطبخ يا عامر مثل هذا العشاء؟

نكَّس عامر رأسه، وخجل من كلام الأمير.

استغلَّ عبدالرحمن هذه الفرصة التي لم يتوقعها، فقال:

- سمو الأمير، الطباخ عامر من أمهر الطباخين، وسمُعتَه تجاوزت البلدة، وكثير من الطباخين يسألونه ويستشيرونه، وأظنَّ السبب في أنواع الأرز والأبازير التي يستعملها طباخ الأمير يوسف.

كَبُرَ عبدالرحمن في نفس الطباخ عامر، ولم ينس له هذا الدفاع، وحيثُذ قال الأمير إبراهيم:

-ولماذا لا تستعمل أنواع الأرز التي يأتي بها طباخ الأمير يوسف، وتضع معه الأبازير المناسبة؟

وقبل أن يجيب الطباخ عامر، أجاب عبدالرحمن:

-أنا الذي أوْمَنُ للعم فرج طباخ الأمير يوسف جميع أنواع الأرز، ومع كل نوع البزار الذي يناسبه.

-يعني أنه يستعمل الأبازير جاهزة.

-لكلِّ عملُه يا سمو الأمير، الطباخ يطبخ، والعطار يحضّر الأبازير المناسبة.

-إذا أنت الذي يؤْمَنُ الأرز والأبازير له.

-بل أوْمَنُ له كل ما يحتاج إليه مطبخه.

اضطر الطباخ عامر إلى أن يقطع الحديث بقوله:

- يا سمو الأمير، العشاء جاهز.

-تفضّلوا، حياكم الله.

وبعد العشاء مباشرة رأى عبدالرحمن الحاضرين يودّعون الأمير ويذهبون، فعلم أن اللقاء قد انتهى.

\* \* \*

لم يقرأ عبدالرحمن بعض آيات من المصحف، بعد أن فتح الدكان، حتى جاءه الطباخ عامر:

-السلام عليكم، وصباح الخير، وأهلاً وسهلاً.

-وعليكم السلام، أهلاً بالعم عامر. صباح مبارك إن شاء الله.

-أشكرك يا عبدالرحمن، على ما قلته عني هذه الليلة.

-لا شكر على واجب، أنا ما قلتُ إلا الحق الذي يعرفه الجميع، أنت

من أمهر الطباخين.

-ولكني لا أعرفك من قبل.

-أنا أعرفك، فقد سألتُ عنك العم فرجاً.

-هل تعلم أن فرجاً ابن خالتي.

-عجيب....ب، ما أخبرني بذلك.

-المهم، عندي الآن طلبات مستعجلة، حقيقة قد أعجب الأمير

بخبزتك ومهارتك.

- أبشر، أنا في خدمتك وخدمة الأمير، إن شئت أوصل الطلبات إلى قصر الأمير بنفسي.

- وتوصل البضائع أيضًا. لكنني مستعجل، لا بُدَّ أن تكون هذه الطلبات عندي قبل أذان الظهر.

- أبشر، قبل صلاة الظهر بساعة أو أكثر تكون البضاعة عندك.  
- هذه ورقة الطلبات.

بهت عبدالرحمن عندما رأى الطلبات، والتفت إلى العم عامر الذي أراد أن ينصرف:

- من فضلك، لا بُدَّ من أسألك عن بعض الأمور المتعلقة بالطلبات.  
- مثل ماذا؟

- فيها: كيسا سكر صافٍ كبيران، أنت تعلم أن الكيس الكبير فيه ٤٥ كيلوجرامًا، لا عشرة كيلوجرامات.

- طبعًا، أعرف ذلك.

- لكن سعر السكر الصافي غالٍ.

- وهل سألتك عن سعره؟

تذكر عبدالرحمن كلام خاله، ولكنه ظنه لا ينسحب على طباخ الأمير.

- أنت تأتي بالطلبات، وتأخذ حسابك كاملاً بإذن الله.

-طبعا، طبعا.

توقف عبدالرحمن عن بقية الأسئلة؛ لأنه علم ألا حاجة إليها.

وبعد أن ذهب العم عامر، جاء أبو النور:

-لماذا تأخرت اليوم؟ سلامات.

-أخذتني نومة ما أحلاها!

-المهم، جاءتنا اليوم أهم طلبية في حياتي، وأريد أن أقول لك شيئا يا

أبا النور، اجعله نصب عينيك دائما، واعلم أني سأغضب عليك غضبا ما

غضبه على أحد أن خالفت هذا الكلام.

علم أبو النور أن الأمر جد:

-هذا كلام يحتاج إلى جلوس وكأس من الشاي.

جلس عبدالرحمن وجلس أبو النور، وبعدهما أن صَبَّ أبو النور له

كأسا وبدأ بشربه، قال عبدالرحمن:

-اسمعني جيدا، لا أريد منك أن تتحدث عن عملنا في خارج السوق

بناتا، لا أننا نوصل طلبات، ولا أننا نتعامل مع أمير.

-لماذا؟

-لأنني أريد ذلك.

-لكن بعض الذين في السوق يعلمون أننا نوصل طلبات.

-إذا سألوك عن ذلك فقل: هذا مشروع ربها يقف.

-طيب، أبشر.

-هل كلامي واضح أم أعيده؟

-لا، واضح.

-إياك أن تقول: نسيت، أو تقول: ظننتك أو حسبتك!

-يظهر أن الأمر أكثر جدية مما ظننتُ.

-نعم، هو كذلك.

\*

\*

\*

أخذ عبدالرحمن قليلاً من الطلبات من الدكان، وأكملها من المستودع الذي في بيته، ثم انطلق إلى دكان أبي عائشة، وما إن دخل عبدالرحمن حتى قَبَّلَ رأس أبي عائشة، وسلَّم عليه، وصَبَّحَ بالخير:

-ما شاء الله! أسرعتَ الرجوع يا عبدالرحمن، لعلك تراجعتَ عن مشروع الدكان.

-كلا، بل عندي زبون جديد، وأحتاج إلى طلبية إضافية من دكانك لتغطية مشترياته.

-لقد أخذتَ طلبية قريباً.

-لقد أخذتُ ما يطلبه أكثر الناس، أما هذا الزبون فمختلف.



-كيف مختلف، تاجر أم أجنبي أم أمير؟

-هو الثالث.

-أمير؟

-نعم.

-ما شاء وصلت إلى التعامل مع الأمراء.

-كنت أتعامل مع أمير فذكرني لأمر آخر، أو قل: كنت أتعامل مع

طباخ أمير.

-الأمر للعطارين سواء.

-وماذا طلب مما ليس عندك؟

-طلب كيسين من كل نوع من أنواع الأرز الفاخرة، وكذلك من

السكر الصافي،...

-كيف، كيسان؟

-نعم، وطلب أشياء أخرى أيضًا.

-لا بأس، كلها عندي، إلا السكر الصافي، فلم يبقَ عندي الآن إلا

كيس واحد، والباقي محجوز.

-أرجوك يا عم، هذه الطلبية فيها سُمعتي عند الأمير، وسوف يأخذ

كيسًا، ويهدي كيسًا، وهو عندما رأي احتقرني واستصغرنِي، ولم أثبت له

نفسى إلا بعناء وتعب، فإن لم آت بطلباته قبل صلاة الظهر فسينهدم كل شيء.

- أعطني ورقة الطلبات.

ثم نادى على سرور، وهو أهم العمال عنده:

- خذ هذه الورقة، وجهز كل ما عندنا مما فيها.

أكد عبدالرحمن:

- والسكر، يا عم.

- يكون خير، إن شاء الله.

ثم تبسم أبو عائشة، وقال:

- أنا أفطرت، هل أفطرت يا عبدالرحمن؟

- جزاك الله خيرًا، نعم.

- إذا هذا وقت قهوة الضحا، تعال نتقهو ونقدع.

- أعذرنى يا عم، أريد أن آخذ البضاعة، وأذهب بها بسرعة إلى قصر

الأمير.

- هل تريد أن تغضب عائشة، فمنذ أن عرّضتكَ للموقف المحرج

ذلك اليوم، وهي تسأل عنك لتعتذر منك.

- الخير من معدنه لا يستغرب.

-إذا تعال.

دخل أبو عائشة وعبدالرحمن المجلس، فوجدا القهوة والتمر جاهزين، فبادر عبدالرحمن إلى الدَّلَّة، فصَبَّ للعم أبي عائشة:

-صُبَّ لنفسك وتقهو، وإلا أخبرْتُ عائشة أنك لم تسامحها.  
-لا، أبدًا.

شرب عبدالرحمن والعم أبو عائشة بضعة فناجيل، ثم قال أبو عائشة:  
-هيا، أخبرني الآن، كم ستأخذُ رِبْحًا من الأمير على هذه الطليية؟  
لم يفهم عبدالرحمن خلفية هذا السؤال، ولكنه أجاب بحقيقة ما يفكرُ فيه:

-سأخذ منه الربح الذي آخذه من غيره.

تبسَّم أبو عائشة:

-قلت لي إنك قابلته.

-نعم.

-هل قابلته كغيره من الناس.

-أخبرني خالي بكيفية مقابلته.

-يعني أنه مختلف.

-نعم.

-إذا هو لا يرضى أن تعامله كالناس.

-لم أفهم.

-يعني تأخذ منه ضعف الريح الذي تأخذه من غيره.

أحسَّ عبدالرحمن بالفرع أول الأمر، فهو يحسن الظنَّ بأبي عائشة كثيرًا، حتى شعر أبو عائشة بما في نفسه:

-لا تستغرب يا ولدي، هكذا الحياة.

-وهل أحد يحب أن تأخذ منه أكثر مما تأخذ من الناس.

-نعم.

-ألا ترى أن السلعة الواحدة قد يختلف سعرها بحسب اختلاف مكانها، والمحلّ الذي يبيعها، وأن بعض الناس يذهب للمحلّ الذي يبيعها بثمان أغلى فيشتري منه؛ ليقال: إنه اشترى من محلّ الأغنياء.

-صحيح.

-إذا فبعض الناس يحب أن تأخذ منه أكثر مما تأخذ من غيره، هكذا

الحياة.

طَرَق سرور الباب، وأخبر أبا عائشة بأن طلب عبدالرحمن جاهز،

فنهض أبو عائشة، ونهض خلفه عبدالرحمن، وعند خروجهما من البيت:

-شَرَّفَتَ البيت، يا عبدالرحمن.

ثم التفت إلى داخل البيت:

-خذي المعامل من المجلس، يا عائشة.

وبحركة لا شعورية قال عبدالرحمن:

-عائشة بنت طيبة، بلغها شكري لاعتذارها، مع أنه أمر لا يستحقّ

الاعتذار.

هزّ أبو عائشة رأسه، وانتبه عبدالرحمن لنفسه، فغاص في نفسه من

الخجل.

فلما خرجا وجدا العمال قد حملوا جميع الطلبية حتى السكر:

-عندي عشرون كيس سكر لتاجر حجزها، وسوف تأتينا دفعة

أخرى بعد يومين، ولن يضّرّه أن ينتظر يومين على كيس.

\* \* \*

وصل عبدالرحمن إلى قصر الأمير إبراهيم قبل صلاة الظهر بأكثر من

ساعة، وبعد أن أنزل العمال الطلبية، وتأكد عامر من جودتها وعددها، وقّع

على ورقة الطلبيات، ثم قال لعبدالرحمن:

-اذهب إلى مكتب الأمير، كي تأخذ حسابك.

-وأيّن مكتب الأمير؟

-اذهب إلى البوابة الرئيسة، وهم يدلّونك عليه.

ذهب عبدالرحمن على قدميه إلى البوابة الرئيسة، وهو متعجب لأن  
 الطباخ عامراً لم يناقشة في الأسعار، وربما لم ينظر فيها أصلاً.  
 -السلام عليكم، من فضلك أريد مكتب الأمير.  
 -وماذا تريد منه؟  
 مدَّ عبدالرحمن ورقة الطلبات الموقَّعة إلى الحارس.  
 -إيه، معك فاتورة تريد حسابها.  
 -نعم.

دَلَّ الحارس عبدالرحمن على المكتب، وفي المكتب أخذ حسابه، ثم وقَّعَ  
 على تسلُّم المبلغ، بكلِّ سلاسة.

\* \* \*

كان هذا المبلغ أكبر مبلغ يلامس يدي عبدالرحمن، وعبدالرحمن الآن  
 يكاد ينهي سنته السادسة عشرة من حياته، وكان أول ما فكَّر فيه: كيف  
 يحفظ المال دون أن يشغل تفكيره، فهذا مبلغ كبير، وقد تأتي مبالغ كبيرة  
 أخرى، ولا يمكن أن يضعها في الدكان أو في بيت أمته.

ذهب عبدالرحمن إلى المصرف؛ ليفتح حساباً باسمه، ولكن المصرف  
 رفض ذلك لأنه لم يبلغ الثامنة عشرة، وعرف من نقاشه مع موظف

المصرف أنه يمكن أن يفتح له حسابًا ولكن باسم آخر ممن تنطبق عليه الشروط.

لم يفكر عبدالرحمن كثيرًا في الموضوع، فلن يجد أفضل من أمه لذلك، أقنع أمه بالموضوع، وما هو إلا أسبوع حتى صار عند عبدالرحمن باسم أمه حساب مصري، ودفتر شيكات، وتوقيع معتمد.

وكان أول ما فعله بعد ذلك أن سدّد أبا سعد كل ديونه، وقد كان أبو سعد منبهراً جداً، وعبدالرحمن يمدُّ له شيكاً فيه مبلغ الدين:

- رجاء، اضرب على ديني الآن.

- طبعاً، يا مبارك اضرب على دين عبدالرحمن.

- طيب، والآن أريد طلبية أخرى.

- أبشر، الذي يسدّد دينه يستحق كل خير، لكن بشرني ما قصة دفتر

الشيكات؟

- أبداً يا عم، الشيك أريح وأضمن، حتى أنت ترتاح من حمل

الفلوس معك.

وما إن ذهب عبدالرحمن حتى قال التاجر أبو فهد:

- حتى عبدالرحمن معه دفتر شيكات، لقد هزلت!

- ما دام يسدّد دينه أولاً بأول فلا يهمني.

\*

\*

\*

تَقَضَّتْ هذه السنة بُعْجَرَهَا وَبُجَرَهَا، وهي السنة الرابعة منذ ترك  
عبدالرحمن المدرسة.

وأقبلت السنة الخامسة، وقد دخل عبدالرحمن السنة السابعة عشرة من  
عمره، وقد أصبح فيها له اسم في السوق، وخاصة في حرصه على جلب  
الجديد، وخدمة الزبون، وعرض البضائع على ما ترعَّب به الزبائن.  
وكان أكثر ما يتعبه صِغَر الدكان، فكان مضطراً إلى وضع القليل من  
البضائع فيه، ثم تزويده كل يوم بالتواقص من مستودع البيت، وربما انتهى  
الذي في الدكان فاضطر إلى تأمينه من دكان آخر، وخصوصاً من دكاني أبيه  
والعم عبيد.

\*

\*

\*

كان من عادة عبدالرحمن ابتداء من هذه السنة أن يَمَرَ كل ضحا خميس  
على العم فرج، والعم عامر، وصاحب عطارة الأمانة، يَسْلُم عليهم،  
ويعرض عليهم جلب حوائجهم من السوق.  
أما العم فرج والعم عامر ففرحا بذلك، فقد رِيَّحَها عبدالرحمن من  
مشاوير السوق، والحساب لا يُيْمُهما؛ لأنه كان على مكتب الأميرين.



وأما صاحب عطارة الأمانة فكان يتوجَّس ويراجع عبدالرحمن في الأسعار كثيرًا، ولكنه في كل مرة يذهب فيها إلى السوق يجد أن أسعار عبدالرحمن كالسوق أو أقل.

ولم ينس الطباخ عامر موقف عبدالرحمن معه، فكان يثني على مهارته في العطارة عند ما يلقي أحدًا من الطباخين والعاملين في مطابخ الأمراء والتجار، فقد أراد أن يرد إحسان عبدالرحمن بإحسان.

وهكذا تعرَّف عبدالرحمن على زبائن آخرين، وتعرَّف عليه زبائن آخرون، كلهم يرغَّب في خبرته ومهارته وجديده، وإراحتهم بتوصيل الطلبات إلى أماكنهم.

\* \* \*

مرَّ أحد الحمالين على دكان عبدالرحمن، فسَلَّم عليه، وسأله:

-بشِّرني عن حالك وحال أمك؟

-الحمد لله، بخير ونِعَم، نسأل الله شكرها.

-تفضَّل، استرح.

أجلس عبدالرحمن الحمال، وصَبَّ له الشاي، ومزاحه حتى انتهى من

شربه للشاي.

فما إن قام حتى وقَّف زبون يسأل:

-أريد أرز أبو بنت.

-موجود يا عم، وكل أنواع الأرز موجودة.

-أعطني خمسة كيلوجرامات، وأعطني أيضًا من الحبة السوداء كيلوجرامًا واحدًا.

-أبشر، استرح يا عم، صَبَّ له يا أبا النور الشاي.

جلس الزبون وصَبَّ له أبو النور الشاي، وأجلس أبو النور الحَمَل على كرسي آخر وصَبَّ له الشاي أيضًا.

\* \* \*

-عبدالرحمن، شيخ العطارين يريدك حاليًا.

كان هذا صوت مبارك عامل أبي سعد.

-حاليًا؟

-نعم، ولن أعود إلا وأنت معي.

-عجيب، ماذا هناك؟

-لا أدري، لكن بعض التجار مجتمعون عند أبي سعد وصوتهم مرتفع.

-اللهم لطفك وحفظك، يا حفيظ يا كريم.

ترك عبدالرحمن العمل الذي في يده، وجاء مسرعًا إلى شيخ العطارين:

-السلام عليكم.

ردَّ أبو سعد:

-وعليكم السلام، يا عبدالرحمن.

-خير، يا أبا سعد.

-بعض التجار يشتكونك.

-بعض التجار أم أبو فهد؟

-المهم، يقولون إنك ....

-قبل ذلك، ألا تدعوني لأجلس كبقية الحاضرين.

-طبعًا، تفضَّل بالجلوس، يا عبدالرحمن.

جلس، وصَبَّ له مبارك القهوة:

-لو سَمَحْتَ، أريد شايًا، فلا أرغب في القهوة في هذا الوقت.

أسرع مبارك إلى إبريق الشاي، وصَبَّ له الشاي:

-نعم، ما الشكوى التي من بعض التجار، يا أبا سعد؟

-يقولون: إنك تستميل الحمالين إليك، وتجعلهم يأتون بالزبائن إليك.

-لم أفعل ذلك، ولا كَلَّمْتُ أحدًا منهم بشيء من ذلك.

هنا تدخل أبو فهد:

- لكنك وضعتَ عندهم زيرين للماء البارد، وتَصُبُّ الشاي لهم دائمًا، حتى الذي لم يأتك تدعوه وتَصُبُّ له الشاي، وربما تعطيهم بعض البَسْكَوَيْت والكَعَك.

- هذا صحيح، ولكنَّ أبا سعد أيضًا يفعل ذلك.

- أبو سعد يفعل ذلك.

- نعم، فقد كان يريد وضع زيرين للحمالين، ولكنه سمح لي بكرمه أن أسبقه إلى وضعهما.

ثم التفتَ عبدالرحمن إلى أبي سعد، وقال:

- أليس كذلك يا أبا سعد.

زَمَّ أبو سعد شفتيه، وقال:

- نعم، صحيح.

قال أبو فهد (وهو يكتُم غضبه):

- أبو سعد شيخ العطارين، وهو يَخْدُم السوق دائمًا.

- وما المانع من أن نَخْدُم السوق أيضًا تحت إشراف أبي سعد

وتوجيهه.

- طيب، والشاي والبَسْكَوَيْت؟

- يا أبا سعد، يا جماعة الخير، يُمُرُّ بك همال مسكين، عطشان وجائع، وأنت تشرب الشاي وتأكل من خير الله، هل في أن تعطيه قليلًا من ذلك سوء؟ أنا ما قصدتُ شرًا ولا أذى بأحد.

- ولكن ذلك ضررنا.

- يا أبا فهد، أنت صاحب أكبر دكان بعد أبي سعد في السوق، فكيف أضرك أنا!

- جعلتَ الحمالين يأتون بالزبائن إليك.

- الله أكبر، الحل سهل، أحسنُ إلى الحمالين كما أحسن إليهم، بل أكثر من إحساني إليهم، وأنا أشهد أبا سعد وهذه الأوجه الطيبة أني لن أشتكيك.

استحسن أبو سعد كلام عبدالرحمن:

- صدق عبدالرحمن، أحسنوا إلى الحمالين جميعًا، ولن يميلوا إلى أحد منكم حيثنذ.

ظهر الغضب على أبي فهد:

- أتريد أن نخسر كل يوم من أجل الحمالين؟

- (كذلك كتتم من قبل فمنَّ الله عليكم).

تغيَّر وجه أبي فهد، ولكنه سأل:

-ماذا تقصد؟

سكت عبدالرحمن، وسكت الجميع، ونظر أبو سعد إلى أبي فهد كأنه يطلب منه أن ينهي الحوار، فجاء جواب عبدالرحمن:

-ليس في الإحسان إلى المساكين خسارة يا أبا فهد، وقد أخبرني العم عبيد أنك كنت في صغرك حمالاً في السوق.

عاد أبو سعد فنظر نظرة أخرى إلى أبي فهد، وهزّ رأسه، وكأنه يقول له: نهيتك، ولكنك لم تنته.

\* \* \*

رجع عبدالرحمن متنكّداً من هذا اللقاء الذي لم يتوقّعه، ولكنه علم أن المستقبل قد نجى له أمثال هذا الموقف، ولم يستغرق في التفكير فيما حدث حتى قطع نداء أبي النور شروده:

-عبدالرحمن، تعال بسرعة.

استفاق عبدالرحمن من شروده، ورأى زبوناً يتململ عند الدكان، فأسرع الخطا إليه وهو يعتذر:

-يا أهلاً وسهلاً، كيف أخدمك.

-عمي في السيارة، ويرغب في الكلام معك.

-يا مرحباً بك وبعمك وعمي، تفضل أمامي.

لم يعد عبدالرحمن ينهر بالسيارات الفاره، فقد رآها من قبل، ولكنه وقف باحترام أمام الباب الخلفي للسيارة التي فُتحت منه النافذة:

-يا أهلاً يا عم، أنا في خدمتك.

-أنت عبدالرحمن العطار.

-عبدالرحمن العطار في خدمتك.

-أأنت عبدالرحمن أم ابنه؟

-بل أنا عبدالرحمن يا عم، ولن تجد مني إلا ما يسرُّك ويرضيك.

-عندي مطبخ خاص يطبخ للمناسبات الخاصة، وأريد منك تأمين

طباخ ماهر يكون رئيساً للطباخين، وتأمين طلبات المطبخ.

-أبشر، ولكن ما الطلبات التي تحتاجون إلى تأمينها.

-إن وافقت على العرض فتعال غداً بعد صلاة العصر إلى مكنتي

لإتمام الاتفاق والتوقيع.

-أبشر، أبشر.

-الموظف سيخبرك بموقع المكتب.

أغلق التاجر نافذة السيارة، وانطلق دون أن يودّع أو يسلم.

بادر الموظف متلطفًا:

-لا تؤاخذه يا عبدالرحمن، فقد مرَّ بليلة حرجة.

- وما علاقتي بذلك؟

- علاقتك أنه بعد العشاء علّق بعض الأمراء بقوله: لقد أفسد طبّاخي

عليّ كل عشاء في خارج القصر.

فردّ صاحب المطبخ:

- إذا طبّاخكم ماهر جدًّا، يا سمو الأمير.

- نعم، ويستعمل أبازير عبدالرحمن، جرّبها وستجد الفرق.

- إن شاء الله.

قال عبدالرحمن:

- من هذا الأمير؟

- الموظف: لا أدري. ولكنني أدري أن صاحب المطبخ تضايق جدًّا من

تعليق الأمير، وهو الآن يريد أن يثبت أن طبخ مطبخه ليس بأقلّ من غيره.

- سأكون في الموعد، بإذن الله.

\*

\*

\*

لم يوقّع عبدالرحمن من قبل على عقود، ولا يعرف نبود العقود، ولا ما

يترتب عليها.

ولذا عاد إلى البيت مبكرًا، وصلى العصر في مسجد الحي؛ ليلتقي

بخاله أحمد بعد الصلاة:



-مرحبًا يا خال.

-مرحبًا، بشرني عن الدكان والعمل.

-الحمد لله، كل شيء يسير بخير، ولكنني أريد أن أجلس معك قليلًا.

-بشأن ماذا؟

-عرض عليّ صاحب مطابخ الكبراء تأمين بعض الطلبات، وطلب

مني التوقيع على عقد، وأريد أن آخذ رأيك في ذلك.

-حسنًا فعلتَ يا عبدالرحمن، ما رأيك لو تعشيتم عندنا الليلة أنت

وأهلك.

-إن شاء الله.

-بعد صلاة المغرب مباشرة، لا تتأخروا.

-بإذن الله.

أخبر عبدالرحمن أمه بخبر العشاء، فهتت وبسّمت:

-نتعشى عند خالك أحمد أم عند العنود؟

بادر عبدالرحمن بالجواب، وكأنه يدفع تهمة عنه:

-لا، أريد أن أستشير خالي في عمل تجاري.

-طيب، لا مانع أن تستشير خالك، ونزور العنود أيضًا.

كان قلب عبدالرحمن يصفق كلما ذكرت العنود، فقد كانت منذ صغرها مئنة نفسه، ومحل أنسه، قد أُشرب محبتها، وصدق مودتها. صلى عبدالرحمن المغرب، وبادر مع أمّه إلى خاله، وكالمعتاد فتحت العنود لهما الباب:

- أهلاً وسهلاً، تفضّلاً.

- أم عبدالرحمن: يا أهلاً بالغزال اللطيف، والظلّ الخفيف.

دخلت أم عبدالرحمن إلى داخل البيت، واستقبلها أخوها أحمد:

- يا مرحباً يا مرحباً. تفضّل يا عبدالرحمن.

وفي المجلس أخبر عبدالرحمن خاله عن عرض صاحب مطابخ

الكبراء:

- هذا أول عقد سأوقعه، وأخشى أن يكون فيه ما يضرّني.

- هذا صحيح، ففي العقود تكون بنود جزائية.

- وماذا ترى، يا خال؟

- أولاً: يجب أن تتفاهموا على جميع التفاصيل، وأن تكتب هذه

التفاصيل: أنواع المشتريات بالتفصيل، ومواعيد التسليم.

وثانياً: لا توقّع على العقد مباشرة، بل بعد أن يُكتب العقد اطلب منه

نسخة، وأخبرهم أنك ستوقّعه غداً بعد مراجعته والتأمّل فيه.

وأنا سوف أعزم غدًا بعد المغرب صديقًا لي عارفًا بهذه العقود،  
ونعرض عليه العقد.  
-جزاك الله خيرًا، الآن ارتحُ.

\* \* \*

جلس عبدالرحمن في المكتب على منضدة مستديرة، وأمامه صاحب  
مطابخ الكبراء، وثالثهم محاسب المكتب.  
-صاحب المطبخ: هل عندك استعداد أن تؤمن طبّاخًا ماهرًا، وتؤمن  
طلبات المطبخ.

-كلّ الاستعداد، بإذن الله.

-ومتى تؤمنها؟

-أما الطباخ فأحتاج لتأمينه من أسبوع إلى عشرة أيام، وأما طلبات  
المطبخ فممنذ أن نتفق على تفاصيلها أوّمنها بإذن الله.

-إذا وجدت الطباخ نوقّع العقد.

-إن شاء الله، ولكن نحتاج إلى الاتفاق على تفاصيل الطلبات.

-تأمين الطلبات سيكون مرتين في الأسبوع، الأربعاء والسبت.

-تمام. وماذا عن النوعية؟

-نريد أجود الأنواع.

- أنا لا أؤمن إلا بالأجود، ولكن عندي النوعية الجيدة، وعندي النوعية الممتازة، وعندي النوعية الخاصة التي لا أؤمنها إلا لقصور الأمراء، ولكل منها سعره.

- في الحقيقة سنحتاج إلى كل النوعيات؛ لأننا نطبخ لجميع هذه الشرائح بحسب الطلب. وفي كل مرة تأتي نعطيك ورقة بهذه الطلبات بالتفصيل.

- تمام.

- اتفقنا؟

- إن شاء الله.

- ولكن هناك شرط جزائي!

- إيه، هذا الذي أريد أن أسأل عنه.

- لو كانت الطلبات بغير الجودة المتفق عليها، أو لم تستطع تأمين الطلبات، أو تأخرت في إحضارها، فسوف تكون عليك غرامة تعويض خسارتنا؛ لأننا سنخسر بسبب ذلك شيئاً من سمعتنا وزبائننا.

- لا بأس، ولكنني لن أوقع العقد اليوم، سأخذ نسخة من العقد أراجعها، ثم أوقع عليها غداً.  
تبسم المحاسب، وقال:

- يظهر أنك نسييت أننا لن نوقّع العقد إلا بعد أن نجد الطباخ الماهر.  
- صحيح.

خرج عبدالرحمن متجهًا إلى العم عامر، وطلب منه البحث عن طباخ  
ماهر وله مقابل ذلك مكافأة مالية.

- ابحث لك عن أمهر طباخ، وحبًا وكرامة.

- لكن لا تتأخر.

- ولا حاجة للمال، فأنت صاحب فضل عليّ، والطباخ سيستفيد.

- لا بأس، الطباخ يستفيد، وأنت تستفيد، وأنا سأستفيد، إن شاء الله.  
- أبشر.

- هل في بالك أحد، أم أوصي العم فرجًا أيضًا.

- لا، لا حاجة لذلك، فعندي أكثر من طباخ، سأنظر في أمهرهم،  
وأخبرك.

\*

\*

\*

كان عبدالرحمن شديد الاضطراب وهو يوقّع أول عقد في حياته يوم  
الاثنين، ومع العقد ورقة بأول طلبات المطبخ ممهورة بخط الطباخ الجديد،  
ويجب أن يأمّنها يوم الأربعاء بحسب العقد.  
ولذا أسرع إلى دكان أبي سعد:

-لقد سَدَّدْتُ كل دينك قبل ثلاثة أيام، وأخذتُ طلبية جديدة.

-صحيح، وهذا شيك بدين تلك الطلبية.

-ما شاء الله، نفِدت؟

-أريد هذه الطلبية، وبسرعة.

كانت طلبية كبيرة؛ لأن عبدالرحمن اشترى من أبي سعد طلبات المطبخ مدة شهر كامل؛ ليضعها في مستودع البيت، ولا يحتاج إلى شرائها كل مرة.

-هذه طلبية كبيرة، يا عبدالرحمن.

-يعني؟

-لا أستطيع أن أعطيك إياها؛ لأن مبلغها كبير جدًا!

-سأدفع نصف المبلغ الآن.

-هكذا تمام.

كتب عبدالرحمن شيكًا آخر بنصف المبلغ، وسجّل أبو سعد باقي المبلغ دينًا على عبدالرحمن.

مرَّ عبدالرحمن على أبي النور وطلب منه أن يغلق الدكان، وأخذه معه

لإنزال البضائع في مستودع البيت.

وبعد إنزال البضائع انطلقا بسرعة إلى دكان أبي عائشة:

-تفضّل يا سرور، هذا شيك بديني.

-تمام، سدّدت جميع الدين.

-الحمد لله، الآن أريد بضاعة أخرى.

-آسف، لا أستطيع.

-لماذا؟

-هذا أمر أبي عائشة.

-لا يمكن، لا يعقل.

-طلب مني ألا أسلفك شيئًا.

-لا أستطيع أن أشتري البضاعة، خاصة أني دفعت لأبي سعد قبل

قليل مبلغًا كبيرًا.

-حتى الشراء، لا أستطيع أن أبيعك شيئًا.

-أين أبو عائشة؟

-ذهب لزيارة أخته، ولن يأتي إلا في المساء.

حار عبدالرحمن، ولم يذّر ما الذي حدث، فقد كان أبو عائشة برًا به

رحيمًا، بل كان يعامله كولده، ولذا ظنّ عبدالرحمن أن سرورًا يخفي شيئًا،

فجعل أبا النور يشاغل سرورًا وبقية العمال، وانسل هو بخِفة، وطرق باب

بيت أبي عائشة، فردّت عائشة بعد عدة طرقات:

-نعم، من الباب؟

- أنا عبدالرحمن.

- مرحبًا.

- أريد أباك.

- ليس في البيت، ذهب إلى عمّتي. خير إن شاء الله.

- يقول سرور إنه رفض أن يبيعني شيئًا أو يسلفني.

- أبي لا يفعل ذلك، كلنا نحُبُّك يا عبدالرحمن.

- ولكن سرورًا يؤكّد ذلك.

انكسر صوت عائشة كثيرًا وهي تقول:

- لا أدري.

\*

\*

\*

مرّت الليلة عليه سهرانَ قلقًا، وما أطول الليل على ما لم ينم! لم يستطع

أن يعرف ما الذي غيّر أبا عائشة عليه، بل لم يستطع أن يصدق ذلك.

وكلما اقترب الصباح زاد قلقه، فحينًا يرتاح لأنه سيذهب ويعرف

حقيقة الأمر، وأكبر ظنه أن كلام سرور غير صحيح، أو أنه فهم غير ما يريد

أبو عائشة، وحينًا يكاد يموت من الخوف والقلق لأنه يخشى أن يكون

الكلام صحيحًا.



الشرط الجزائي في العقد لن يستطيع عبدالرحمن أدائه، ولا تسديد غرامته، ومعنى ذلك النهاية الأليمة لتجارة عبدالرحمن.

وما إن صلى عبدالرحمن الفجر حتى انطلق إلى دكان أبي عائشة:

-السلام عليكم يا سرور.

-وعليكم السلام، ما شاء الله، جئت مبكرًا.

-أريد مقابلة العم أبي عائشة.

ضحك سرور وهو منشغل بنقل بعض البضائع إلى خارج الدكان:

-أبو عائشة لا يأتي اليوم قبل الساعة الثامنة.

-ماذا؟ الساعة الثامنة.

بقي عبدالرحمن يذرع الشارع مقابل دكان أبي عائشة ذهابًا وجيئةً في

انتظار خروج أبي عائشة، ثم يقف يتكأ قليلًا يفكر فيما يقوله له، ثم يكمل

ذرع الشارع، حتى ملَّ سرور من متابعته.

خرج العم أبو عائشة بعد الساعة الثامنة بقليل، ولما صَبَّ سرور له

القهوة، قال:

-الآن سيقفز أمامك عبدالرحمن.

-وكيف سمّحتم له أن يطرق باب البيت أمسي؟

-لقد غافلنا، وشاغلنا عامله أبو النور.

- لقد أخبرتني ابنتي عائشة عن ذلك، وهي حزينة.

- لكن عبدالرحمن يستحقّ، لماذا كذب عليك.

- أين هو الآن؟

- لا أدري، لقد جاء بعد الفجر مباشرة، وبقي يدور في الشارع في

انتظارك.

- لا يهتم، لعله رجّع.

بعد أن تقهوى أبو عائشة خرج ليجلس في شمس الضحا قليلاً،

فوجد عبدالرحمن نائماً وهو جالس متكئاً على جدار أمام الدكان.

- يا سرور، تعال.

- سم، يا عم.

- اذهب، وأيقظ عبدالرحمن، وليأتِ إليّ.

ذهب سرور، وأيقظ عبدالرحمن:

- لقد جئتَ بنفسك إلى غضب العم أبي عائشة.

- ما تقول؟ ولماذا هو غاضب.

- تعالْ معي بسرعة.

زادت حيرة عبدالرحمن، فهو لم يفعل شيئاً يغضب أبا عائشة، بل كان

يحبه ويقدره كثيراً.

وقف عبدالرحمن أمام أبي عائشة:

-السلام عليكم، يا عم.

-وعليكم السلام. ماذا تصنع بالبضائع التي تأخذها من دكاني؟

-ماذا؟

-تبيعها على من؟ وكيف تبيعها؟ بل أين تبيعها؟

أيقن عبدالرحمن أن أبا عائشة غاضب جدًا:

-أبيعها في دكاني، يا عم.

-سرور: العم أبو عائشة لا يحبّ الذين يكذبون أبدًا.

-الله سبحانه لا يحب الكاذبين، ولا يهديهم سبيلًا.

-سرور: ولماذا كذبت وأنت تعرف ذلك؟

-كذبتُ في ماذا؟ أنا لم أكذب على أحد، والحمد لله.

-أبو عائشة: اذهب إلى عملك، يا سرور.

-سرور: حاضر، يا عم.

-أبو عائشة: اسمع يا عبدالرحمن، لقد أحببتك لما فيك من خصال

طيبة، ولأني أعرف أباك من سنوات طويلة، ولكنك كذبت عليّ كثيرًا.

-لم أكذب عليك قط، من الأكيد أنّ في الأمر لبسًا.

-لقد ذهبتُ بنفسي، وسألتُ بنفسي، وعرفتُ الحقيقة بنفسي.

- لا أفهم ما تقصد.

- لقد ذهبتُ لزيارة أبيك في دكانه، فأخبرني أنك تركتَ العمل عنده من أكثر من سنة، وأنه لم يرسلك إليَّ لأخذ بضاعة لدكانه.

- أهو قال لك: إني تركتُ العمل.

- نعم، وأنه طلب منك أن تعود إلى العمل أكثر من مرة، ولكنك رفضتَ.

- أولًا: أنا لم أترك العمل عنده، بل طردني من العمل بعد أن منعني من المدرسة ثلاث سنوات.

سكت عبدالرحمن قليلًا، ونزلت منه دمعة سالت على خده، بالرغم من محاولته العنيفة لمنعها، فلما أبَتْ إلا أن تسيل نحى رأسه ذات اليسار، ومسح دمعته بيده، ثم أكمل:

- وثانيًا: أنا لم أقل لك قطَّ إني آخذ البضاعة لدكان أبي، بل في كل مرة أقول: إني آخذها لدكاني، ولو راجعتَ كل الأوراق لوجدتَ فيها (دكان عبدالرحمن)، لا (دكان أبي سالم).

- صحيح، أنت كنت تقول (دكاني)، ولكني كنتُ أفهم أنك تريد (دكان أبيك).

سكت عبدالرحمن؛ لأنه كان يقصد في البدء ألا يفهم أبو عائشة ذلك، ثم نسي أن يخبره بأنه يعمل لحسابه لا لأبيه.

أكمل أبو عائشة:

-ماذا تقصد بدكاني؟

-أقصد دكاني الخاص.

-أنت لك دكان خاص في السوق؟

-نعم، اشتريته من خالي، هو دكان صغير جدًا، ولكنه يكفيني، وكان ذلك بعد أن طردني أبي بقرابة ستة أشهر أو سبعة.

-ولماذا لم توضّح لي الأمر منذ البداية، فأنت كنت مع أبيك، وجئتني

لأساعد أباك في دكانه؟

-آسف، يا عم، ما كنت أعلم أن الأمر يهمك.

-على الأقل لما أوقعتنا في سوء التفاهم هذا.

-سأعني، يا عم.

-في الحقيقة حزنت جدًا لما ظننت أنك تكذب، فمثلك لا يكذب،

وأيضًا حزنت عائشة لذلك كثيرًا.

(حزنت عائشة كثيرًا) وقعت هذه الجملة في قلب عبدالرحمن، ولكنه

لم يكن في حالٍ تناسب أن يطيل فيها التفكير.

-أبعد الله عنكم الحزن وأسبابه.

-أخبرني سرور أنك سدّدت جميع الدين، ما شاء الله!

-أرضيت عني، يا عم؟

-كن حذرًا دائمًا يا عبدالرحمن، التجار يكرهون الكاذب جدًّا.

-ومن الذي يحبّه!

-الحمد لله، انتهى الأمر على خير، أخبرني سرور أنك تريد طلبًا

جديدًا.

تحسّس عبدالرحمن مُحبّاته حتى وجد الورقة، ومدها إلى أبي عائشة،

فلما رآها قال:

-لعلك تتأكّد من الورقة! لعلها ورقة أخرى.

-بل هي ورقة الطلبات، أريد كلّ هذه الطلبات.

-هذه طلبات ستة أشهر، يا عبدالرحمن!

-وقعتُ عقدًا مع مطبخ كبير، ويجب أن أوّمن له جميع طلباته، مع

الطلبات السابقة التي أخبرتك عنها من قبل.

كان عبدالرحمن يكبّر في عين أبي عائشة مرة بعد مرة، وكان يتمنّى لو

أنه عرّض عليه العمل عنده ولو براتب كبير، أم الآن فلن يقبل بالعمل عند

أحد وقد حفّر مستقبله بيديه.

قطع عبدالرحمن تفكير أبي عائشة:

-أستطيع دفع بعض المبلغ، مع أني دفعت أمس مبلغًا كبيرًا لأبي سعد.

-لا حاجة لذلك، بل نبقى على طريقتنا السابقة.

وبعد أن حمل العمال البضاعة:

-الحمد لله، أستطيع الآن أن أذهب.

تبسم أبو عائشة، وقال:

-هيا، إلى السوق، يا عبدالرحمن.

-بل إلى البيت، فمنذ أن أخبرني سرور بما أخبرني لم تَذُق عيني المنام،

ولا فمي الطعام.

مرَّ عبدالرحمن بالسوق، وأخذ أبا النور، ونزَّلا البضاعة في مستودع

البيت.

ثم التفت عبدالرحمن إلى أبي النور:

-أبا النور.

-سم.

-يا أبا النور.

-سم.

-هل أخبرت أحدًا بعملنا في خارج السوق.

- لا، أبدًا.

- وهل سألك أحد عن ذلك؟

- أبو فهد سألني أكثر من مرة عن خدمة التوصيل، ولمن نوصل،  
ولكنني لم أعطه جوابًا.

وبعد أن جمع عبدالرحمن طلبيات شهر كامل للمطبخ في مستودع بيته  
طلب من أمه فطورًا شهياً، وبعده نام نومًا هنيئًا.

\* \* \*

سارت تجارة عبدالرحمن جيدًا في النصف الأول من هذه السنة،  
وكانت أكبر مشاكله مشكلتين.

الأولى في صِغَر الدكان، فكان يضطرّ إلى استعمال بيته مستودعًا، ولو  
علمت البلدية بذلك لكانت مصيبة.

والمشكلة الأخرى في عدم وجود هاتف، فكان ذلك يكلفه أن يذهب  
بنفسه إلى المطابخ العامة التي يتعامل معها وإلى مطابخ الأمراء والتجار  
الذين يؤمن لهم الطلبات، مرة لياخذ ورقة الطلبات، ومرة ليوصل إليهم  
هذه الطلبات.

\* \* \*



جاء عبدالرحمن بعدما فتح أبو النور الدكان، وجلس يقرأ القرآن الكريم، فسلم عليه:

- ما هذا الكيس؟

أغلق أبو النور المصحف، وردّ السلام:

- مرّ قبل قليل عليّ رجل لا أعرفه، وطلب مني أن أبقى عندي هذا الكيس، وسوف يأتي رجل آخر لأخذه بعد قليل.

رفع عبدالرحمن الكيس:

- هذا غريب، هناك سُوس يخرج من أسفل الكيس.

- لم أنتبه لذلك.

فتح عبدالرحمن الكيس، فوجده قمحًا فاسدًا قد سَوس، بل إن فيه سُوسًا غريبًا لم يره عبدالرحمن من قبل:

- سأخذ الكيس إلى العم عبيد لأعرف نوع هذا السُوس، ولن أتاخر.

لم يجد عبدالرحمن العم عبيدًا، فترك الكيس لثقله عند جدار أمام دكان العم عبيد.

وهو عائد إلى دكانه شاهد موظفين من البلدية أمام دكانه، وهما

يفتشان الدكان بدقة:

- أهلاً وسهلاً، ماذا هناك؟

-تفتيش من البلدية.

-ولكنكم لم تأتوا إلي من قبل! فماذا جدّ؟

-لا شيء، دعنا نفتش ولا تشغلنا.

انتهى الموظفان من التفتيش، فبقيا يقلبان النظر في الدكان وحوله:

-هل تبحثان عن شيء معيّن؟

-جاءنا خبر يؤكّد صاحبه وجود قمح فاسد في دكانك، وأنت تبيعه

للناس.

نظر أبو النور إلى عبدالرحمن، وكاد يسقط من طوله من الخوف،

ولكن عبدالرحمن تمالك نفسه:

-دكاني -والحمد لله- لا يأتي إلا بالبضائع الجيدة، واسأل شيخ

العطارين عني إن شئت.

جلس عبدالرحمن بهدوء حتى ذهب المفتشان:

-اهدأ، يا أبا النور.

-ماذا فعلتَ بذلك الكيس؟

-هو أمام دكان العم عبيد، سأذهب الآن وأرميه في القمامة.

-يظهر أنها مكيدة، يا عبدالرحمن.

-جيد أنك أدركت ذلك، ولذا يجب ألا تأخذ مرة أخرى شيئاً لا تعرفه من شخص لا تعرفه.

-أعوذ بالله، هل إلى هذا الحد وصل الحقد؟

-يجب أن يحذر الإنسان من أعدائه مرة، ومن منافسيه مائة مرة!

\*

\*

\*

لم يكن في السوق هاتف إلا عند شيخ العطارين أبي سعد، وفي دكان أبي فهد، أما هاتف دكان أبي فهد فمن المستحيل الاستفادة منه، وأما هاتف دكان أبي سعد فلن يرضى أبو سعد عن ذلك إن طلب منه.

ففكر عبدالرحمن وقدر، ثم عزم على فكرة لمعت في عقله.

جلس عبدالرحمن بعد صلاة الظهر أمام دكانه، وأمامه كرسي آخر، ومنضدة عليها إبريق شاي، ومأكولات خفيفة، وما إن مرَّ مبارك عامل أبي سعد عائداً من المسجد حتى دعاه عبدالرحمن ولزم عليه أن يجلس معه قليلاً، ويشرب معه الشاي.

أصاب مباركاً القرم، فجلس، فأكرمه عبدالرحمن من الموجود، وأنسه وضحك معه، فلما رآه مسروراً، قال:

-مبارك، هل لك في أمر تستفيد منه، وأستفيد أنا منه، ولا يتضرر منه

أحد؟

- وهل يرفض أحد مثل ذلك، يا عبدالرحمن.

- قد تكسب منه يوميًا عدة ريالات وأنت في عملك.

- هذا عزُّ الطلب.

تنحج عبدالرحمن، ثم سكت فأطال السكوت، فقال مبارك:

- ما لك سكتَ؟

- لا بُدَّ أن أفكر في ذلك أكثر، فهناك أكثر من شخص قد يكون أكثر

ملاءمة منك.

انقلب رجاء مبارك خوفًا من فوات هذه الريالات، وحاول إقناع

عبدالرحمن:

- أنا صديقك القديم، وأنا أولى من غيري.

- ليست المسألة في الصداقة، ولكنها في القدرة على إجادة العمل

وكتماته.

- ستجدني كما تريد.

- سأفكر، وأكلّمك مرة أخرى.

\*

\*

\*

بعد منتصف العصر جاء مبارك إلى دكان عبدالرحمن:

- قلتُ لك: سأفكر في الموضوع، وأكلّمك فيما بعد.

-لم آتِ لذلك، أبو سعد يُريدك في أسرع وقت.

-لا إله إلا الله، ماذا عند أبي سعد هذه المرة؟

-في الحقيقة عنده أبو فهد وتجار آخرون.

-إذا شكوى أخرى.

أسرع عبدالرحمن إلى دكان شيخ العطارين أبي سعد، فبادر أبو سعد

هذه المرة إلى دعوة عبدالرحمن إلى الجلوس:

-سلامات يا عبدالرحمن، سمعتُ أن مفتشي البلدية جاؤوا اليوم إلى

دكانك.

-الذئب لا يهرول عبثًا، يا أبا سعد!

-ما تعني؟

-أعني أن هناك من وشى بي إليهم بأن في دكاني قمحًا فاسدًا مسوِّسًا!

-البلدية قالت ذلك؟

-نعم.

-وهل وجدوا شيئًا؟

-لا، والحمد لله، وقد كادوا.

-ما تقصد بـ: قد كادوا.

- قبل أن يأتي المفتشون ترك رجل عند أبي النور كيس قمح مسوَّسًا، وزعم أن رجلًا آخر سيأتي بعد قليل لأخذه، ولكنني جئت قبل البلدية، فلم رأيتُ الكيس مسوَّسًا تخلصتُ منه، والحمد لله.

- أحد التجار: هذه مكيدة!

- تاجر آخر: هل أنت متأكد، يا عبدالرحمن.

- متأكد من ماذا؟ من أبي صادق! أم من أن الكيس مسوَّس! أم من التاجر الذي كادني بذلك!

سكت الجميع وقتًا، حتى أبو فهد، لم ينس بكلمة، حتى قال أبو سعد:

- الحمد لله على كل حال، إنها دعوتك لأن أبا فهد اشتكاك؛ لأنك أخذت منه زبونًا مهمًا.

- ومن هذا الزبون المهم؟

دخل أبو فهد في الحوار:

- صاحب مطابخ الكبراء، فقد كان يأخذ مني طلبات مطبخه منذ أكثر من أربع سنوات.

- وهل وضعتُ عند مكتبه زير ماء، أو صببتُ له الشاي والبسكويت

كالحمالين؟

- لا أدري ماذا فعلتَ، ولكنه تركني وذهب إليك.

- اسأله، فأنا لا أدري لماذا تركك وتعامل معي، هو الذي جاء إليّ

وعرض عليّ، وأنا قبلتُ.

- بل تعرف.

- الذي أعرفه أنا أسألك: هل عندك جميع أنواع الأرز الجيد؟ وهل

تتعامل بالسكر الصافي الغالي؟ وهل تتعامل معه بربح معقول أم مبالغ فيه؟

حاول أبو سعد التوسط بين الطرفين:

- يكفي يا عبدالرحمن، صحيح أن للتاجر أن يتعامل مع من يشاء،

ولكن نحن لا نريد مشاكل في السوق.

- ما المطلوب مني يا أبا سعد، إن أراد أبو فهد فليذهب إلى صاحب

المطبخ، ويعرض عليه أنه سيؤمّن له جميع طلباته، ويتفق معه على التفاصيل

والأرباح، وإن وافق صاحب المطبخ فأنا موافق أنا أنسحب وأترك الاتفاق

لأبي فهد.

- (أحد التجار): ما قصّرتَ، يا عبدالرحمن.

اهتز أبو فهد في مكانه:

- طبعاً، لن يوافق؛ لأن ربح عبدالرحمن منه أقل من ربحي.

- أنا لم أعرف أنه يتعامل معك، وهو لم يخبرني، وأخذتُ منه الربح الذي أخذه من مثله.

فختم أبو سعد الحوار الذي وصل إلى آخره:  
- لقد أنصفك عبدالرحمن من نفسه يا أبا فهد، ولا يستطيع أن يفعل أكثر من ذلك.

\* \* \*

تعجّب عبدالرحمن من أبي كريم صاحب الدكان الذي بجواره:  
- كيف تترك العمل في السوق، يا أبا كريم؟  
- لقد قدّمتُ على هذه الوظيفة في وزارة الزراعة من أكثر من سبعة أشهر، وقد أخبرني نسيبي أن اسمي قد رُفِعَ مع الموظفين الجدد، وقد يوقّع المسؤول على الموافقة على توظيفي خلال شهر أو شهرين.  
- ربح التجارة في السوق أبرك من راتب الوظيفة الثابتة!  
- قد يكون كلامك صحيحًا، ولكن الوظيفة أريح للبال، راتب ثابت في آخر الشهر، لا يتغيّر مهما تغيّر السوق.  
ظهر التأثير على عبدالرحمن من قرار جاره:  
- الله يكتب ما فيه الخير. وماذا ستفعل بدكانك بعد ذلك؟  
- سوف أؤجره.



-ألن تبعه؟

-لا أفكر في بيعه.

\*

\*

\*

لأبي عائشة مكانة خاصة في نفس عبدالرحمن، لا يعرف سببها الحقيقي، فالذين يتعاملون معه جيدًا كثيرون، ولذا ترك السوق وذهب مسرعًا لزيارة أبي عائشة عندما عَلم بمرضه، وما إن طرَق الباب:

-من؟

-عبدالرحمن.

فتحت عائشة، وكانت شديدة القلق على أبيها:

-أهلاً عبدالرحمن، كيف تتأخَّر عن زيارة أبي هكذا وهو مريض.

-والله لم أعلم إلا قبل قليل.

دخلت عائشة إلى الداخل، ودخل عبدالرحمن إلى غرفة جانبية كان

فيها أبو عائشة، فسَلَّم عليه عبدالرحمن، فوجد مرضه خفيفًا:

-لا بأس، طهور، يا عم.

-جزاك الله خيرًا.

-رفعة للدرجات، وتكفير للسيئات.

-لا أراك الله مكروهاً.

جلس أبو عائشة على مهل:

-الحمد لله، أنت طيب، يا عم.

-الحمد لله، طيب جدًا هذا اليوم، وقد أخرج إلى الدكان أيضًا.

-لو استرحت قليلًا لكان أفضل.

-عائشة تقول مثل قولك. ألم تقل لك شيئًا عندما دخلت؟

ارتبك عبدالرحمن، ولم يدر ما يقول:

-لقد غضبت عليك لأنك تأخرت في زيارتي.

-لقد اعتذرتُ إليها بأني لم أعلم إلا قبل قليل.

-الذي يجبُ أحدًا يسأل عنه دائمًا. المهم أخبرني عن دكانك وتجارتك،

فقد أصبحت من أهم التجار عندي، وطلباتك تكبر يومًا بعد يوم، ما شاء

الله!

-كل شيء على ما تحب، يا عم.

-الحمد لله.

-وعندي موضوع أحب أن أعرضه عليك إن رأيت الوقت مناسبًا.

-تفضل، يا عبدالرحمن.

- سمعتُ عن بضائع جديدة في المنطقة الشرقية وصلت من الهند والصين وغيرهما، فلعلك تبادر إلى جلبها، وأن تكون المستورد لها في منطقتنا الوسطى قبل أن يسبقك إليها تاجر آخر.
- كلامك صحيح، وهو عين العقل وسِرُّ التجارة، ولكني لست في نشاطي السابق، وسوف أنبئه سرورًا لذلك.
- إذا سأكلّم سرورًا، وأخبره بالمعلومات التي عندي بالتفصيل.
- حسنًا تفعل.

\* \* \*

- تجهّز هو وأمه لزيارة خاله أحمد الذي دعاهم للعشاء بحضور ضيف عزيز على الخال، وما إن وصلا إلى بيت الخال حتى وقف عبدالرحمن مقابل أمه أمام الباب، فلفت ذلك انتباه الأم:
- ابتعد عن الباب قليلًا!
- لم أسمع صوت العنود منذ زمن، وأريد أن أسمعه بوضوح، يا أمي.
- أتجنّبها، يا بني.
- كثيرًا، يا أمي.
- الله يكتب ما فيه الخير.

لم تفتح العنود كالمعتاد، بل فتحت أم العنود، ورَجَّبت، فلما دخل  
عبدالرحمن إلى المجلس وجد صديق خاله المحاسب العارف بالعقود الذي  
استشاره في عقد صاحب مطابخ الكبراء.

رَحَّب الخال بعبدالرحمن، وأجلسه بجواره.  
وعلى عادة عبدالرحمن، تولى بنفسه تقديم الضيافة لخاله ولضيفه:  
-الضيف: أهلاً، عبدالرحمن، ما أخبارك، وأخبار المطبخ؟  
-الحمد لله، كل شيء بخير.  
-أنا بالخدمة، وجاهز لأي استشارة.  
-ما قَصَّرت، ولن تقصُر.

كان ترحيب الخال أحمد بالضيف ملفتاً، ولا يدري عبدالرحمن لماذا  
شعر بالضيق لهذا الأمر، ولكنه عمل بالمروءة، فعامل الضيف أحسن  
معاملة.

وبعد العشاء انصرف عبدالرحمن وأمه، وبقي الضيف وأهله:  
-ما شاء الله! حتى أهله حاضرون.  
-نعم، يا ولدي، زوجته وابنته.  
-وما أخبار العنود؟  
-لم تجلس معنا إلا قليلاً، لكنها كانت كالغزال، ماشاء الله!

\*

\*

\*

كان مبارك يتعمّد التمهّل أمام دكان عبدالرحمن وهو عائد من المسجد، وبعد أسبوع من الحوار السابق بينهما دعاه عبدالرحمن للجلوس وشرب الشاي:

-هاه، يا عبدالرحمن، هل فكّرت في الأمر، على الأقل جرّبي وستجدي كما تريد.

-تقصّد العمل الذي عرّضته عليك منذ أسبوع.  
-نعم، ما زلتُ أفكّر فيه؛ لأنني محتاج لزيادة دخلي جدًّا، وخاصة هذه الأيام.

-طيّب، سأخبرك بالأمر، وبالشروط، وبالمقابل المالي، ولا تردّ عليّ إلا إذا كنت متأكدًا من أنك ستقوم بالعمل على أكمل وجه.  
-أنا أسمعك.

-عندي زبائن يحتاجون أن يتّصلوا بي وأنّصل بهم بالهاتف، فسوف أعطيهم رقم هاتف دكان أبي سعد، وهم سوف يتّصلون بالدكان ويسألون عنك، والمطلوب منك فقط أن تخبرني باسم المتّصل في أقرب وقت.  
-ولكن أبا سعد سيلاحظ هذا إذا تكرر.

-لن يتصلوا إلا في أول الصباح، وفي وقت الظهر، وأبو سعد غالبًا لا يأتي في هذه الأوقات.

-صحيح.

-ولكن هل ستأتي في كل مرة وتتصل بهم من دكان أبي سعد؟

-ألم أقل لك في المرة السابق: إن هذا العمل لن يضرَّ أحدًا؟

-صحيح، ولكنَّ الاتصال من هاتف أبي سعد سيضرّه، وسيلاحظ ذلك.

-لن أتصل من دكان أبي سعد، أنت فقط أخبرني باسم المتَّصل، وزمن الاتصال فقط، هذا هو المطلوب.

-تمامًا، هذا عمل سهل.

-ولك على كل اتِّصال وإخبار نصف ريال.

-نصف ريال! جيد، جيد، وكم اتِّصالًا في اليوم؟

-أنت ونصيبك.

-أنا موافق، هذا الأمر لا يحتاج إلى تفكير.

-بقي أمر مهم.

-وهو؟

-إذا لم تكن حريصًا، أو كشفك أحدٌ، فأتفق معك من الآن أني

سأقول: إنني لم أطلب منك ذلك، ولا علم لي بما تفعل، هل أنت موافق؟

-هل هذا الأمر خطير؟

-إذا كنت حريصًا ومتبهاً فليس بخطر، وإذا لم تكن متبهاً فقد

يكشفك أحد العمال أو أبو سعد.

مدَّ مبارك يده:

-أنا موافق.

حلَّ عبدالرحمن مشكلة الهاتف، أو خَفَّف من مشكلته، فكان إذا

اتَّصل به أحد زبائنه بادر عبدالرحمن واتصل بهم من هاتف عمومي قريب من السوق.

فسهَّل هذا من عمله، وسهَّل على الزبائن من عملهم، وخاصة في

الأمر المفاجئة.

ففي إحدى المرات اتَّصل طبّاخ مطابخ الكبراء على مبارك، فلما اتَّصل

بهم عبدالرحمن أخبره الطباخ بأن البزار الخاص بالأرز البشوري قد انتهى،

ولم ينتبه مساعد الطباخ لذلك، ولا بُدَّ من البدء بطبخ مناسبة مهمة خلال

ساعتين من الاتصال.

ترك عبدالرحمن ما في يده، وأوصل الطلب إلى مطابخ الكبراء مباشرة، ولما وجد صاحب المطبخ بنفسه في انتظاره عليم أن المناسبة مهمة جدًا: -لم يكن هناك داعٍ لانتظاري، فانا إذا وعدتُ بشيءٍ وقِيتُ به. -المناسبة مهمة جدًا، ولو لم تأتِ لأتيتُ بنفسِي. سجّله على الحساب مع شكري الجزيل.

-أما البزار فسوف أسجله على الحساب، أما المشوار فهو هدية لكم؛ لأنكم زبون متميز.

دخل عبدالرحمن إلى المطبخ، ليسلم على الطباخ الذي جلبه من العم عامر، ويتجاذب معه الكلام.

\* \* \*

لَقَطَتْ هذه السنة أنفاسها الأخيرة، وقد ازدهرت تجارة عبدالرحمن، وتوسّع تعامله مع عدد من القصور والبيوتات الغنية والمطابخ العامة، وسارت له سمعة طيبة بين المطابخ والطباخين.

وفوجئ مرة بأّمه وهي تحبّره بعد صلاة المغرب بأن عامل خاله أحمد قد مر بها عصرًا، وهو يطلب منك أن تمر به بين العشائين:

-مرّ عليك العامل!

-نعم، لماذا أنت مندهش هكذا يا عبدالرحمن؟ فقد أخفّفتني.



- لماذا لم تمر العنود كالمتعاد؟

- قطع الله شيطانك! أخفتني، ظننتُ أن هناك أمرًا خطرًا بينكما.

- هل ترين أن العنود قد تغيّرت، يا أمي؟

- لماذا تفكر هكذا يا ولدي، لقد كبرت العنود ولم تُعَدْ صغيرة!

تنهّد عبدالرحمن، وكأنه أحسّ براحة لكلام أمّه وتفسيرها، ومنى

نفسه بسماع صوت العنود الرخيم عندما تفتح له الباب بعد قليل.

فتح الخال أحمد الباب لعبدالرحمن، فخاب أمل عبدالرحمن في لقاء

العنود وسماع صوتها.

أدخل الخال أحمد عبدالرحمن، وبالغ في ضيافته:

- خير يا خال.

- خير إن شاء الله. تعرف مطبخ الضيوف؟

- نعم، لكن من أين تعرفه أنت، يا خال؟

- صاحبه من زملاء صديق عزيز لي.

- أكيد، أخبرك بها جرى.

- نعم، وهو يرغب أن تعود إلى تأمين طلبات المطبخ.

- هل تعرف المشكلة، يا خال؟

- إن كان يمكن أن نُحلَّ فحلّها من أجلي.

-أبشر يا خال، من أجلك ومن أجل العنود أفعَل ما تطلب مني،  
ولكن آمَل أن تفهم المشكلة.

-دع العنود الآن جانبًا، وأخبرني عن المشكلة.  
لم يُعْجِب عبد الرحمن قولُ خاله، فهو يعلم أنها متعلِّقان ببعضهما،  
ولكنه استطرد قائلاً:

-المشكلة أن طباخه ليس بـماهر، وطبخه ليس بجيد، فالناس عندما  
يجدون أن الطعام سيئ قد يرمون باللوم على دكاني إذا علموا أني الذي  
أؤمِّن طلبات المطبخ.  
لم يخبرني بذلك.

-وقد طلبتُ منه أكثر من مرة أن يغير الطباخ، أو يأتي معه بطباخ  
ماهر، ولكنه متمسك بهذا الطباخ لأنه رخيص وقليل الراتب. وأنا لا أريد  
أن أفيد سمعتي التي حفرتها في السوق بأظافري.

-والله، معك حق، ولكن عاود تأمين طلبات المطبخ، وأنا سأكلّم  
صديقي، وأشرح له الأمر.

-من أجلك وأجل ....

سكت عبد الرحمن قليلاً، ثم أكمل:

- سأؤمّن للمطبخ الطلبات، بشرط أن يغيّر الطباخ في غضون أسبوعين أو ثلاثة.

\* \* \*

- يا أبا النور، جارنا أبو كريم دكانه مغلق منذ ثلاثة أيام.  
- لا أدري، لكنه ذكر أكثر من مرة أنه قدّم على وظيفة ثابتة.  
- صحيح، أخبرني أنه قدّم على وظيفة في وزارة الزراعة، ولكنني أخشى أن يكون مريضاً.

- لن يؤذن الظهر وإلا وقد أتيتك بخبره بإذن الله.  
سأل أبو النور عمال أبي سعد، فأخبروه أنهم سمعوه يقول لأبي سعد:  
إنه توظّف وترك السوق، وطلب من أبي سعد أن يعرض دكانه للإيجار.  
أخبر أبو النور عبدالرحمن بالخبر:

- سبحان الله! لقد أخبرني أنه سيؤجّر دكانه، ولم أخبره أي أريده.  
- هل تريد أن تستأجر دكانه؟  
- نعم، ألا ترى مستودعنا في البيت، ولو علمت البلدية بذلك لكانت مصيبة علينا.

- وهل تستطيع استئجار دكانه؟  
- أستطيع، إن شاء الله.

كان أكثر عمل عبدالرحمن من مستودعه، ولا يأخذ من دكانه إلا القليل، حتى أبو النور لم يدرك حجم تجارة عبدالرحمن.

-إذن نذهب إليه في بيته.

-وهل تعرف بيته؟

-لا.

وقف عبدالرحمن، ودار أمام دكان جاره قليلاً، ثم التفت إلى أبي النور:

-وأيّن سمران عامل أبي كريم؟

-أخذ حسابه، وذهب يعمل من الحمالين.

-مع الحمالين! هل رأيته معهم؟

-نعم، رأيته وأنا عائد من دكان أبي سعد.

-سبحان الله! كيف لم ألحظه وهو يعمل معهم منذ ثلاثة أيام، ناديه

بسرعة.

لم يلبث أبو النور إلا قليلاً حتى عاد ومعه العامل، رحّب عبدالرحمن

به، وأجلسه، وضيقه:

-أهلاً يا سمران، كيف حالك؟

-الحمد لله على كل حال، ولكن العمل في التحميل متعب.

-صحيح، ومنذ متى تعمل حمّالاً؟

-منذ يومين. صفى عمي أبو كريم حسابي، وأغلق دكانه، ولم أجد عملاً سوى التحميل.

-أنت جارتنا منذ زمن، وأعرف أمانتك، وأريد أن استأجر الدكان، وأن تعود للعمل فيه.

-أبرك ساعة يا عم، فما رأينا منك إلا كل خير.

-هل تعرف بيت أبي كريم صاحب الدكان؟

-طبعاً أعرفه، ذهبتُ إليه مراراً.

-أريد أن أذهب إليه غداً معك. وإن تمَّ الأمر على خير فعُدَّ نفسك لم

تنقطع عن العمل، وستأخذ راتبك منذ حسابك صاحب الدكان.

-الله يعافيك.

-غداً تصلي معي العصر في مسجد السوق؛ لنذهب إلى أبي كريم.

فلما انصرف العامل ظهر التكدر على وجه أبي النور، فالتفت إليه

عبدالرحمن:

-ماذا عندك يا رئيس الموظفين؟

ضحك أبو النور:

-رئيس على واحد!

- إذا استأجرتُ الدكان الآخر، سأفتح الدكاكين على بضعهما،  
وسأحتاج إلى عامل آخر.  
- ألا أكفي وحدي؟  
- سأحتاج إلى من يبيع ويُشرف، وإلى آخر يحمل وينزل.

\* \* \*

- أصرَّ أبو كريم على أن يكون تأجير دكانه من طريق أبي سعد، فهو  
شيخ العطارين، ولا يريد أن تكون هناك مشكلة بينهما.  
- أبشر، سأذهب إلى أبي سعد إن شاء الله! ولكنه سيحيلني إليك في  
التفاهم على ثمن الإيجار.

- أنا أخبرته بكل شيء، وقد وُكِّلته بتأجير الدكان.

- إن كنت ستبيعه فسأشتريه.

- لا، لا أفكر في بيعه الآن.

- هل وجدت مني أي أذى أو مكروه، يا أبا كريم؟

- لا، فقد كنت نعم الجار، لماذا تقول ذلك؟

- أريد منك معروفًا أخيرًا.

- تفضَّل.

- لا تذكر لأبي سعد أو غيره أنني أريد استئجار الدكان.

-أبشر، لن أخبر أحدًا، وخاصة أبا فهد.

-شكرًا جزيلًا، وأراك على خير.

\*

\*

\*

عاد مبارك في آخر العصر بعد أن أوصل خبرًا من أبي سعد لأحد التجار، ورآه عبدالرحمن وهو يردّد بعض أذكار المساء، فناداه مرة ومرتين، حتى انتبه، فأقبل إلى عبدالرحمن متلفّئًا:

-أهلاً وسهلاً، لم يتّصل أحد اليوم.

-ليس هذا شأني اليوم، وإنما معي عشرة ريالات أريد أن أهديك

إياها.

-عشرة ريالات كاملة، أنا في خدمتك، ماذا تريد مني؟

-يعجبني الذكي الذي يفهم بسرعة.

-أبشر.

جلس مبارك وكلّه انتباه:

-تعلم أن دكان أبي كريم معروض للإيجار، وتأجيره عند أبي سعد.

-نعم، فأبو سعد من عدة أيام وهو يتكلّم بشأنه.

-أريد أن أعرف، هل سيؤجّره لأحد معيّن، أم سيعرضه في المزاد؟

-الذي أعرفه إلى الآن أنه عرض على بعض تجار السوق، فاعتذروا.

-أريد أن تفتح عينيك وأذنك جيدًا، فإذا عرّضه على تاجر ورغب في استجاره فتعال إليّ جريًا، وإذا قرّر أن يعرضه في المزاد فأخبرني.

-أبشر.

-هذه خمسة ريالات، وإذا أتيتَ باقي المطلوب تأخذ الخمسة الباقية.

-كثّر الله خيرك.

-مبارك، إياك أن تخبر أحدًا بأنّي سألتك عن الدكان، أو أني أرغب في

استجاره.

-إن شاء الله.

-إياك، ثم إياك.

\*

\*

\*

-أبا النور.

-سم، يا عم.

-هل رأيت سمران اليوم في السوق.

-نعم، ما زال يعمل في التحميل.

-نادِه.

جاء سمران بعدما انتهى من خدمة أحد الزبائن:



- هل تعلم يا سمران أن بعض تجار السوق لن يرضى بأن أستاذجرك

الدكان؟

- نعم، أعرف، مع أنك لم تُؤذِ أحدًا.

- وهل تريد أن أستاذجرك الدكان؟

- نعم، يا عم.

- إذا اسمعني جيدًا.

- كلي آذان مصغية.

- استمرّ في عملك في التحميل، وانشر أني لا أريد ولا أستطيع أن

أستاذجرك دكان أبي كريم، وخاصة بين عمال أبي فهد.

- أبشر.

- هل أخبرتَ أحدًا أني ذهبتُ معك إلى أبي كريم.

- نعم، أخبرتُ بعض الحمالين قبل قليل.

- ما أسرع ما تنتشر الأخبار!

- لقد سألوني عن سبب غيابي بالأمس، فأخبرتهم أني ذهبتُ معك

لزيارة أبي كريم.

- فقط. ولم تذكر لهم سبب الزيارة.

- لا.

-إِذَا، ابْحَثْ عَنْهُمْ الْآنَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي ذَهَبْتُ لَزِيَارَةِ أَبِي كَرِيمٍ لِأَنِّي ظَنَنْتُ أَنَّهُ مَرِيضٌ.

\* \* \*

أَعْلَنَ أَبُو سَعْدٍ تَاجِرَ دُكَانِ أَبِي كَرِيمٍ فِي الْمَزَادِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْأَحَدِ، وَالْغَرِيبُ أَنَّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ طَلَبَ مِنْ أَبِي النُّورِ إِغْلَاقَ دُكَانِهِ مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الظُّهْرِ بِسَبَبِ الزَّحَامِ الَّذِي سَيَكُونُ بِسَبَبِ الْمَزَادِ.

نَشَرَ أَبُو النُّورِ وَمُبَارَكٌ وَسَمْرَانُ أَنَّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَنْ يَحْضُرَ الْمَزَادَ، بَلْ سَيُغْلِقُ دُكَانَهُ بِسَبَبِ زِحَامِ الْمَزَادِ.

فَلَمْ رَأَى أَبُو فَهْدٍ وَتِجَارَ السُّوقِ أَنَّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَغْلَقَ دُكَانَهُ بَعْدَ الظُّهْرِ عَلِمُوا أَنَّهُ لَنْ يَحْضُرَ الْمَزَادَ، وَخَاصَّةً أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ عَلَى مَبْلَغِ الْإِيجَارِ.

وَلَمَّا عَلِمَ أَبُو سَعْدٍ بِذَلِكَ انْقَبَضَ، فَقَدْ كَانَ يَأْمُلُ أَنْ يَسْتَأْجِرَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدُّكَانَ، وَوَدَّ لَوْ أَنَّهُ عَرَّضَهُ عَلَيْهِ كَمَا عَرَّضَهُ عَلَى بَعْضِ التَّجَارِ.

تَجْمَعُ بَعْضُ التَّجَارِ وَكَثِيرٌ مِنْ عَامَّةِ النَّاسِ عِنْدَ دُكَانِ أَبِي كَرِيمٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، وَبَدَأَ مُبَارَكٌ بِالْمَزَادِ بِإِشْرَافِ أَبِي سَعْدٍ.

بعض التجار الذين عرّض أبو سعد عليهم الدكان عرّضوا مبالغ قليلة لم يرضها أبو سعد، لكنهم بدؤوا المزاد بعرض هذه المبالغ مرة أخرى، وشارك في المزاد أشخاص آخرون ليسوا من تجار السوق.

بدأ المزاد بألف وخمسمائة ريال، وما زال مبارك ينادي في المزاد، حتى ارتفع المزاد مائة مائة، وبعد صولات وجولات مع المزادين توقف المزاد على ألفين وثلاثمائة.

كره أبو سعد هذا السعر، فهو أقل من حقّ الدكان، ولكن يجب أن يؤجّر عند توقف المزاد.

-ألفان وخمسمائة.

اخترق صوت عبدالرحمن سكّون المزاد، رافعاً مبلغ الإيجار هذه المرة مائتين، وعاد مبارك إلى المناداة على المزاد:

-ألفان وخمسمائة ريال، من يزيد؟ من يزيد؟

جرى أحد عمال أبي فهد ليخبره عن مزادة عبدالرحمن:

-أين أبو فهد؟

-أبو فهد في دكان أبي سعد.

رفع أحد التجار صوته في المزاد:

-ألفان وستمائة.

بادر عبدالرحمن:

- ألفان وثمانمائة.

لم يتوقع أبو سعد أن يستاجر عبدالرحمن الدكان، بله أن يستأجره بهذا المبلغ، فتحرك من مكانه، حتى وقف بجوار عبدالرحمن. وعندئذ توقف الجميع عن المزادة، فقد كانوا يزادون على مائة وأقل من مائة، وكان عبدالرحمن يزاد على مائتين.

همس أبو سعد لعبدالرحمن:

- تعلم أن مبلغ إيجار الدكان لا يقل عن ثلاثة آلاف ريال.

أراد مبارك أن ينهي المزاد؛ لأن الجميع توقفوا عن المزادة، فرفع عبدالرحمن صوته:

- ثلاثة آلاف ريال.

حينئذ أشار أبو سعد برأسه إلى مبارك أن أرس المزاد على عبدالرحمن.

- مزاد واحد، مزاد اثنين، مزاد ثلاثة، رسا المزاد بثلاثة آلاف ريال على

عبدالرحمن.

حينئذ أقبل أبو فهد من دكان أبي سعد:

- على كم وقف المزاد؟

- أبو سعد: رسا وانتهى على ثلاثة آلاف ريال.

-ولكنني أريده بثلاثة آلاف ومائة ريال.

-رسا المزاد يا أبا فهد، فإن رغبتَ في استجاره فكلم فيه الذي استأجره.

-عبدالرحمن الذي استأجره؟

-نعم.

-لقد خدعنا جميعًا.

-خدعنا في ماذا؟ هداك الله، يا أبا فهد.

كتم أبو فهد غيظه، ولم يستطع أن يشرح لأبي سعد كل ما حدث.

\* \* \*

تساعد أبو النور وسمران على تنظيف الدكان الجديد، وفتح عبدالرحمن الدكاكين على بعضهما، ونقل مستودع البيت، فغدا دكانه من الدكاكين المهمة في السوق.

وأكثر من تعجّب من الأمر أبو النور:

-ما كل هذا يا عبدالرحمن.

-خير الله، ثم بركة دعاء الوالدة.

-أكل هذا كان في المستودع؟

كان دكان عبدالرحمن لا يهدأ، وباءت بالإخفاق محاولات أبي فهد وبعض التجار في ثني أبي سعد عن إمداد عبدالرحمن بطلباته؛ لأن عبدالرحمن صار من أهم التجار الذين يستفيد منهم أبو سعد، بل صار عبدالرحمن لا يشتري منه بالدين، بل يدفع له بالشيكات مباشرة.

وكان عبدالرحمن يتمنى لو كان دكانه على الشارع الرئيس، لسهل عليه وعلى العمال التنزيل والتحميل، الذي كان على نوعين.

فالنوع الأول يكون مرة واحدة في الشهر غالبًا، تأتي البضائع من دكان أبي سعد ودكان أبي عائشة ومن مصادر أخرى أقل شأنًا، وهذه المرة ينتظرها الحمالون كل شهر؛ لأنها بحاجة إلى مزيد حمالين، وكان عبدالرحمن معهم كريمًا.

والنوع الثاني من التنزيل والتحميل يكون أكثر من مرة في الأسبوع، بل قد يكون في اليوم أكثر من مرة، وغالبًا يكفي فيه أبو النور وسمران، وأحيانًا يستعينان بثالث أو رابع من الحمالين.

\*

\*

\*

بدأت السنة السابعة من ترك عبدالرحمن للمدرسة، وقد بلغ الثامنة

عشرة، وصار زَيْنَ الشباب، ولا تفتأ أمه من عرض الزواج عليه.

وبعد أن استقرت تجارة عبدالرحمن، وتوسّع في الدكان، فاجأ أمّه بعد

العشاء:

- الليلة ما عَرَضْتِ عليّ الزواج المعتاد، يا أم عبدالرحمن.

- لقد تعبْتُ منك، يا ولدي.

تبسّم عبدالرحمن، فقالت أمّه:

- ولكن لماذا تسأل هذا السؤال؟

ضحك عبدالرحمن:

- كأنكِ لم تفهمي، يا أغلى الناس.

- هل حقًا تريد أن تتزوج!

- إن وافقت أم عبدالرحمن أن تخطب لي العنود.

زغردت أم عبدالرحمن بصوت منخفض، وكادت تبكي:

- هذا المنى، يا ولدي.

- متى تكلمين خالي أحمد في الموضوع.

- أنت يا عبدالرحمن تأتي معًا أو تذهب معًا، اصبر عليّ أسبوعًا حتى

أمهدّ للأمر، وأكلّم خالك.

- يا ربّ.

- سأذهب القابلة إلى سعاد زوجة خالك إن شاء الله.

-الله يخليك لي، يا أغلى اناس.

\*

\*

\*

استغربت أم عبدالرحمن من وجود زوجة صديق أخيها أحمد المحاسب وبتتها، وصارت لا تستسيغها، فهم يتكلمون ويضحكون بصوت مرتفع، فإذا دخلت عليهم انطفأ الكلام، ويرد الضحك، حتى العنود صارت لا تخرج إليها كثيرًا في وجودهم.

ولما عادت أم عبدالرحمن وأخبرت عبدالرحمن بذلك زاد عجبه،

وقال:

-لا أدري لماذا لا أحب الجلوس إلى هذا الرجل؟

-الأعجب أن زيارتهم قد كثرت، ولم يكونوا من قبل يزرونهم قط!

-دعي هذا الآن يا أمي، المهم ما الأخبار؟

-حتى العنود ما استطعت أن أجلس معها إلا قليلاً، إذا جاء هؤلاء لا

تجلس معنا.

-هل كلمت خالي في الموضوع؟

-لا، خالك سيأتي إليّ بعد غيد العصر، وسأكلّمه إن شاء الله.

\*

\*

\*



لم يحسَّ عبدالرحمن ببطء الوقت كما يحسَّ به الآن، كأنَّ الوقت قد توقَّف، كان يحبَّ العنود من صغرهما، يرى أنها الجمال بوجهها الصبيح، وطلعتها المضيئة، وكلامها الأديب، ولونها الأزهر.

كم سحرته بوجهها البريء، وخديها الورديين، وحسنها الفاتن.  
إذا رآها رأى الرونق والصباحة، والوسامة والملاحة.  
كثيرًا ما أمضى ليله، وخَفَّفَ همَّه، وأزجى الشديداً من وقته بتذكُّرها،  
وتخيُّل الاجتماع بها، فهي راحة البال، ونَضْرَةُ العين، وَحَبَّةُ القلب.

\* \* \*

جاء مبارك مسرعًا إلى دكان عبدالرحمن:

-عبدالرحمن، عبدالرحمن.

لكن عبدالرحمن يسبِّح في ملكوت آخر، ردَّد مبارك النداء مرةً ثالثة،

ثم التفت إلى أبي النور:

-إذا عاد عبدالرحمن إلى دنيانا فأخبره أن العم فرجًا قد اتَّصل.

-أبو النور: إن شاء الله.

هزَّ أبو النور كتف عبدالرحمن، حتى أعاده إلى الدنيا:

-الذي أخذ قلبك يتهنَّأ به!

-ماذا هناك؟

-العم فرج اتصل.

-اذهب إلى الهاتف العمومي، اعرف ماذا يريد.

ثم عاد إلى ملكوت حبيته العنود.

\* \* \*

عاد بكل شوق ولهفة إلى أمه قبل أذان المغرب على غير عادته، فدخل البيت، وقبّل رأس أمه، وكانت جالسة وفي يده مصحفها، فجلس بجوارها:

-بشري، يا وجه السعد، هل كلّمت خالي؟

-نعم، جاءني اليوم العصر، وكلمته.

-إيه، وماذا قال؟

-قال: سأشاور العنود وأمها، ويكون الخير إن شاء الله.

لم يُعجِب عبد الرحمن حال أمه، فلم تكن متحمّسة كعادتها:

-هل هناك ما يزعجك، يا أمي؟

-أبداً، ولكني لم أكمل حزبي من القرآن الكريم.

فطِن عبد الرحمن أنّ أمه تريد أن تبقى وحدها، فقام للوضوء، ثم ذهب مبكراً إلى المسجد.

صلى عبدالرحمن المغرب بكل جوارحه، ثم صلى السنة وأطال، ثم جلس متربعا، ووضع مرفقيه على ركبتيه، ووضع رأسه على كفيه، ودخل صومعة الشرود الذهني، وتجمّد في مكانه، كأنه سيارة انتهى وقودها فجأة، أو طالب وصلته رسالة بأن الجامعة لم تقبله.

لم يستفق عبدالرحمن إلا على نحنة المؤذن أبي راشد لأذان العشاء، الذي عرف من حال عبدالرحمن أنه إذا جلس هذه الجلسة فهو يصارع هماً أو يفكر في أمر.

تلقت أبو راشد بعد الأذان فلم ير عبدالرحمن، فقد ذهب يجدد وضوءه، وبعد صلاة العشاء عاد عبدالرحمن إلى البيت، فوجد العشاء موضوعاً، فتعشى ونام مباشرة.

لم يكن يخالج عبدالرحمن ذرة من شك في أن خاله سيفرح بخطبته للعنود، فهو يعرف حبهما لبعضهما، ولكنه بعد كلام أمه خالجه قلق غريب سرى في نفسه كما يسري ظلام الليل في بياض النهار، وكما يسري بياض الفجر في ظلمة الليل.

\*

\*

\*

مضى من هذه السنة قرابة شهرين، وعبدالرحمن ينتظر ردَّ خاله على خطبته، حتى وافقه بعد صلاة الفجر، فتأخر عبدالرحمن عند باب المسجد، فلما خرج خاله سلَّم عليه، ورَحَّب به كثيرًا، حتى استغرب خاله:

-أهلًا وسهلًا يا عبدالرحمن، صباح الخير.

-صباح الرضا والعافية.

-ما أخبارك، وأخبار الدكان؟

-بألف خير، جعلك الله بخير. ما أخبار العنود يا خال؟

غَلَبَ على ظنِّ الخال أن أخته لم تخبر عبدالرحمن برَدِّ العنود بعد، فلم تظهر منه أي علامة تدلُّ على ذلك، ولذا قال ليتأكَّد:

-هل أخبرتك أمك برَدِّ العنود؟

-يا أهلًا بالعنود وردّها، هل ردَّت؟

-نعم، اسأل أمك فهي الأولى أن تخبرك.

-إن شاء الله.

انقسم عبدالرحمن قسمين، قسم اشتد به القلق، فلماذا لم يخبره خاله بنفسه عن الرَّدِّ، من المؤكَّد أنه ردَّ غير سار.

وقسم اشتدَّ به الفرح، فلولا أنه خبر سارَ لماذا قال: إنَّ أُمِّي أولى أن

تخبرني به.

وعلى كل هُرع عبدالرحمن إلى البيت، فلما دخل على أمه، فزعت، فقد كان من عادته أن يذهب إلى السوق بعد الفجر مباشرة، ولم يكن يعود إلى البيت، ولكن عبدالرحمن وقَفَ أمام أمه، وهو يستعجل معرفة الخبر، كي يتخلص من انقسام مشاعره بين الفرح والقلق:

- أخبرني خالي أن العنود ردَّت!

اندهشت الأم، فلم تتوقع أن يخبر أخوها عبدالرحمن بهذه السرعة.  
- خالك أخبرك بذلك.

- أجل.

أدرك عبدالرحمن الدهشة التي سطعت في وجه أمه.

- نعم، أخبرني خالك بالردِّ قبل يومين.

كاد عبدالرحمن يسقط من طوله، فلم تكتُم أمه الخبر منذ يومين إلا لسُوته، ولكنه بقي مستعصماً بالأمل إلى اللحظة الأخيرة، حتى إنه غالب نفسه في إخراج الكلمات:

- وماذا كان الردُّ؟

سكتت الأم، ثم خفضت رأسها وهزته، ثم تنهَّدت، وقالت بصوت متقطع:

- اعتذروا يا عبدالرحمن، اعتذروا يا ولدي.

سقط عبدالرحمن على الأرض، وهذه أول مرة يَقَعُ فيها، فقد كان  
متناسكاً في كل حياته، حتى في صِغَرِهِ.

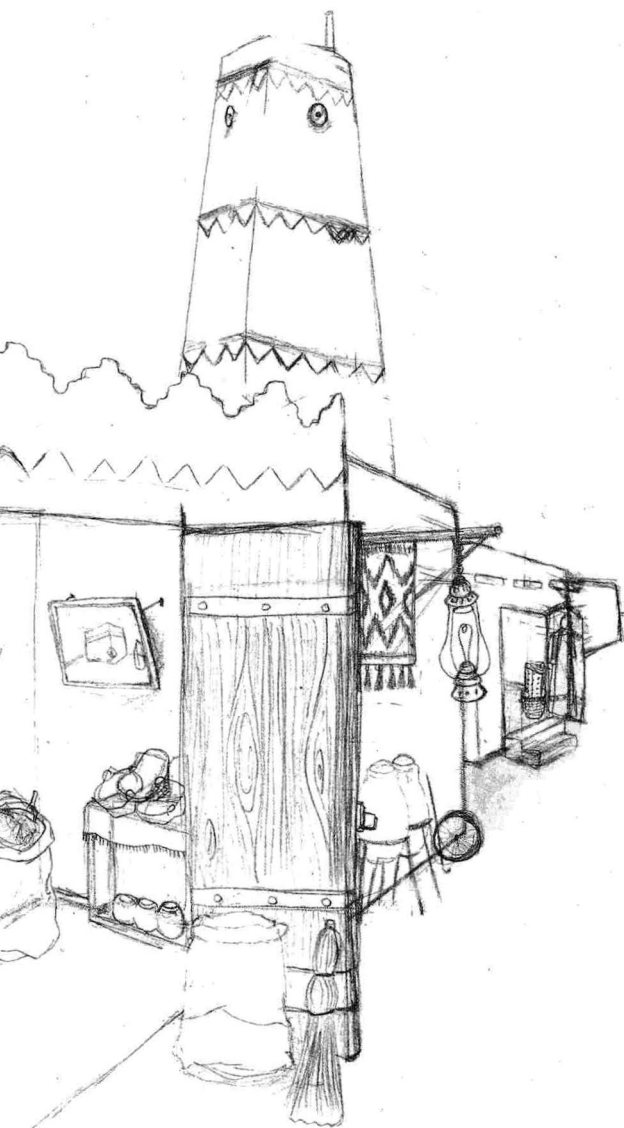
كان هذا الرَّدُّ أشَدَّ على نفسه من إخراج أبيه له من المدرسة، وأقسى  
على قلبه من طرده من الدكان.

كانت العنود له الأمل الذي ينتظره، وقد تبعثر الآن.

كانت العنود النور الذي يضيء حياته، وقد انطفأ الآن.

كانت العنود فرحه إذا حزن، وراحته إذا تعب، وجَنَّتْهُ في هيب الدنيا  
التي لا ترحم.

دارت الدنيا بعبدالرحمن حتى اتكأ بيديه على الأرض، أحسَّ أنه سطر  
بلا كتابة، وكلمة بلا معنى، وجسد بلا روح.



الفصل الثالث  
عبد الرحمن الناجي





غابت شمس السنة الخامسة من إخراج عبدالرحمن من المدرسة، وأشرقت شمس السنة السادسة، ودلّف عبدالرحمن إلى السنة الثامنة عشرة من عمره، وصار قادرًا على الحصول على ما يحصل عليه الرجال. فبادر إلى نقل الحسابات المصرفية إلى اسمه، وفتح حسابًا مصرفيًا آخر خصّصه للاذخار.

وإن كان قد فرح بذلك فقد كان فرح أمّه أكبر، وهي تراه يشبُّ بين يديها، وتحت عينها، وأملها فيه يكبرُ يومًا بعد يوم، وهي لا ترى منه إلا البر والحرص على رضاها وراحتها.

\*

\*

\*

لم يقدر عبدالرحمن على رفع نظره إلى خاله أحمد، وصار كلامه معه لهما مختصرًا، مع أنه حاول مرارًا ألا يظهر منه سوء معاملة مع خاله أحمد؛ كي لا تحزن أمّه التي تُعزُّ أخاها الذي ساعدها من قبل كثيرًا. يغالب نفسه أن يطيل مع خاله الكلام، فلا يشعر إلا وقد انسَلَّ من الحديث وأنها، وإذا التقاه بعد الصلاة يعقِد العزم على السلام عليه وسؤاله عن أحواله، فلا يلبث أن يكتفي بالسلام، ثم ينقطع الكلام.

لقد غالب عبدالرحمن كثيرًا من الرجال والأحوال والمواقف، ولكنه  
وجَد أنَّ مغالبة قلبه أشدَّ من مغالبة الرجال! ومن ذا يغالب قلبه المجروح  
من أحبَّ الناس إليه!

حتى أمه حارت في كيفية تخفيف المصاب عليه، فهي تكلمه وهو في  
دنيا غير دنياها، فلا يكاد يسمع من كلامها إلا القليل.

لم يَعُدْ عبدالرحمن ذلك الشاب الممتلئ بالحياة والنشاط، فلا يذهب إلى  
السوق إلا متأخرًا، ولا يعمل إلا ما يجب، ولا يقول إلا القليل، ولا يأكل  
إلا ما يقيم أوده، ولا ينام إلا بعد طول سُهاد وتفكير، ولا يعود من المسجد  
إلا متأخرًا، حتى تجنَّب العمال ومنهم أبو النور كثرة محاورته، أو إعادة  
الكلام عليه.

\* \* \*

لم يُخْرِج عبدالرحمن من الكهف المظلم الذي دخل فيه من غير اختياره  
إلا أنه كان جالسًا ساهيًا أمام دكانه ذات ضحى، فلم يَفْجَأْه إلا وقوف أبي  
سعد أمامه:

- ما بالك، يا عبدالرحمن؟

- لا شيء، يا أبا سعد.

- كيف، لقد شعر الجميع بأنك في همٍّ مُقيم مُقْعِد، ثم تقول: لا شيء!

مرَّ عبدالرحمن بيده على عارضيه، يتلمَّس شُعيراتٍ بدأت بالخروج في وجهه.

-لقد أهملت تجارتك ودكانك، بل صرت لا تأتي إلى مجلسي، وتسامرني كما كنت تفعل من قبل.

أعرض عبدالرحمن بوجهه عن أبي سعد، وهو لا يدري ما يقول له.

-المهم، أن بيت أبي عائشة اتَّصلوا اليوم، ويسألون عنك.

التفت عبدالرحمن وقد انبعثت الحياة بكلَّ عُنفوانها في وجهه:

-من الذي اتَّصل؟

-لا أدري، لعلها بنته، أو خادمتها، ولكنها كانت عاتبة.

أمسك عبدالرحمن بيد أبي سعد، ثم اتَّجه إليه بكُلِّيَّة:

-كانت عاتبة، إذن هي ابنته، خير، إن شاء الله.

-يقولون: لعلَّ المرض عاود أبا عائشة مرة أخرى.

نهض عبدالرحمن من لحظته لزيارة أبي عائشة.

-على الأقلِّ ودُّعني، يا عبدالرحمن.

لم يسمع عبدالرحمن كلام أبي سعد، واشتدَّ في المشي إلى سيارته.



كان في طريقه يحاول تصفيف كلامه؛ ليدافع به عن نفسه عند عتاب عائشة له في التأخر مرة أخرى عن عيادة أبيها.

فلما وصل إلى بيت العم أبي عائشة وجد أنه استغرق جميع الوقت في التجهز للقاء عائشة، ونسي أبا عائشة ومرضه.

لا يدري عبدالرحمن ما يجذبه لعائشة وكلامها، ولماذا يراعيها كل هذه المراجعة، وإن ينس لا ينس اهتزاز قلبه لما قال أبو عائشة: (وأيضاً حزنت عائشة لذلك كثيراً).

-من عند الباب؟

كان هذا صوت عائشة، وكأنتها كانت تنتظر أحداً.

تلعثم، ثم تردّد، ثم قال:

-عبدالرحمن.

فتحت الباب بيسرها:

-لقد كان أبي بصحة جيدة، ثم عاوده المرض فجأة هذا الصباح.

-هل رآه الطبيب؟

-الطبيب عنده الآن، والحمد لله أنك لم تتأخر.

تبخّرت كل المعاذير والتزويقات التي أشغل بها طريقه. ثم تنفّس

بعمق.

أشارت إليه عائشة أن يدخل إلى غرفة أبيها.

-السلام عليكم يا عم، يزول عنك البأس إن شاء الله.

-عبدالرحمن. ما الذي أتى بك؟

-لما علمتُ بمعاودة المرض لك جئتُ مسرعاً.

تبسم أبو عائشة ابتسامة صغيرة راضية:

-إذن أخبرتك عائشة.

\*

\*

\*

خرج الطبيب بعدما طمأن الجميع على صحة العم أبي عائشة، وكتب له الدواء المناسب.

تنحنح عبدالرحمن نحنحة خفيفة، ثم نهض:

-استأذن، يا عم.

-تمهل يا بُني، إلا إذا كنتَ على موعد.

سرتُ فرحة هزّت قلب عبدالرحمن من طلب أبي عائشة.

-لا، ولكني لا أحب أن أثقل عليك.

-أنت خفيف على نفسي، يا عبدالرحمن.

حيثُذ ارتفع صوت الحق بأذان صلاة الظهر:

-لعلك تصلي الظهر، ثم ترجع إليّ، فأنا أريدك في أمر.

- على الرُّخْب والسَّعة، ولكنك متعب، فلو جعلت ذلك في وقت آخر.

- بل هذا وقته، والتأخر فيه قد يضره.

نهض عبدالرحمن:

- أبشر، أصلي الظهر، وأعود بإذن الله.

\*

\*

\*

جاهد عبدالرحمن نفسه كثيرًا في صلاة الظهر ألا تنشغل عن صلاته بالتفكير فيما يريد منه أبو عائشة، فكان ينجح حينًا ويفشل أحيانًا.

- هل غضب مني مرة أخرى؟

ولكنه كان راضيًا لطيفًا معي.

- هل يريد أن يسألني عن السوق أو أحد التجار؟

ربما.

- لا أظن أنه في مشكلة أو ورطة، ويريد أن يستشيرني، فهو أكثر مني

خبرة، وأكثر مني حكمة!

كان عبدالرحمن يتجه إلى صلاته حينًا، ثم لا يدري إلا وهو يسبح في

أودية الأسئلة وبحار التفكير.

وما إن انتهت صلاة الظهر حتى همَّ عبدالرحمن بالمبادرة إلى القيام والذهاب إلى أبي عائشة، حتى إنه كاد ينسى السُّنة البَعْدية لصلاة الظهر. وقف عبدالرحمن عند باب أبي عائشة، ثم أصلح من هندامه بطريقة عفوية، ثم طرق الباب برفق، فبادرت عائشة من خلف الباب:

- مَنْ؟

استغرب عبدالرحمن، فقد كان يعلم أن في البيت خادمة تساعد في الأعمال، لكنه في الآونة الأخيرة كاد يفقدها، ولا يجد لها حسًا ولا خبرًا. تجاوز عبدالرحمن استغرابه، قائلاً بصوت معتدل:

- عبدالرحمن.

فتحت عائشة الباب، وبصوتها الرخيم الضعيف:

- أبي ينتظرك في المجلس.

- لماذا لم يبقَ في غرفته، فهو أرفق به؟

دلَّف عبدالرحمن إلى المجلس، فلما دخل سلَّم وقَبَّل رأس العم أبي

عائشة:

- اجلس قريباً مني، يا عبدالرحمن.

- ابشر يا عم. كأنك الآن أحسن.

- الحمد لله، أحسُّ بشيء من النشاط والراحة.



- يا عم، لو كان في البيت خادمة تساعد أهل البيت؛ لتتفرَّغ عائشة لكم.

- الحمد لله، خير الله كثير، وعندنا خادمتان، واحدة للمطبخ، والأخرى للبيت، وعائشة لا تقصُر معي.  
- ما شاء الله!

- في الحقيقة، هما ليسا للخدمة فقط، ولكني أريد أن أوسِّع صدر بنتي بالسوايف معهما، فهي وحدها في البيت.

تلثم عبدالرحمن، فقد أراد قول شيء لكنه كتمه، وسكت.  
نظر إليه أبو عائشة متبسِّمًا:

- قلِّمًا تفتح عائشة الباب لأحد غيري، أو تقدِّم الطعام لأحد غيري!  
هنا طُرق باب المجلس، فإذا بصوت عائشة الرخيم:

- أبي، الغداء جاهز، هل تريده في المجلس أم في الحديقة؟  
- في الحديقة، يا بنتي.

ردَّت عائشة بسرعة:

- هو جاهز في الحديقة.

هزَّ أبو عائشة رأسه من طيش ابنته، وعبدالرحمن لا يدري ماذا يدور حوله.

\*

\*

\*

جلس عبدالرحمن على مائدة ليست كبيرة، ولكنها أنيقة، ومرتبة جداً، تتدلى عليها من العريش الذي فوقها أغصانٌ لَدُنْه من شجرة العنب الذي بدأ ينضج ولَمَّا ينضج، وقد رُشَّت الأرضية بقليل من الماء أضفى رطوبةً يرتاح لها البدن، ورائحةٌ تَحْرِقُ الأنف، وكان على كل كرسي مِخْدَتَانِ، إحداهما حمراء يُجَالَسُ عليها، والأخرى بنفسجية يَتَكَيُّ عليها الجالس بظهره.

- ما أخبار أمك، يا عبدالرحمن؟

- أمي طيبة، والحمد لله.

- وخالك أحمد؟

- هل تعرف خالي أحمد؟

- أعرفه، أعرفه.

- إنه بخير وعافية.

- هل عدتَ إلى التعامل مع مطبخ الضيوف؟

- نعم، بعد أن غَيَّرُوا الطباخ القديم.

استمرّ أبو عائشة يسأل عبدالرحمن عن تفاصيل أحواله، حتى استغرب عبدالرحمن من ذلك، وظنّ أن أبا عائشة يعرف عنه حتى الدقائق .....

هنا تصنّم عبدالرحمن، وبلغ خوفه الحلقوم، فقد خشي أن يسأله أبو عائشة عن العنود.

بل أيقن عبدالرحمن أن الأمر الذي يريده أبو عائشة منه هو سؤاله عن حاله التي بقي عليها، وتقصيره في عمله في الدكان.

تمنّى عبدالرحمن أن يسأله أبو عائشة عن كل شيء إلا عن العنود. وكان العم أبو عائشة يلتفت بين الحين والحين إلى الأعلى، ثم يرجع إلى حديثه مع عبدالرحمن.

وما زال الحديث بينهما فأكهة المائدة حتى نهض أبو عائشة، ونهض عبدالرحمن خلفه، ليغسلا أيديهما، ويشربا الشاي في المجلس.

\* \* \*

دخلا إلى المجلس، فوجدا الشاي قد وُضِعَ في صينية جميلة، في وسط المجلس، وقد صُفّت أكوابه حوله.

جلس أبو عائشة، فسكب عبدالرحمن له كوبًا من الشاي، ثم سكب له كوبًا آخر.

بادر أبو عائشة قائلاً:

-لقد فكّرتُ كثيراً فيما ذكرته لي يا عبدالرحمن بشأن البضائع الجديدة التي جاءت إلى الشرقية، فوجدتُ أن كلامك صحيح.

-الرأي ما تراه يا عم، ولكن إذا لم تبادر إليها فسيبادر إليها آخرون، ثم سيكون أخذ الوكالة منهم بعد ذلك صعباً.

-وهذا صحيح أيضاً، ولذا أريد منك أن تذهب إلى الشرقية، وتنظر في هذه البضائع الجديدة، وتأخذ وكالة ما تراه مناسباً لتجارتِي.  
-أنا؟

-نعم، أنت، فأنت خبير بالعطارة وبكل ما يتعلق بها، ومع ذلك لك لسان يُقنع الذي لا يقتنع، ما شاء الله عليك!

-والله ... يا عم، أنا في خدمتك، ولكن كيف سيكون ذلك؟  
-سأكتبُ لك وكالة خاصة بذلك.

أحسَّ عبدالرحمن بالتردد، ولم يُحرِّج جواباً، فالأمر -فيما يظهر له- أكبر منه، وسوف يخفق فيه، وحينئذ سيضرّ بتجارة العم أبي عائشة، وقد يغضب عليه، أو ينزل من عينه.

-ستكتبُ لي وكالة خاصة ... أخشى أني لا أستطيع فعل ذلك.

-لن تكون وحدك، سيكون معك سرور، وستذهب إلى صديق عزيز لي في الشرقية يُعينك على عملك.

\* \* \*

خرج عبدالرحمن ما بين مصدق ومكذب، وراغب وراهب، فهو راغب في خدمة أبي عائشة، وفي كسب ثقته، بل راغب في القرب منه، ولكنه راهب من صعوبة هذا العمل، فهو عمل جديد عليه، والمكان جديد عليه، والمعاملة جديدة عليه، وأكبر ظنه أنه لن ينجح فيها. ولكن لا بُدَّ مما لا بُدَّ منه، فهو لم يستطع الاعتذار إلى أبي عائشة، وقد فهم أبو عائشة منه الموافقة.

سار عبدالرحمن على قدميه طويلاً باتجاه السوق، لا ينفك عن التفكير، ولا تفارقه الهموم، يفرح عندما يتذكر أن العمل لأبي عائشة، ويقلق عندما يتذكر أن العمل شاقَّ عليه، وأشدَّ ذلك الحزنُ الذي يعصر قلبه عندما تعلم عائشة بإخفاقه فتحزن.

هل يستشير خاله أحمد في ذلك؟ وهل هذا مناسب في هذا الوقت بعد اعتذارهم من خطبته؟ لا هذا صعب، لا أستطيع.

أضاءت فكرة من مكان عميق في عقل عبدالرحمن، فما زال عبدالرحمن  
يُلحّ عليها حتى طُفّت على السطح، فإذا بها تشير عليه أن يستشير المحاسب  
الذي يعرفه الخال أحمد، فليس في هذا إحراج عليه أو على خاله.

حاول عبدالرحمن أن يدفع هذه الفكرة، فهو لا يرتاح إلى ذلك الرجل  
منذ رآه في المرة الأولى، لكن محاولاته تكسّرت على صخرة خوفه من أن  
يخفق فتحزن عائشة.

توقف عبدالرحمن فجأة، وسأل:

-لماذا أحزن كل هذا الحزن لحزن عائشة؟

هنا التفت عبدالرحمن إلى الخلف، ثم تأمل قليلاً، ثم حكّ رأسه، ثم  
هزّه، قائلاً:

-آه، لقد نسييت السيارة عند بيت أبي عائشة، وعُدْتُ ماشياً.

لقد أنسته شدة القلق سيارته، وجعلته يتنعل قدميه إلى السوق، لولا  
أنه تذكّر السيارة قبل أن يتعد عنها كثيراً.

\* \* \*

دخلت عائشة إلى المجلس لأخذ مواعين الشاي:

-بنتي، يا طائشة.

نظرت عائشة إلى أبيها بغضب حنون، وقالت:

- أرجوك يا أبي، لا تقل: طائشة.

- وماذا أقول؟ ماذا كنتِ تفعلين في الشرفة العليا ونحن نتغذى؟

- أبدًا، كنتِ أستمع بالجو، وبالنظر إلى الحديقة.

- الله يهديك، ما زلتِ صغيرةً.

- بنت خالتي أكبر مني بسنة، وقد تزوجت العام الماضي.

- هي أيضًا صغيرة.

- وبنت جارتنا تزوجت في أول هذه السنة وهي في عمري، وقد

حضرنا زواجها.

- هي أيضًا صغيرة.

\*

\*

\*

فلق المهمة الجديدة أذهب كثيرًا من وجدِ عبدالرحمن بسبب اعتذار

خاله أن يزوجه بنته العنود.

فعاد إلى نشاطه السابق في السوق، حتى أمه أحسّت بهذا التغيّر، لكنها

عزّته إلى عقل عبدالرحمن، وقوة تحمّله؛ لأن عبدالرحمن لم يخبرها بشيء عن

المهمة الجديدة.

بالإضافة إلى محاولة عبدالرحمن تلافي النقصان والخلل الذي حدث في

الأيام الماضية، كل ذلك خفّف من ألمه بفقد حُبّه الأول العنود.

حمد عبدالرحمن الله كثيرًا أن أبا النور قد حلَّ أكثر المشاكل التي تراكمت، ودبَّر الأمور بحيث لم يقع شرط جزائي بسبب اشتغال عبدالرحمن بهمه.

وهذا جعله يُشرك أبا النور في أعماله، بحيث يستطيع القيام بكل الأعمال في غياب عبدالرحمن، تحسُّبًا للمستقبل.  
فأسند إلى أبي النور متابعة المطابخ، وتفرَّغ هو لمتابعة قصور الأمراء.

\* \* \*

ذهب بياض اليوم وسواده، حتى إذا طلعت شمس اليوم التالي وارتفعت الضحى، هُرِع عبدالرحمن إلى مكتب المحاسب صديق عمه؛ كي يستشيرَه في مهمته الجديدة.

كان مكتب المحاسب كبيرًا، وعلى شارع مهم، تزئنه لوحة جميلة، وكان في الدور الأول، وتحتة محال تجارية تُعجُّ بالحياة والحركة.

وما إن دخل عبدالرحمن إلى المكتب حتى عَرَف بنفسه لموظف الاستقبال، وطلَّب مقابلة المحاسب، إلا أن الموظف أخبره أن المحاسب الان مشغول في اجتماع قد يمتد إلى ساعة.

نزل عبدالرحمن إلى الشارع، كان مُصمَّمًا على ألا يعود حتى يقابل المحاسب، فبقي في قهوة قريبة، يحتسي الشاي، ويراقب الناس.



- سبحان من أحصى الناس، وسخرَ كلَّ منهم إلى رزقه!

هكذا قال عبدالرحمن وهو يتأمل في الناس من حوله.

رأى رجلاً مهيباً قد انتصب فوق كرسي بجوار محله، يأمر هذا، وينهى

آخر، ولا يَمَلُّ من تدبير أمر محله، ومبايعة الناس ومحاسبتهم.

ورأى رجلاً آخر يجزُّ عربته التي ملأها بأنواع الأقمشة والثياب

القليلة الثمن، وهو ينادى عليها بصوت متناسق، كأنه يستمتع بترديده.

ورأى امرأة معها ولدان صغيران، قد اقتعدت في زاوية شارع صغير

يُطِلُّ على شارع القهوة، وقد مدَّت يدها بغمٍّ وهمٍّ، تسأل طعام ولديها

الذين يعبثان بجانبها بلا همٍّ ولا غمٍّ.

ورأى كثيراً غير هؤلاء، متفاوتين ومختلفين في الثياب والمقام، وفي

العقل والعمل.

ورأى أيضاً الشمس تشرق على جميع هؤلاء، لا تفرِّق بين أحد منهم،

ورأى الهواء يدخل ويخرج إلى صدورهم لا يسأل عن فقير أم غني.

ورأى أيضاً الرجل المهيب الأمر الناهي لا يبتسم ولا يستمتع بوقته،

ورأى صاحب العربة مبتسماً مستمتعاً.

أعاد عبدالرحمن تسبيحاته بصوت أكثر ارتفاعاً:

- سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم!

\*

\*

\*

استفاد عبدالرحمن من لقائه بالمحاسب، فقد أنار له جوانب كانت غامضة عليه، ونَبَّهه إلى أمور كان غافلاً عنها، وأوقفه على ما قد يكون سبباً لإخفاقه في عمله.

قام عبدالرحمن، وشكر المحاسب كثيراً وهو يهيم بالخروج:  
 -وأنا أشكرك كثيراً يا عبدالرحمن، فقد كنت سبباً لخير كثير لي.  
 -أنا، لا أذكر أنا فعلتُ ذلك، وإن كان يسرني.  
 -هل تذكر أول لقاء بيننا عند خالك أحمد؟  
 -نعم.

-في ذلك اللقاء قدّمت لنا بنت خالك أحمد الشاي، فأعجبني حيائها وأدبها، فعاودت زيارة خالك مع أهلي، ليتعرّفوا على بنته، فأعجبتنا كثيراً، وقد رغب ابني في خطبتها، وأنت سبب هذا الخير.  
 -أنا سبب ذلك!

قالها عبدالرحمن وقلبه يحترق، وعلم سبب عدم ارتياحه للمحاسب، فقلماً يكذب قلب أحمد في مثل هذه المسائل.  
 -لقد خطبنا العنود، ولن أنسى دعوتك لحضور الزواج.  
 اهتز فؤاد عبدالرحمن كعصفور في شَرَك، وهو يقول:

- وهل وافق خالي على الخطبة؟

- لَمَّا، ولكنّه وعد خيرًا.

- ما قدّر الله يكون، ما قدّر الله يكون.

خرج عبدالرحمن من مكتب المحاسب بغير الحالة التي دخل بها، وهو

يردّد:

- اللهم اجعلني من أرضى عبادك بقضائك.

تسابت دمتان من عيني عبدالرحمن، أعادت عبدالرحمن إلى حالة

الذهول التي لم يخرج منها إلا قريبًا، فقد كان من نصيبه أن يبقى فيها مدة

أخرى.

\* \* \*

في اليوم الثالث من لقاء أبي عائشة جاء عبدالرحمن إلى السوق متأخرًا،

ثم جلس على دكّة أمام محله، مستغرقًا في تفكير لا قرار له ولا نهاية.

- إنا لله، وإنا إليه راجعون.

قالها أبو النور وهو ينظر بحزن إلى حالة عبدالرحمن، فقد أدرك أن

شيئًا حدث جدّد أحزانه من جديد.

جلس أبو النور بجانب عبدالرحمن، وأمسك بيده، فتنّبّه له

عبدالرحمن، والتفت إليه، وقبل أن يقول أبو النور شيئًا قال عبدالرحمن:

-ليت الأمر بيدي يا أبا النور! ليت الأمر بيدي.

اشفق عليه أبو النور، وتركه يصارع أمواج التفكير والهموم.

لم يُقِمَ عبدالرحمن من مكانه يومه هذا، لا للقاء تاجر، ولا لمقابلة زبون، ولا لإشراف على عمل، غير أنه كان يذهب إلى الصلاة مع أول الأذان، وبعد صلاة العصر مباشرة عاد إلى أمه.

-أهلاً يا عبدالرحمن، عُذَّتَ اليوم مبكراً.

-كنت متعباً، فاردتُ أن أرتاح.

-متعب أم مهموم؟

-أليس الهمّ أتعب التعب!

-لقد تحسّنت حالتك يا بني، ما الذي جدّ؟

-لا شيء.

أشفقت أم عبدالرحمن عليه، وقالت -وليتها لم تقل-:

-ما رأيك يا ولدي لو حاولنا مرة أخرى مع خالك؟

نظر عبدالرحمن إلى أمه قليلاً، ثم خفض رأسه، وكان قد أقسم ألا

ترى أمه دموعه ما استطاع، وقال:

-لا يخطب المسلم على خطبة أخيه.

-إذن هذا الذي قلب عليك المواجه، لا تحزن يا ولدي، لن تأخذ من الدنيا إلا ما كتبه الله لك، ولعل الله قد قدر لك من هي خير من العنود.  
ولج عبدالرحمن إلى غرفته، وأغلق عليه بابها، ثم ترك لعينيه العنان،  
ليُسحًا دموعهما كيفما شاءتا.

\* \* \*

ارتفعت الضحى ولم يحضر عبدالرحمن إلى السوق، ولم يُرَ أم  
عبدالرحمن إلا طرق أبي النور على الباب:  
-خيرًا، يا أبا النور؟

-خيرًا إن شاء الله، سرور عامل أبي عائشة عند المحل منذ مدة، وهو  
مُصِرٌّ على لقاء عبدالرحمن.

-لكن عبدالرحمن متعب جدًا هذا اليوم، لن يقوى على الخروج.

هنا جاء صوت عبدالرحمن من داخل البيت:

-من عند الباب، يا أمي؟

-هذا أبو النور.

ما إن عرف عبدالرحمن بالخبر حتى خرج مسرعًا إلى السوق، كان أبو  
النور يسمع دقات قلبه وهو بجانبه:

-ما هذا الفرع، يا عبدالرحمن؟

-أخشى أن سوءًا لحق بالعم أبي عائشة.

-لا قدر الله، ولكنني لم أر سرورًا محزونًا أو هليعًا.

-الحمد لله، إذن لعل أبا عائشة قد تراجع عن طلبه.

-عن طلبه؟

-سأخبرك به فيما بعد بإذن الله.

لما رأى عبدالرحمن سرورًا من بعيد وهو يشرب الشاي ويضحك مع

سمران اطمأن، وذهبت مخاوفه على أبي عائشة.

-حيًا الله من زارنا، أهلاً وسهلاً، يا سرور.

-حيًاك الله، هل تصدّق أن أبا النور قد ذهب إليك قبل أن يقدّم لي

قهوة أو شايًا!

-هذه كبيرة، يا أبا النور.

بدت الدهشة على وجه أبي النور:

-أنا في همّ وهو في همّ آخر.

جلس الجميع، وأقبل عبدالرحمن على سرور يستحّثه على قول ما لديه:

-أرسلني العم أبو عائشة، ويقول: الوكالة جاهزة، وسوف تسافر

غداً، إن شاء الله.

-غداً غداً؟

- نعم، والسيارة التي سَتُقْلُنَا ستكون أمام محلّ العم أبي عائشة في الساعة السابعة صباحًا.
- إن شاء الله.
- والآن أستاذن، فلديّ أعمال كثيرة.
- رافقتك السلامة.
- لا تتأخّر، الموعد الساعة السابعة صباحًا، وتعال غير مفطر، الفُطور عند العم أبي عائشة.



- عندما كانت الشمس ضعيفة خَجَلَى قد بدأت تنشر أشعتها في أرجاء المعمورة كان عبدالرحمن يودّع أمّه، وأمّه تسقي طريقه بالدعوات الصادقة التي تَبَعَث في قلب عبدالرحمن الراحة والاطمئنان.
- وعندما وصل إلى بيت أبي عائشة في الميعاد المضروب وجد السيارة جاهزة للسفر، ووجد سرورًا مشغولًا بحمل بعض الأغراض.
- السلام عليكم.
  - وعليكم السلام ورحمة الله، أبو عائشة ينتظرك في الداخل.
  - ولكن المحلّ مغلق، يا سرور.
  - داخل البيت لا المحلّ، فأنت الآن من عصافير البيت.

- ما هذا الكلام؟

- المهم، لا تتأخر على أبي عائشة.

دَقَّ عبدالرحمن الباب برفق، ففتحت الخادمة الباب، ودعته للدخول.

- السلام عليكم، صباح الخير، يا عم.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

- هيّا، أفطر معي، كي لا تتأخروا في الانطلاق.

- صحة وعافية.

- إياك أن تقول: إنك مفطر، فقد أكّد سرور عليك بذلك.

لم يجد عبدالرحمن اعتذارًا، فشارك أبا عائشة الإفطار، ولكنه ما فتئ

يسأل نفسه:

- لماذا فتحت الخادمة الباب اليوم؟ هل عائشة مريضة، أم غضبي؟

وأراد أن يسأل أبا عائشة، ولكنه استحي.

وبعد الإفطار جاءت الخادمة بالشاي، فسألها أبو عائشة:

- هل مازالت عائشة نائمة؟

- نعم، يا عم. ولم أخبرها بسفر اليوم كما طلبت.

- نوم العافية.

احتسى الشاي، وحينها تنحنح أبو عائشة، ثم قال:



- هذه الوكالة، يا ولدي.

- والله يا عم، سأعمل كل ما في جهدي وقدرتي كي تكون راضيًا بإذن الله.

- لا أشك في ذلك، وعندما تصل إلى الشرقية بادر إلى التواصل مع صديقي أبي راضي، وهو سوف يساعدك كثيرًا.

- أبشر، أفعَل إن شاء الله.

- هل رُبَّتْ كل أمورك.

- نعم، سَأَبْقَى في الشرقية حتى أنهي أمر الحصول على الوكالات، ثم أعود إن شاء الله.

- ثقتي بك كبيرة يا ولدي، وربما أعطيك في يوم من الأيام ما هو

أعظم عندي من الوكالة!

-الذي أستطيع عليه سأعمله، فلك عليّ أفضال لا يدّين لي برّها.

نهض أبو عائشة ونهض خلفه عبدالرحمن، حتى ركب عبدالرحمن وسرور السيارة، وودّع أبو عائشة الجميع، ثم عاد إلى بيته رافعًا يديه يدعو ربه لهم بالتوفيق والسلامة.

\*

\*

\*

كُثُرَ في سوق العطارين اللِّعَطُ، واختلفت الأقاويل، في سبب سفر عبدالرحمن إلى المنطقة الشرقية، حتى تَمَنَّى أبو النور لو أنه لم يخبر أحدًا بذلك.

ونمى الخبر حتى ترامى إلى أذن أبي سعد وأبي فهد.

أما أبو سعد فقد ساورته الشكوك في سفر عبدالرحمن، وظنّ أنه يريد تجاوزه ومنافسته في جلب ما يجلبه هو ويبيعه على تجار السوق، ولم يجد أبو سعد بُدًّا من سؤال أبي النور عن ذلك:

-كم سيبقى عبدالرحمن في الشرقية؟

-السفر يوم، والعودة يوم، وسيبقى بينهما قرابة أسبوع إن شاء الله،

كذا أخبرني.

-ما شاء الله! ولماذا سافر؟

-والله يا عم لم يخبرني.

-ولماذا لم تسأله؟

-لا يحبّ عبدالرحمن أن أسأله عمّا لا يخبرني به.

لم يصل أبو سعد إلى نتيجة، ولم يكن أمامه إلا أن ينتظر عودة عبدالرحمن لسؤاله، ولكنه مع شكوكه وجد في نفسه على عبدالرحمن أن سافر دون أن يخبره أو يودّعه.

وأما أبو فهد فله شأن آخر.

\* \* \*

بُهر عبدالرحمن بما رآه في الشرقية، من ازدهار تجارة العطار، وكثرة تجارها، وقوتهم.

لكنه بادر إلى السؤال عن أبي راضي، حتى جاءه صباح أول يوم له في الشرقية، وعرفه بنفسه:

- أهلاً وسهلاً، أنت عبدالرحمن؟

- نعم، يا عم.

استصغر أبو راضي عبدالرحمن، ولكنه أجابه عن كل أسئلته، وساعده بما يقدر لمكانة أبي عائشة عنده، وسابق صداقته.

- هناك ثلاث شركات جديدة، إحداها غير عربية، وهم يبحثون عن وكلاء في كل المناطق، وقد جلبوا بضائع جديدة، بعضها لا أعرفه.

- ولكنني أعرف جميع بضائعهم، فقد أطلعت على معلوماتها كلها.

- متى اطلعتَ عليها، وكيف؟

- من أراد شيئاً وجده يا عم. المهم: كيف أستطيع مقابلة المسؤولين

فيها؟

- أما الشركتان العربيتان فلهما مكاتب في الميناء، وأما الشركة الأجنبية فقد استأجرت شقة في داخل البلد تعرض فيها بضائعها.
- تمام، إذن سأبدأ بالشركة الأجنبية.
- لعلك تبدأ بشركة عربية؛ لأن الأجنبية نحتاج إلى مترجم.
- أريد أن أبدأ بالشركة الأجنبية، فحظُّنا عندها أكبر، سأخذ العنوان وأذهب إليها اليوم، إن شاء الله.



وصل عبدالرحمن إلى مكتب الشركة الأجنبية ضحًا، فعرف بنفسه، وطلب مقابلة المسؤولين.

طلب الموظف منه بلطف أن يجلس، ثم ذهب إلى الداخل:

- سيدي، هناك شاب يريد مقابلة اللجنة من أجل الوكالة.

- ألم يأت تاجر جُدَّة بعدُ؟

- لا، يا سيدي.

- إذا جاء أخبرني مباشرة.

- وماذا أقول للشاب؟

- من أي منطقة هو؟

- من المنطقة الوسطى.

-يعني هو ثالث تاجر يأتي منها، لا بأس، إذا انتهت اللجنة من مقابلة التاجر الذي في الداخل فأدخله.  
 خرج التاجر الذي في الداخل، ومعه المترجم يودّعه، ويطلب منه أن يراجع العقود وكشف الأسعار.

\* \* \*

دخل عبدالرحمن فوجد لجنة من ثلاثة أجنب، وبيجوارهم مترجم.  
 رحّب المترجم بعبدالرحمن، وطلب منه الجلوس:  
 -تفضّل، نحن نسمعك.  
 -أنا وكيل أبي عائشة، أكبر تجار الأغذية في المنطقة الوسطى، وندرغب في التعامل مع شركتكم، والحصول على وكالة بضائعكم.  
 -لقد سبقكم تاجران من المنطقة الوسطى، وسوف ننظر في العرض الأنسب، من حيث الأسعار والجديّة والكيفيّة. فماذا يمكن أن نخبرنا به حول هذه الأمور الثلاثة.  
 -تجارة أبي عائشة تصل إلى كل أجزاء المنطقة الوسطى، وتغذي جميع تجار الأغذية والعطارة، وكلّ محاله جاهزة من حيث العمال والمخازن.  
 -سمعنا عن تجارة أبي عائشة وحسن إدارته، وعلمنا عن مرضه، لكن ما عندكم في الأسعار؟

- أبو عائشة في صحة وعافية، ولكن أصابه عارض سُرعان ما يزول بإذن الله، وليس هناك خوف على حياته. أما الأسعار فهذا كشف كامل مقترح بها.

- وهل اطلّعت على بضائعنا وأسعارنا المقترحة؟

- نعم، وبناء على ذلك جهّزت هذا الكشف لكم. وفي الحقيقة بالنسبة إلى أكثر البضائع لا إشكال في أسعارها، وما قدّمناه هو سعر ثابت ومتأكّدون منه، وفي آخر كشف الأسعار بعض البضائع الجديدة على المنطقة، ونحريص على تسويقها والتعريف بها، ويحتمل أن نطلب في المستقبل تغيير أسعارها بحسب الطلب والعرض.

- وماذا عن جدية العرض؟

- نحن جاهزون لكلّ ضمانات الوكالة، فليست هذه أول وكالة نتولاها، فعندنا أهمّ وكالات الأغذية في المنطقة.

كان المترجم يترجم كلام عبدالرحمن لمسؤولي الشركة الأجانب، وقد أكثروا عليه من الكلام الذي لا يفهمه عبدالرحمن، ثم التفت المترجم إلى عبدالرحمن:

- تعلم أن هذه الشركة لها سمعتها وتاريخها ومكانتها، فلماذا لم يرسل

أبو عائشة مسؤولاً كبيراً لمقابلتنا؟

علم عبدالرحمن سبب كثرة الكلام بين المترجم والأجانب، لكنه تبسم، وقال:

-لقد علمتُ أن من اللجنة حفيد مؤسس الشركة، وأظنه هذا الشاب الذي معكم.

تبسم حفيد مؤسس الشركة، وعرف بنفسه.

-أحب أن أسأله سؤالاً إن سمح لي.

-تفضل، إنه يسمح لك.

-لماذا اشتركت أو أشركوك في لجنة فيها مسؤولان خيران كبيران في السن، وأنت ما زالت شاباً.

تبسم الحفيد، وتهياً للجواب ...

لكن عبدالرحمن بادره:

-في الحقيقة لا أريد منه أن يجيب، لأن جوابي عن سؤالكم هو جوابه عن سؤال، فأبو عائشة أراد أن يقول لكم: إن الشركات والتجارات لا بُدَّ أن تدوم، ومن أراد أن تستمر تجارته وتنمو فليتعامل مع من يؤمن الماضي والمستقبل، ولا يقتصر على الحال، فأبو عائشة ماضيكُم، وأنا مستقبلكم لعشرات السنوات إن شاء الله!

شركتكم نشأت قبل (٥٧) سنة، وما زالت، وهذا الحفيد ضمان  
لبقائها واستمرارها، وتجارة أبي عائشة مستمرة بإذن الله، وأنا ضمان  
استمرارها؛ ليكون التعاون بيننا سنوات طويلة، وأعوامًا مديدة.  
استغلَّ عبدالرحمن هذه الفرصة، ووجَّه الكلام إلى الحفيد:  
-لقد قرأت في تاريخ عائلتكم، وأنا معجبٌ بجَدِّكم العِصامي،  
وبأبيك، وأظنُّك لن تكون أقلَّ منهما، ويسرُّني جدًّا أن أتعامل معكم ومع  
شركتكم.

\* \* \*

في اليوم الثالث من سفر عبدالرحمن جاء موظف البلدية إلى محلِّ  
عبدالرحمن في السوق مبكرًا:  
-أين رخصة المحلِّ؟  
-ها هي صورتها معلقة على الجدار.  
تفحَّص موظف البلدية الرخصة قليلًا:  
-لقد انتهت الرخصة منذ قرابة شهر.  
-ماذا!  
-على صاحب المحلِّ أن يراجع البلدية في أقرب وقت لتجديد  
الرخصة.



- إن شاء الله! لكن ماذا تفعل؟
- أغلق المحلّ، وأسمّعه، ولا يُفْتَح إلا بعد تجديد الرخصة.
- هذا لا يمكن، علينا التزامات، ونؤمن طلبات دوريّة.
- إذن اجعل صاحب المحلّ يراجع البلدية اليوم أو غدًا.
- صاحب المحلّ مسافر، ولن يأتي قبل أسبوع.
- لم يتلفت موظف البلدية إلى كلام أبي النور.
- يا سمران، اذهب بسرعة إلى أبي سعد، وأخبره بالأمر.
- إن كفّل شيخ العطارين أبو سعد صاحب المحلّ تركته.
- عاد سمران بعد قليل:
- لماذا لم يأت أبو سعد؟
- اعتذر أبو سعد عن كفالة عبدالرحمن.
- إن كفله أبو فهد تركتُ المحلّ.
- هذا لا يمكن، لكنني سأذهب إلى العم عبيد.
- عاد أبو النور مع أبي سالم أبي عبدالرحمن؛ لأن العم عبيدًا مريض ولم
- يأتِ إلى السوق منذ يومين.
- ولما كفّل أبو سالم عبدالرحمن ترك موظف البلدية المحلّ.



في عصر هذا اليوم رنَّ الهاتف في بيت أبي سالم:

- مساء الخير.

- مساء الرضا والعافية.

- هذا بيت أبي سالم.

- نعم.

- من فضلك، أريد أم سالم.

- من نقول لها؟

- أبو فهد، من تجار سوق العطارين.

وكانت أم سالم تعرف أبا فهد وكبار تجار السوق، فلذا بادرت بالردّ  
مستغربةً اتصاله:

- حيّا الله، أبا فهد.

- الله يحبك يا أم سالم، بَشِّرْني عن الأولاد.

- الحمد لله، إنهم بخير. ماذا هناك يا أبا فهد؟

- أردتُ فقط أن أخبرك أن أبا سالم كَفَلَ اليوم عبدالرحمن في السوق،

بعد أن افتعل عبدالرحمن مشكلة مع البلدية.

- وما شأن أبي سالم بذلك؟

- هذا الأمر سيجرُّ مشاكل كثيرة إلى أبي سالم، فأعداء عبدالرحمن كثيرون، وأنت امرأة عاقلة، وحريصة على مصلحة زوجك وتجارته، التي هي مال أولادك.

- شكرًا يا أبا فهد، ما قصّرت.

- مع السلامة.

\* \* \*

ما إن دخل أبو سالم إلى البيت حتى وجد أم سالم تنتفض من الغضب:

- يا أبا سالم، أنت مع علاقتك بمشاكل البلدية؟

- الحمد لله، ليس عندي مشاكل معها.

- بلى، واكتسبت أيضًا مشاكل في السوق، وأعداء سيجلبون لك ولتجارتك ولأولادك كل شرٍّ وسوء ومكروه.

- يا الله، ما كلّ هذا؟ كيف حدث ذلك؟

- لماذا كفلت عبدالرحمن اليوم، ودخلت في مشكلة مع البلدية؟

- لقد خِفْتُ من كلامك، وظننتُ أن هناك أمرًا لا أعلمه، الأمر سهل،

كفلته وإذا عاد يذهب إلى البلدية ويجدُّ رخصة المحلّ، هذا كلّ شيء.

- لا، ليس هذا كلّ شيء.

- كيف؟

- هذا سيجرّ إليك عداوة أبي فهد والتجار الآخرين، لن يبرحوا  
بجاربونك في تجارتك حتى تحسّر، وأبقى أنا وأولادي فقراء.

- لا سمح الله.

- غداً تذهب إلى البلدية وتسحب كفالتك.

- لا يمكن أن أفعل ذلك يا امرأة، سيأكل الناس وجهي.

- إذن تذهب غداً إلى عامل عبدالرحمن، وتخبره أنك كفلت عبدالرحمن

يومًا واحدًا فقط، وعليه أن يخبر عبدالرحمن ليعود بسرعة.

تنهّد أبو سالم، ولم يدّر ماذا يقول، وماذا يفعل.

- إن لم تقُل هذا لعامل عبدالرحمن سأذهب بنفسني وأقول له.

- الشكوى لله، أنا سأخبره بذلك غداً.

\*

\*

\*

ما إن أخبر أبو سالم أبا النور بسحب كفالته، ثم عاد إلى محله، حتى

جاء موظف البلدية:

- أين صاحب المحلّ؟

- أخبرتك أنه مسافر، ولن يأتي قبل ستة أيام أو خمسة أيام.

- لا بدّ أن أغلق المحلّ؛ لأن أباه سحب كفالته.

- سبحان الله! كيف عرفتَ بهذه السرعة؟

تلثم موظف البلدية:

- لا علاقة لك بذلك.

أغلق موظف البلدية محلّ عبدالرحمن بالشمع الأحمر، وضاعت الحلية من أبي النور، فصار لا يدري ماذا يفعل، فعبداًرحمن قد وصّاه ألا يأخذ من مخزن البيت خوفاً من أن يُكشَف، فكيف إذا كان سيأخذ منه هذه الكثرة، لا شك أنه سيكشف.

ذهب أبو النور إلى أم عبدالرحمن:

- السلام عليكم ورحمة الله، يا خالة.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أهلاً يا أبا النور.

- أردتُ السؤال عن عبدالرحمن، هل اتّصل بك، أو تعرفين هاتفاً

يوصل إليه؟

- لا، لم يتّصل. ماذا هناك؟

- أبداً، يا خالة، لقد أردته في أمر مهم.

- الذي أعرفه أنه ذهب إلى الشرقية في عمل لأبي عائشة، وأنه سيأتي

بعد قرابة أسبوع.

فتح كلام أم عبدالرحمن ذاكرة أبي النور، فتذكر أن سرورًا عامل أبي عائشة قد جاء إلى عبدالرحمن، وأخبره بأن الوكالة جاهزة للسفر، فلا بُدَّ أنه سافر في عمل له علاقة بأبي عائشة.

\*

\*

\*

هَرَعَ أبو النور إلى أبي عائشة، فما وصل إليه إلا قُبِيلَ أذان الظهر بقليل:  
- السلام عليكم، يا عم.

-وعليكم السلام، مرحبًا يا أبا النور.

-في الحقيقة ... أعني أني ....

-ماذا وراءك؟ لماذا أنت مضطرب؟

-أردتُ السؤال عن عبدالرحمن، هل تعرف هاتفًا يوصلني إليه؟

-عبدالرحمن في الشرقية الآن، لماذا تريده؟

أخبر أبو النور أبا عائشة بالأمر:

-وماذا سيفعل عبدالرحمن وهو في الشرقية، ولن يستطيع أن يعود

قبل أن ينهي ما كلفته به.

-وأنا وقعتُ في حَيْصَ يَيْصَ، ولا أدري ماذا أفعل.

-لكن هذا غريب، كيف ينسى عبدالرحمن تجديد رخصة المحل؟

-أنا أعذره يا عم، فقد مرَّ به ما جعله ينسى نفسه!

اعتدل أبو عائشة في جلسته، وأخذ منه الانتباه كل مأخذ:

-ماذا تقول يا أبا النور؟

-عبدالرحمن يكره الكلام في هذه المسألة، يا عم.

-تعرف مكانة عبدالرحمن عندي، لا بُدَّ أن تخبرني.

-لكن عبدالرحمن سيغضب مني.

-أنا أضْمَنُكَ، فلا يغضب عليك. أخبرني ما الأمر.

أخبر أبو النور أبا عائشة بخطبة عبدالرحمن للعنود، وكيف كان يجنبها

منذ الصغر، وأن أبا العنود رفض خطبته، ثم علم عبدالرحمن أنها مخطوبة

لرجل آخر، وأن أباها قد وافق عليه.

-آه، يا عبدالرحمن، لقد سألتُ عن كل شيء عنك، ولكنني لم أعلم

بهذه الخطبة.

-ولماذا سألت -يا عم- عن كل شيء عن عبدالرحمن؟

-المهم الآن أن نحلَّ مشكلة البلدية، فتجديد الرخصة لا بُدَّ فيها من

حضور عبدالرحمن.

-المشكلة أن علينا التزامات كثيرة سوف تتأثر هذا الأسبوع، وعلى

بعضها شروط جزائية.

- اسمع يا أبا النور، قم بتأمين كل الطلبات من خارج محل  
عبدالرحمن، الذي عندي سأعطيك إياه وأضمه إلى حساب عبدالرحمن، وما  
ليس عندي وفره من دكان أبي سعد وغيره.

- هذا الذي سأفعله، إن شاء الله!

- وهل عندك المبلغ الكافي.

- نعم، في حساب الدكان ما يكفي هذا الأسبوع إن شاء الله، ولكن  
التجار سيعاونني بمبلغ التجزئة.

\* \* \*

- ما شاء الله عليك، أنهيت لقاءاتك مع الشركات والتجار، وما بقي  
إلا انتظار ردّهم.

قال ذلك أبو راضي، وهو لا يصدّق أن عبدالرحمن أنهى كل ذلك في  
أربعة أيام.

- ما جئت إلى الشرقية إلا وقد حضّرت كل أوراقتي، وأطلعت على  
بيانات الشركات والبضائع، ولذا لم يبقَ إلا اللقاء بهم.

- يقولون: أنت الوحيد الذي لم تحتج إلى لقاء آخر، فقد قدّمت  
عرضك وأجبت عن الأسئلة في لقاء واحد.

- هل تسمّع لي - يا عم - بسؤال؟



-تفضل.

-كيف تشحن بضائعك التي تشتريها من الدول الأخرى؟

-كبقية التجار، اتفق مع شركة من شركات الشحن، وهي تشحن لي.

-هل تستأجر منها سفينة أم بالوزن؟

-لا يستأجر سفينة كاملة إلا تجار قلة، وهم أكبر التجار، أم نحن

فنشحن بالوزن مع بقية التجار.

-لكن استئجار سفينة يجعل الأسعار أرخص.

-لكن هذا يحتاج إلى بضائع كثيرة، ومبالغ كبيرة.

أمر أبو راضي عامله أن يجد له ولعبدالرحمن الشاي:

-لكن أخبرني، متى ستعود إن شاء الله؟

-سأبقى يومين أيضًا، أريد أن أمر على بعض التجار، وأطلع على

بعض البضائع.

-المهم لا تسافر حتى تمر بي.

-بإذن الله.

\*

\*

\*

وجد عبدالرحمن وقتاً فارغاً، وقلماً يجِد، فجلس على سيف الخليج العربي، وكانت هذه أول مرة في حياته يرى البحر، وكان أقصى ما يرى وادي حنيفة إذا سال بالأمطار.

لقد أخذت عظمة البحر بمجامع قلبه، فهو يجمل حتى تسرح العين فيه، ويتلاطم حتى تحشاه القلوب القاسية، ويسكن حتى لا تكاد تجد له حركة، ويموج حتى يعلو كالجبال.

لا يدري الإنسان ما حقيقة البحر، فهو آمن لكنه لا ينفك من غدر، وكريم بالخيرات لكنه لا يعطيها إلا بجهد وعنت، مُتعتة يتسابق الناس إليها، وضحاياهم منهم يتساقطون في جوفه الذي لا يشبع.

قوي في ضعف، وشديد في لين، وعظيم في هوان، إن قلت: مستحکم متهاسك صدقت، وإن قلت: هشيم رخو صدقت.  
إنه آية من أعظم آيات الخالق سبحانه.

تنهّد عبدالرحمن، وخرّجت منه كلمة بغير حساب:

-آه، يا عنود، ما أشبهك بالبحر! قريبة وبعيدة، لينة وقاسية، غرقت في عينيك السوادوين الكحيلتين اللتين هما كعمق هذا البحر، ولا أدري كيف سأنجو.

لا يذهب خيال العنود من ذهن عبدالرحمن وقتاً، ولكنه كان إذا اشتدَّ به ذلك استعان عليه بالدعاء لله أن يُخَفِّفَ لَوْعَةَ فؤاده، وأن يرحم ضعفه، وإذا لَجَّ به النوى طَفِقَ يصلي حتى يهدأ لَاعِجَ التذكُّر.

\*

\*

\*

بقي عبدالرحمن ثمانية أيام في سفره، وقبل أن يلفظ اليوم الثامن أنفاسه يطرق عبدالرحمن باب أمه طرقات يسيرة؛ ليخبرها بمجيئه، ثم يدلف إلى داخل البيت، ليجد أمه في مصلاها لمَّا تنته بعدُ من صلاة المغرب. وبعد انفلاتها من الصلاة جلس عبدالرحمن بين يدي أمه، وقبَّل يدها ورأسها:

-مرحباً عدد قطرات المطر، وعدد حبات الحجر والمدر.

-لقد اشتقتُ إليك كثيراً، يا أمي.

ثم قبَّل بين عينيها، وضمَّها ضَمَّةً طويلة:

-ما ظننتُ أني أتركك كل هذه المدة.

-هذه طبيعة الحياة يا ولدي، والحمد لله أنك سالم غانم.

-لا أدخل الله أيامي من دعواتك، ولا بيتي من صوتك.

-لا بُدَّ أنك متعب من السفر، اغتسل ريثما أجهز لك العشاء.

-ما زلتِ كما أنت، يا أم عبدالرحمن!

\*

\*

\*

استقبل مدير البلدية عبدالرحمن في مكتبه لسابق معرفة بينهما، وقبل أن يجلس قال له:

-لقد تعجبتُ كثيرًا لِمَا علمتُ أنك لم تجدد رخصة المحلّ، يا عبدالرحمن!

-لم أتأخّر، فقد راجعتُ البلدية، وسلمتُ الأوراق، وكلّما مررتُ لإنهاء الإجراءات، قالوا: الموظف الذي معه الأوراق غير موجود، حتى حدثت لي أمور أذهلتني عما هو أهمّ من رخصة المحلّ.  
-ومن هذا الموظف؟

استوى عبدالرحمن جالسًا، ثم قال:

-علمتُ بعد فوات الأوان، أنه شدّاد قريب أبي فهد.  
-هل تعني أنه تقصّد تأخيرك؟

-لا أتهمه بشيء، ولكن لا بُدّ من تجديد الرخصة اليوم؛ كي أفتح المحلّ.

-وهل المحلّ مغلق؟!

-نعم، وبالشمع الأحمر.

-وبالشمع الأحمر؟ ولماذا لم تدفعوا الغرامة أو تأتوا بكفيل؟

-رفض شدّاد أخذ الغرامة، وهدّد أبو فهد الذي أراد كفالتي.

-هذا غريب!

-أعلم أن هذا مخالف للنظام، ولكنني ليست متفرّغاً لمتابعة المسؤول

عن ذلك، أريد الآن تجديد الرخصة، وشدّاد في إجازة مدة خمسة أيام.

وجّه مدير البلدية موظفًا آخر باستخراج أوراق عبدالرحمن، وإنهاءها

في أسرع وقت، ثم اتلفت إلى عبدالرحمن:

-لعلك تجعلني أحلّ هذا الأمر، وسوف أحاسب شدّادًا على فعلته إذا

تأكّد لي أنه خالف النظام.

-لقد كتبتُ معروضًا لأمانة المنطقة، فقد سبّب لي خسائر كثيرة.

-سيُسبّب هذا الأمر لنا مشاكل ووجع رأس نحن في غنى عنه، ولن

يستطيع شدّاد ولا غيره فعل مثل ذلك مرة أخرى.

فكّر عبدالرحمن قليلًا، وقبل أن يقول شيئًا بادر المدير بقوله:

-أعدّك بذلك.

\*

\*

\*

عاد عبدالرحمن إلى السوق، وفتح المحلّ:

-لقد أحسنت يا أبا النور في تدبير الأمور، فمثلك يعتمد عليه.

-الحمد لله، أبو عائشة ما قصّر، وتساعد معنا.

- وغير أبو عائشة؟

- كلهم اشتريْتُ منهم بالعاجل، ورفضوا أن يبيعوني بثمان الجملة.

- حتى أبو سعد؟!

- الغريب أنه رفض أن يكفلك، مع أني أرسلت في طلبه من أجل

ذلك.

- على كل حال أحسنت، لكنني كرهتُ لك أن تخبر أُمي بالأمر،

فأقلقتها وليس في يدها شيء.

- لا تؤاخذني، ففي بداية الأمر لم أعرف ماذا أفعل.

نهض عبدالرحمن يُحْتِ الحُطَّا إلى دكان أبي سعد، وهو ما بين غاضب

ومتعجِّب، فلما وصل إليه وجدته مع مجموعة من تجار السوق، فبادره أبو

سعد:

- أخيراً جئت!

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

- السلام عليكم، أخيراً جئت!

- نعم، والحمد لله.

- إذا أخبرني: لماذا لم تودّعني قبل سفرك؟ وما هذا السفر؟

أحسَّ عبدالرحمن بجفوة وغضب من أبي سعد، وكأنه أدرك الآن سبب ذلك، وهو عدم توديعه، وعدم إخباره بسبب السفر:

- سفري هذا لا علاقة له بالسوق، ولا بالمحل، فلهذا لم أجد داعيًا لإخبارك، يا أبا سعد.

-ولماذا سافرت؟

-وكَلَّني أبو عائشة على بعض أعماله في الشرقية.

-ولماذا يوَكِّلُك أنت؟

-هذا السؤال يُوجَّه إلى أبي عائشة.

خفَّ غضب أبي سعد قليلًا:

-يعني سفرك هذا لا علاقة له بالسوق أو بمحلِّك؟

-طبعًا، لا، ولو كان له علاقة لكنت أول من يعرف.

خاف عبدالرحمن أن يخرجهُ أبو سعد بالسؤال عن التوكيل وتفصيله، ولكنَّ أحد التجار دخل في الحوار سائلًا:

-وبماذا وَكَّلَك أبو عائشة؟

استغلَّ عبدالرحمن هذه الفرصة، فصاد عصفورين بحجر واحد:

-هذه أسرار التجار، لو كان هذا السؤال يسأل لسأله أبو سعد.

هدأ غضب أبي سعد، وأكرم عبدالرحمن، واطمأن على سلامته:

- يا أبا سعد، أنت كبيرنا، وقد كنتُ أحبُّ لو أنك تدخلت لمعالجة ما فعله شدّاد موظف البلدية!

أُخرج أبو سعد، ولم يذر ما يقول، لكن عبدالرحمن أكمل:  
- أنت تعرف أن ما فعله شدّاد قريب أبي فهد ليس نظاميًا، فلو ألزمته بأخذ الغرامة لما استطاع أن يعترضك، ولو كفلتني لانهى الأمر من أصله.  
تنحنح أبو سعد:

- لقد كان مزاجي في ذلك اليوم متعكّرًا، ولما علمتُ أن أباك قد كفلك ظننت أن الأمر قد انتهى.

- هل تعلم يا أبا سعد أن أبا فهد هو الذي جعل أبي يتراجع عن كفالتني.

- لا تظلم الرجل يا عبدالرحمن!  
- أنت تعلم ذلك، فلم يكن شدّاد ليتجاوز النظام إلا لاعتماده على أبي فهد، وأبو فهد اتّصل ببيت أبي، وجعلهم يضغطون عليه، حتى تراجع عن الكفالة.

هزّ عبدالرحمن رأسه، وحوقل بصوت مسموع:  
- ألا يخاف الله أبو فهد، بينه وبين القبر خطوات ومع ذلك هذه أفعاله.



\*

\*

\*

خرج عبدالرحمن من دكان شيخ العطارين أبي سعد متعجبًا من كيد الناس بعضهم بعضًا، من سوء ظنهم.

ولم يكد يصل إلى دكانه حتى أدركه عامل أبي سعد يطلب منه الرجوع بسرعة، فظن عبدالرحمن أن أبا سعد قد ندم على سوء ظنه، وأراد الاعتذار. وما إن دخل دكان أبي سعد حتى وجد أبا فهد وصاحب مطبخ الضيوف:

-خيرًا، يا أبا سعد؟

-هذا صاحب مطبخ الضيوف، يشتكك.

-ولماذا لم يأت إليّ؟ كي أعرف الشكوى، ونحلّها بإذن الله.

دخل صاحب مطبخ الضيوف مباشرة في الحوار قائلاً:

-لقد خالفت الاتفاق الذي بيننا، وأوقعتني في حرج مع الزبائن.

-وكيف ذلك؟

-آخر بزار أتيت به كان قديمًا، وطعمه سيئ.

طلب أبو سعد من الجميع الجلوس، والهدوء.

-لعلك علمت بأن محلي أغلق إغلاقًا غير نظامي بسبب رجل لا يخاف

- (أبو فهد متجاهلاً): الذي سمعناه أنه أغلق لأنك لم تجدد الرخصة.  
 - عدم تجديد الرخصة يكفي فيه دفع الغرامة أو كفالة، لا أن يغلق  
 المحل بالشمع الأحمر.

ردَّ صاحب مطبخ الضيوف بجفاء:

- أنا لا علاقة لي بكل ذلك، أنا خِرت زبائني بسبيك.  
 - ليس بسبي، فأثناء إغلاق المحل كان عاملي يأخذ البزار بانتظام من  
 دكان ....

تلجلجت الكلمة في فم عبدالرحمن، وبعد لأيٍ أكمل: من دكان محترم  
 في هذه السوق لا من أي دكان.

- (أبو سعد): وما المطلوب الآن؟

- أريد إلغاء الاتفاق الذي بيننا.

- ولكنني اشتريت كميات كبيرة من التموين لذلك.

- (أبو سعد): خلاص، كل واحد منكم يتحمل خسارته، فلا أنت

تطالبه بالشرط الجزائي، ولا هو يطالبك بما اشتراه من تموين، ويُلقَى  
 الاتفاق بينكما.

قام أبو فهد وصاحب مطبخ الضيوف مسرعين، فلما ابتعدا التفت

عبدالرحمن إلى أبي سعد:

-كون الموظف الذي عطل تجديد رخصة المحل ثم أغلقه قريب أبي فهد مصادفة، وكون أبي يتراجع عن كفالتي بعد اتصال أبي فهد مصادفة، ومجيء أبي فهد الآن مع صاحب مطبخ الضيوف مصادفة أيضًا، يا أبا سعد؟

-التجارة ربح وخسارة.

-لكنها ليست لؤمًا وغدرًا، ثم اعلم أني لم أشأ أن أذكر أن البزار كان يؤخذ من دكانك محافظة على سمعتك، ولكن ابحت عن العامل الذي أعطى لأبي النور هذا البزار القديم، لعله التقى بأبي فهد مصادفة أيضًا.

\* \* \*

أخبر عبدالرحمن أبا النور بما حدث.

أما أبو النور فذهب غضبانًا أسفًا إلى دكان أبي سعد، فلما وصله وجد أن العامل الذي باعه البزار قد طرده أبو سعد قبل لحظات. وأما عبدالرحمن فذهب مسرعًا إلى مطابخ الكبراء، فأبو فهد لا يعرف من زبائن عبدالرحمن جيدًا سواه وسوى مطبخ الضيوف؛ لإدراك ما يمكن إدراكه.

استغرب الطباخ والعمال من زيارة عبدالرحمن الذي دخل ومعه كيس بزار، ولكن الطباخ بالغ في الترحيب به، فعبدالرحمن هو سبب توظيفه في هذا العمل:

-أحببتُ أن أشرب معك كأسًا من الشاي.

-أهلاً وسهلاً، ولكن عمّا غير موجود.

-لن أؤخّرك عن عملك، أردت أن أسأل عن التموين الذي جلبه لكم عاملي في المرة الأخيرة.

-لقد أتى بكل المطلوب.

هنا خفّق قلب عبدالرحمن، وسأل:

-هل استعملتم منه شيئاً؟

-أم الأرز فنعم، وأما البزار فما زلنا نستعمل الذي جلبتموه في المرة الماضية.

ارتاح عبدالرحمن:

-يعني: لم تستعملوا البزار الجديد.

استغرب الطباخ كثيراً، حتى عرف عبدالرحمن ذلك في وجهه:

-ما حكاية هذا البزار؟

-وهل له من حكاية؟

- طلب مني صاحب المطابخ اليوم أن أستعمل البزار الجديد.
- وهل كان معه رجل آخر؟
- نعم، كان معه رجل لا أعرفه.
- وطبعًا، استعملتم البزار الجديد.
- نعم، طبخنا به إلى الآن خمس ذبائح لزواج مهم هذه الليلة.
- أصلح عبدالرحمن من جلسته، وصار كلامه أكثر جدية:
- أريد منك خدمة.
- أنت تأمر، يا عبدالرحمن.
- ما يأمر عليك عدوّ.
- هذا البزار ليس من محلي، وهو غير جيد، وقد خدعوا عاملي به.
- وما الحلّ، يا عبدالرحمن؟
- الحلّ أن تُعيد إليّ البزار الذي عندك، وهذا بزار مكانه، ثم إني سأرسل إليك الآن على حسابي خمس ذبائح سميّة، تطبخها بدل هذه الذبائح.
- لكن، حرام أن نرمي هذه الذبائح.
- لا ترمها، أكمل طبخها، ووّرّعها على حسابي على المحتاجين، ولا تنسَ أن تضع فيها من البزار الجيّد.

خرج عبدالرحمن من المطبخ، ثم وقف مَلِيًّا، ثم عاد إلى المطبخ، وطلب فاتورة بطبخ خمس ذبائح سيرسلها مباشرة إليهم.

ثم دخل، وأخبر الطباخ بالأمر، كي لا يكون في الأمر مدخل على الطباخ المسكين، وأنه سيرسل أبا النور بعد صلاة العشاء لأخذ الذبائح الخمس، وتوزيعها.

\* \* \*

جاء عبدالرحمن في الصباح الباكر بطلب من أبي عائشة، فلما وقف على دكانه قال له سرور:

- أهلاً وسهلاً بوجه السَّعْد.

- مرحباً يا سرور، لماذا ناداني أبو عائشة بهذه السرعة؟

- يا حبيبي، أنا أقل من أن أخبرك بمثل ذلك!

- وأين أبو عائشة؟

- يا حبيبي، أنت أعلى من أن تُسْتَقْبَل في الدكان!

استغرب عبدالرحمن من كلام سرور الذي تابع:

- لقد صرّت من طيور البيت، هم ينتظرونك على الفَطور.

رمى عبدالرحمن كلام سرور دُبُر أذنيه، ودلف إلى باب البيت، ثم دَقَّ

دون عناية، وهو يحدث نفسه:

- طبعًا ستفتح الخادمة؛ لأن عائشة لا تصحو في هذا الوقت.

فتحت عائشة الباب، وهي تكاد تطير من الفرح:

- تفضّل يا عبدالرحمن، أبي ينتظرك في المجلس.

أحسّ عبدالرحمن في نفسه أن هناك أمرًا غريبًا جعل الجميع غريبًا هذا

اليوم، فلما دخل إلى المجلس وجد رجلين مع أبي عائشة، فبشّ له أبو

عائشة، ودعاه ليجلس بجانبه:

- هذا عبدالرحمن الذي أخبرتكم عنه.

رحّب الرجلان بعبدالرحمن ببرود.

- الحمد لله، لقد حصلنا على توكيلات الشركات الثلاث.

- الحمد لله، هذا من فضل الله.

- الشركة الأجنبية أرسلت خطابًا خاصًا تُثني فيه على لقائك بهم،

ويطلبون استمرار التعاون بيننا.

- الطيور على أشكالها تقع، فقد وافقتُ مع اللجنة شابًا عرفت أنه

حفيد مالك الشركة، فشبهتُ حاله بحالي، فأعجبه ذلك.

جاء صوت الخادمة بأن الفطور جاهز في الحديقة.

بعد الفطور استأذن الرجلان اللذان لم يتكلّمَا بكثرة، ورحلا، وبقي أبو

عائشة وعبدالرحمن في الحديقة.

- هذان من كبار التجار الذين أتعامل معهم، وكنتُ أحيانًا أوكلهم على أعمالي في الشرقية، وقد جاءا مباركين لي التوكيلات الجديدة.  
رفع أبو عائشة صوته، وطلب إحضار الشاي في الحديقة.  
- في الحقيقة كانت قلقًا عندما أرسلتك، لكني لم أستطع مخالفة المالك الجديد!

فتح عبدالرحمن فمه، ولم يفهم من كلام أبي عائشة شيئًا، ومن هذا المالك الجديد؟ وهل سيبيع دكانه لهذين الرجلين؟  
عاش عبدالرحمن وقتًا عصيبًا، ودارت في رأسه أسئلة كثيرة بسرعة الضوء، أراد أن يتكلم فلم يستطع، أراد أن يستوضح فلم يقدر....  
وأبو عائشة يلمح ذلك ولكنه تركه حتى يستوي، ثم قال:  
- لقد أصرت عائشة أن أوكلك بعد أن ذكرتُ لها ثقتي في عقلك وتجارتك.

- عائشة؟

- نعم، لقد ملأت البيت ضجيجًا منذ جاء الخبر بحصولي على التوكيلات الثلاث، وكأنها انتصرت في رهانها معي.  
- ولهذا استيقظت مبكرة، وفتحت لي الباب.



خَرَجَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ مِنْ فَمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ تَلْقَائِيًّا، فَمَا إِنْ اكْتَمَلَتْ حَتَّى عَرَفَ أَنَّهُ أَخْطَأَ فِيهَا، وَوَدَّ لَوْ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ طَيِّبَ الزَّمَنِ، وَمَسَحَ الْكَلَامَ السَّابِقَ. اكْتَفَى أَبُو عَائِشَةَ بِأَنْ هَزَّ رَأْسَهُ، وَقَالَ:

-نعم، نعم.

-مبارك يا عم، فأنت تستأهل كل خير، ولكن ماذا ستعمل بعد ذلك؟

-الباقى عملى، ولكن مكافأتك عندي بإذن الله.

-الله يخليك، أفضالك سابقة على وعلى أبي.

\*

\*

\*

جَرَجَرَتِ السَّنَةُ آخِرَ أَذْيَالِهَا، وَأَطْفَأَتْ آخِرَ قَنَادِيلِهَا، وَيَكُونُ عَمْرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ تِسْعَةَ عَشَرَ عَامًا.

ازْدَانُ وَجْهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِلُحْيَةٍ خَفِيفَةٍ مَا زَالَ فِيهَا بَعْضُ الْفَجَوَاتِ، وَازْدَادَتْ مَلَامِحُهُ حِدَّةً مَعَ لَيْنٍ، عَرَكَتْهُ الْحَيَاةُ عَلَى صِغَرِهِ فَاخْتَلَطَ بِقَسَوَتِهَا وَجَحْمَتِهَا، يُحَاوِلُ أَنْ يَكُونَ سَهْلَ الْأَخْلَاقِ، دَمَتْ الطَّبَاعُ، لَيْنُ الْجَانِبِ، رَقِيقُ الْحَاشِيَةِ، وَلَكِنْ الْحَيَاةُ تَدْعُوهُ أَنْ يَكُونَ شَرِسًا شَكِسًا، شُمُوسًا عَسِيرًا، مَتَوَعِّرُ الْأَخْلَاقِ، غَلِيظُ الطَّبَاعِ، خَشِنُ الْمِرَاسِ.

لا يزال عبدالرحمن يذكر قبل سبع سنوات عندما أخرجه أبوه من المدرسة، وحرّمه من التعليم، وألزمه العمل في دكانه، ثم ما برح أن عمل إخوته على طرده، لكنه أيضًا يذكر دائمًا وصيّة أمّه بأن يجعل الله ذلك خيرًا له في الدنيا والآخرة.

يقلّب عبدالرحمن بعض صفحات حياته، فيرى أنه أحرز أشياء كانت بعيدة المثال، بل في حكم الخيال، فنجحت فيها آماله، وصدّقت أمانيه، وأنه خير أشياء كان يرى أنها مقرّ سعادته، وكهف عبادته، فكذبته فيها ظنونه، وخاب رجاؤه.

كم سمّت آماله، واسترسلت أحلامه في أمور صارت نهاية أمله، وغاية رجائه، ثم يئس منها يأس السائل من مال البخيل، ويأس الشيطان من شرك الخليل.

وكم قرّ من أمور فرازه من الأسد، ولطمّ وجوهها، ثم خارت قواه أمامها، ونفض يديه من ردها.

سبحان الله العظيم الحليم العليم!

\* \* \*

اضطربت الألسنة في السوق بخبر موت أبي فهد، وصار حديث خاصة الناس وعامتهم.

كان أبو فهد من كبار تجار السوق، وكان مِلءَ السمع والبصر، مَهِيًّا  
بَجِيلًا، كبير القدر، ظاهر الأُبهة.

وكان قويّ البنية، مستحكِم الحِلقة حتى في شَيْبته، وكان لحيمًا شحيماً  
ممتلئ البدن، ولكنه كان جَهْم الوجه، ضَخَم الأعضاء، متقارب الخُطأ،  
أقربَ إلى القَصَر.

قضى شبابه، وأفنى رجولته، وأبلى شَيْبته، في السوق وتجارة العطاره،  
حتى أدرك في ذلك شَأْواً بعيداً، وَقَدْ حَا مُعَلَّى.

لا يتساهل في تجارته، ولا يتهاون مع خصومه، ولا تلين له قَنَاة حتى  
يزيد من ربحه، ومن أجل ذلك فعل فعَلَاتٍ لا تَسُرُّ المسلمَ في أخراه.

وبعد حُلُوه ومُرّه، وفقره وغناه، وخيره وشره، ذاق اليوم حتفه، وورَد  
حياض الحِمَام رغم أنفه.

نزل به الموت وهو بين أولاده غير مستأذِن، وأنشبت به المنيّة أظفارها،  
ولا نجاة لحيٍّ من أظفارها.

فصار أثرًا بعد عين، وخبرًا بعد مُخْبِرٍ، مُسَجَّى على سريرهِ، مُدْرَجًا في  
أكفانه، محمولًا على نعشه، يدفنه في التراب أحبُّ محبيه، ويتعد عنه أقرب  
أقربيه.

ضمّته الأرض بين أضلاعها، وطوته الغبراء في أحشائها، فصار قبره  
رَمْسًا، ويومه أَمْسًا، لا تسمع له رِكْزًا ولا حِسًّا.

لم يملك عبدالرحمن عند سماع خبر موت أبي فهد إلا أن قال:  
- رحمه الله، وتجاوز عنه، وأحسن الخَلْفَ في أهله.

\* \* \*

لم يبرح أولاد أبي فهد أن عَرَضُوا دكان أبيهم للبيع.  
كانت لوحة البيع على الدكان إيذانًا بنهاية حِقْبَةِ أبي فهد، وبداية لِحِقْبَةِ  
الشاري الجديد.

ومن يستطيع أن يشتري ثاني دكاكين السوق في الحجم والأهمية، فقد  
كان ثلاث فتحات كبيرة، على الطريق العام، وخلفه مستودع كبير.  
ذاك جميعُ من السوق خبرَ البيع، فلا أحد يستطيع شراءه إلا أبا سعد  
كبير العطارين، أو أن يشترك أكثر من تاجر في شرائه.  
جمع أبو سعد تجار السوق، وأخبرهم بخبر البيع، وأنه لا نِيَّةَ له في  
شرائه، فدكانه أكبر وأحسن وأهم.

\* \* \*

عاد عبدالرحمن إلى أمّه مبكرًا بعد صلاة العصر:  
- حيّا الله هذا الزَّوْلَ.

- أهلاً وسهلاً، يا أمي.

وقبل أن تسأله عن سبب تبكيره:

- أردتُ أن أجلس معك، واستشيرك في أمر مهم.

جلس عبدالرحمن في ساحة الدار، واشتغلت أمه في إكمال الشاي الذي على النار، فلما آتت ومعها الشاي وجدت عبدالرحمن قد سَبَحَ في خياله في أماكن بعيدة، وسَرَحَ بحيث لم يشعر بأمه، ولا بجلوسها بجواره. - يظهر أنه أمر مهم جداً.

عاد عبدالرحمن من سفر شروده الذهني، وعدّل من جلسته.

- نعم، يا أمي.

- خير، إن شاء الله.

- دكان أبي فهد معروض للبيع.

- رحمه الله، إيه؟

- تعلمين أني دكاني ضيق، وما زلت أستعمل البيت مستودعاً.

تعجّبت أم عبدالرحمن، واتّسعت عيناها:

- هل تريد أن تشتريه؟

- يا ليت! ولكني لا أملك ثمنه.

- ما دمت لا تملك ثمنه، فلماذا تفكر في شرائه!

تبسم عبدالرحمن في وجه أمه:

- يا غالية، أريد منك أن تفكر في معي في حل، لا أن تكسري مجاديفي.  
فأنت البركة.

أدركت أم عبدالرحمن أنها تسرعت في كلامها السابق، ولكنها أشفقت  
على ابنها من هذه المغامرة الكبيرة.

- يا بني، هذا أمر عظيم، ودخولك فيها قد يجز عليك خسائر وما لا  
تحمد عقباه، الأفضل أن تبقى في دكانك وتكبر على مهل.  
نظر عبدالرحمن إلى أمه نظرة جد وحزم:

- التجارة قرص، والذي لا يقتنص الفرصة في وقتها يبقى صغيراً.

استوعبت أم عبدالرحمن جد ولدها، وأنه لن يتراجع عما في عقله.

- ليس هناك إلا أن تستدين أو تشارك غيرك فيه.

- بمن؟ ومع من؟ لقد عرض عليّ المشاركة بعض تجار السوق، ولكني

بقائي صغيراً أفضل عندي من مشاركتهم!

- أبوك؟ أو عبيد؟

- كلاهما لا طاقة له بمثل ذلك، ولو كان عبيد يستطيع لشاركته،

ولكن أبي....

سكت عبدالرحمن، ثم استغفر الله:

- المهمّ أنهما لا يصلحان لذلك.

نفخت أم عبدالرحمن، وترددت كلام في فمها، لكن عبدالرحمن بادرها:

- خالي أحمد أيضًا لا يقدر، فمبلغ الدكان كبير جدًا.

ازداد خوف أم عبدالرحمن:

- إذا كان هؤلاء لا يقدرّون على نصف ثمن الدكان فمعنى ذلك أنها

مغامرة خطيرة جدًا يا ولدي، أرجوك فكّر جيدًا ولا تستعجل.

لا يخطو عبدالرحمن خطوة كبيرة في حياته إلا بعلم أمّه ومشورتها،

ولكنه هذه المرّة أحسّ بأنه حملها أكثر من طاقتها، وجعلها تقلق وتخاف.

\* \* \*

مرّ على عرض البيع شهران كاملان، وصار الأمر جدّيًا حين أخبر أبو

سعد تجار السوق أنه جاءه ثلاثة طلبات للشراء، أحدها من داخل السوق،

والآخران من خارجه، ولم يُخفِ أبو سعد رغبته في يكون الشاري من داخل

السوق، ولكنّ السعر هو الذي سيحكم البيع في النهاية.

فلما علّم عبدالرحمن أن موعد البيع سيكون بعد قرابة شهر من الآن

قطع أمره، ورأى أنه لا بُدّ مما لا بُدّ منه.

هَرَعَ عبدالرحمن إلى دكان أبي عائشة، الذي وصله قبيل أذان الظهر:

- السلام عليكم، يا سرور.

- أهلاً عبدالرحمن، ماذا وراءك؟

- أريد العم.

- العم في زيارة لأحد التجار، ولن يعود قبل المغرب.

- متى يكون في الدكان غداً؟

- في العادة في أول الصباح، وفي آخر العصر.

- هلاً اتصلت بي غداً عندما يكون في الدكان، أريده في أمر مهم.

\* \* \*

رنّ الهاتف في دكان أبي سعد، في أول الضُحَا، فسارع مبارك إلى الرد؛

لعله يحظى اليوم بمبلغ إضافي من عبدالرحمن.

- نعم.

- أهلاً يا مبارك، معك سرور.

- أهلاً وسهلاً.

- أخبر عبدالرحمن أن العم يريد منه أن يتغذى معه اليوم.

- إن شاء الله.

- لا تنسَ.

\* \* \*

جلس عبدالرحمن محرّجاً أمام العم أبي عائشة:



- أعتذر يا عم، فقد أردتُ لقاءك في الدكان فقط.
- أعلم، أخبرني سرور بذلك، أم أنك لا ترغب في الغداء معي.
- أبدًا، ولكني لا أريد أن أشغلك وأزعجك.
- بالعكس، نحن نحب أن تؤنسنا وتدخل بيتنا.
- يستغرب عبدالرحمن كثيرًا من استعمال أبي عائشة ضمير الجمع، ولكنه يفسر ذلك بأنه يريد نفسه.
- أما أبو عائشة فقد كان منذ مدة ينسج خيوطه حول عبدالرحمن خيطًا خيطًا، ويحكم شبكته عليه عقدة عقدة.
- وبعد الغداء، بقيا يحتسيان الشاي في حديقة البيت:
- إيه، ما الأمر الذي تريدني فيه، يا عبدالرحمن؟
- كان عبدالرحمن يريد أن يمهد للأمر، ولكن العم يُدخله فيه مباشرة:
- والله يا عم، أنا محرج منك، فقد ....
- قطع أبو عائشة تعليقات عبدالرحمن ومقدماته:
- لماذا لا تشتري دكان أبي فهد؟
- وقع سؤال أبي عائشة على عبدالرحمن كوقوع جبل على غافل، أو جدار على نائم، فلم يكن يتوقع منه هذا السؤال أبدًا.

لقد باغته هذا السؤال وهو يزوّق المقدمات، ويجمّع التعليقات،  
فبدّاه وجعله حائزاً، فلم يكن ذلك في باله، ولا جرى في حُسابانه.  
اختلطت كلّ حسابات عبدالرحمن، ولم يستطع ترتيب نفسه وكلامه،  
حتى طال سكوته.

-أراك سكتَ، يا عبدالرحمن.

حاول عبدالرحمن أن يستجمع نفسه، ليعود بسرعة إلى مجرى الحوار.

-لا أدري ماذا أقول، يا عم؟

-هل تستطيع أن تشتري الدكان؟ فهذه فرصة عظيمة لعِصامي  
مثلك.

أضاء في ذهن عبدالرحمن مشهد ملائكي لأُمّه البارحة وهي تصلي قبل  
أذان الفجر، وتدعو في القنوت:

-اللهم احفظ ولدي عبدالرحمن ويسّر أمره.

=اللهم إن كان في شرائه لدكان أبي فهد خير فيسّر له من حيث لا  
يشعُر.

=اللهم أوقف له أهل الخير في طريقه.

....

يا الله، لعل هذا من سهام الليل التي لا تخطئ.

فرح عبدالرحمن أنه أخبر أمه بنيته، وطلب بركة دعائها واستشارتها.  
أمسك العم أبو عائشة بيد عبدالرحمن عندما رآه مُسْتَتًا لا يكاد يجتمع  
على رَدِّه، وأراد أن يعيده إلى مجلسه:

- ما الأمر الذي جئتني من أجله، يا عبدالرحمن؟

نظر عبدالرحمن إلى أبي عائشة:

- هو الذي سألتني عنه.

- إذن صدق ظني.

- أنت دائماً يا عم صادق الظن، صالح الحدس.

- طيب، وهل أردت استشارتي في الأمر؟

- نعم.

- هذه فرصة سانحة قد لا تتكرر، فاغتنمها.

- ليتني أستطيع ذلك.

- إذن أنت لا تملك المبلغ كاملاً.

- عرض عليّ بعض التجار الشراكة ...

بادر أبو عائشة:

- إياك أن تفعل.

- عندي قرابة نصف المبلغ، هذا كل ما عندي.

- ما شاء الله!

- الحمد لله، فتح الله عليّ، وأنا بحاجة إلى دكان أكبر من دكاني، فدكاني الآن ممتلئ بالبضائع، وأضطرّ دائماً إلى التحميل والتزيل، وليس عندي مستودع، وأستعمل بيت أمي مستودعاً.

- هذا مخالف للنظام.

- أعلم، وهذا يقلقني كثيراً، وقد طلب مني عدد من القصور والمطابخ أن أوّمنّ لهم، ولكنني اعتذرت لعدم قدرتي على تخزين التموين.

- سُمّعتك جيدة، والراغبون في التعامل معك كثير، وهذا يوجب عليك أن توسّع دكانك، وأن يكون عندك مستودع، قبل أن ينافسك في ذلك المنافسون.

- ليتني أستطيع!

- هل تحبّ أن أشاركك في دكان أبي فهد؟

جاءت اللحظة التي تمنّاها عبدالرحمن بأسرع مما ظنّ، فلم يتمالك نفسه

أن قال مباشرة:

- نعم، ومن لا يتمنّى ذلك!

سبحان الله! تلتقي مصالح بعض الناس من حيث لا يشعرون،  
فبالحمد يرى أن الشراكة مع أبي عائشة من مصلحته، ويسعى إليها، ولم  
يَدْرِ أن أبا عائشة ينتظر هذه اللحظة أيضًا من مدة طويلة.

-طيب، سوف أشاركك في الدكان، ندخل في مزاد الدكان، وإذا  
اشتريناه تدفع نصف المبلغ، وأدفع أنا ربع المبلغ لأكون به شريكًا.  
-والربع الباقي؟

-الربع الباقي هو حقك من التوكيلات الثلاثة التي جلبتها لي.

-لكن هذا كثير، يا عم!

-ولأنك ستعمل في الدكان، فسيكون لك من الأرباح ٨٥٪ ولي  
١٥٪.

\* \* \*

خرج عبد الرحمن من عند أبي عائشة ما بين مصدق ومكذب، وما بين  
فرح وقلق.

والعجب أن القلق لم يساوره من قبل، ولكنه لما رأى أن الأمر قد  
يصير واقعًا أعاد حساباته فقلق.

هل يستطيع القيام بهذا الدكان الكبير؟ وهل يستطيع إدارة كل هذا العمل؟ أم أنه كَمَن كَبُرَ اللَّقْمَةُ فَعَصَّ بها، ولم يحسب موضع خطوته القادمة.

وفي صباح اليوم التالي بَكَرَ إلى أبي سعد، وقَدَّم طلبه لشراء دكان أبي فهد والدخول في المزاد:

-هل أنت جادٌ في ذلك، يا عبدالرحمن؟

-ومتى رأيتني مازحًا يا أبا سعد!

-يعني ستشتري دكان أبي فهد إذا رسا المزاد عليك.

-إن شاء الله.

طار الخبر في السوق وانتشر كانتشار النار في الهشيم، فتعجَّب متعجَّب، وتساءل متسائل، وغَصَّ بحقدِهم آخرون، وقلقَ لأجله محبُّون.

\*

\*

\*

منذ أن سَمِعَ أبو سالم برغبة ابنه عبدالرحمن في شراء دكان أبي فهد رَكِبَ الهَمَّ، واستولى عليه القلق، ونهَضَ من لحظته إلى عبيد:

-السلام عليكم يا عبيد.

-وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، حيَّا الله أبا سالم.

-هل سمعت عن ....

-نعم، بارك الله له، وزاده من خيره.

-أخاف عليه أن يقع في وَرْطَة كبيرة، هو لا يعرف ماذا يعني دكان أبي فهد! دعنا نذهب ونسأله ونكلّمه ونوضّح له.

-نذهب إليه؟

-نعم.

-أنت أبوه، ناده يأتِ إليك.

سكت أبو سالم، ونكّس رأسه.

-يا أبا سالم، أنت طيّب القلب، ولكنك مغلوب على أمرك.

-الشكوى لله، والله ما كنتُ أريد أن يحدث الذي حدث.

-لعلّ الذي حدث خير لعبدالرحمن، فقد أنضجته الحياة وهو صغير، وحنّكته التجارب.

-ولكن دكان أبي فهد شيء آخر، سيأكله التجار إن لم يكن له ظهر يحميه، وسيدخل في مشاكل لا قبَلَ لها.

-صدّقْ، اجلس الآن واسترح.

\* \* \*

لم يصدّق أبو النور ما سمعه، بقي على جمر حتى جاء عبدالرحمن،

فبادره:

- هل ما سمعناه صحيح؟

- دعني أجلس.

جلس عبدالرحمن.

- هيّا أخبرني.

- دعني أسترح.

- أوه، ما أبرذك! هيّا أخبرني.

- صُبَّ لي شايًا.

زَمَّ أبو النور شفّتيه:

- طيّب.

- وهات مع الشاي بعض البسكويت.

- أنت رائق، وأنا أحترق!

رَشَفَ عبدالرحمن رَشْفَةً طويلة من الشاي:

- نعم، ماذا عندك يا أبا النور؟

- كُفَّ عن استفزازي، وأخبرني: هل صحيح أنك ستشتري دكان أبي

فهد؟

- هل تحبُّ أن أشتريه؟

- حبي وكرهي لن يغيّر شيئًا، أرجوك أخبرني.



- نعم، قدّمت طلبتي بشرائه، وإن شاء الله يكون لي.
- لكن هذا شيء كبير وخطير، هل حسّبت الأمور ....
- هنا وصل منصور عامل عبيد:
- السلام عليكم.
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.
- العم عبيد ومعه أبوك يريدانك.
- إن شاء الله، اذهب، وآتي خلّفك.
- أكمل عبدالرحمن الشاي، وأكل بعض البسكويت، ثم نهض قائلاً:
- سيكملان التحقيق!
- أي تحقيق؟
- الذي بدأته أنت قبل قليل.

\*

\*

\*

- يا بني، الأمر خطير عليك، أبو فهد على شراسته وقوّته لم يسلم من
- حيل التجار ومشاكساتهم.
- وماذا تريد مني، يا أبي؟
- أريد أن تفكر ملياً، وتَسأل وتستشير قبل أن تُقدّم على هذا الأمر.
- وأنت يا عم عبيد، ما تقول؟

- ما يقوله أبوك صحيح.
- هل تظنّون أنني أقدم على مثل هذا الأمر دون طول رويّة وسؤال؟
- ولكنّك وحدك، يا ولدي.
- لست وحدي.
- إذن معك شريك.
- بالطبع.
- لا بُدَّ أن يكون في مثل قوّة أبي فهد.
- هو أقوى.
- إذن وافق أبو سعد على شراكتك.
- هو أقوى من أبي سعد.
- ومن أقوى من أبي سعد في السوق.
- الدكان سيكون باسمي، شريكي لا يرغّب الآن في ظهور اسمه،
- لكن اطمئنا، أنا متكلّم على ظهر قويّ.
- خرج عبدالرحمن وأبوه من دكان عبيد، فلقّيهما أبو النور لاهثاً:
- خير، يا أبا النور.
- بعض التجار عند الدكان يريدونك.
- لقد تعبّت اليوم بما فيه الكفاية، وهم جاؤوا لإكمال تحقيقك.

-أوه، يا عبدالرحمن، لا تَقُلْ ذلك.

ضحك عبدالرحمن حتى ضحك لضحكه أبو النور:

-المهم، سأذهبُ من الشارع الآخر إلى البيت، وأنت اصرفهم اليوم،

والله يعين عليهم في الغد.

ما إن ذهب أبو النور حتى سأل أبو سالم ابنه عبدالرحمن:

-هل شريكك أبو عائشة؟

تبسم عبدالرحمن، ولكنه لم يُجِبْ.

-لقد كُثِرَتْ يا عبدالرحمن، فإن لم نَقَرَّ عينك بي، فقد قَرَّتْ عيني بك.

-لا عليك يا أبي، ما فات مات، وكثرة الكلام في الماضي من قلة

العقل.

\* \* \*

قبل يوم من المزداد جمع أبو سعد تجار السوق الذي سيدخلون في المزداد:

-تعلمون أني أرغب في أن تشتروا الدكان، فجميعنا لا يرغب في

دخول تجار لا نعرفهم بيننا.

-وما العمل؟

-أنا اجتمعْتُ بهم، وأخبرتهم عن طبيعة العمل، ومشاكل السوق،

وحاولت أن أخيفهم من شراء الدكان.

- وهل تظنّهم سيتركون المزاد؟

- لا أظنّ، ولكن لعلّهم لا يُزادون كثيرًا.

حينئذ التفت أحد التجار إلى عبدالرحمن:

- يا عبدالرحمن، هل ستدخل المزاد وحدك أم معك شريك؟

- سأدخله باسمي وحدي إن شاء الله.

عمّ سكوت مفاجئ لهذا الجواب غير المتوقع، فقد كان ينتظر معرفة

شريكه؛ لأنه يعلم أن عبدالرحمن لم يشارك أحدًا من تجار السوق، فتوقّع أنه

من خارج السوق، فيُوقّع بذلك بينه وبين أبي سعد.

- وعلى كم سيقف سؤمك في المزاد؟

- فوقّ ما سيقفّ عليه سؤمكم بإذن الله.

قطع أبو سعد الحوار بقوله:

- الله يكتب ما فيه الخير، ولقاؤنا غدًا إن شاء الله في المزاد.

نهض الجميع، فاستقعد أبو سعد عبدالرحمن، حتى إذا انصرفوا سأله:

- أعرف أنك لا تستطيع دخول المزاد وحدك، وأعرف من تتعامل

معه من القصور والمطابخ، فلا تظنّ أنّي صدّقتك في كلامك قبل قليل.

- هذا صحيح، وإلا لم تكن شيخ العطارين.

- من شريكك؟

- هو ليس من تجار السوق، ولكنه ليس غريبًا عن السوق.

- من هو؟

- العم أبو عائشة.

- أنعم به وأكرم، الآن صرْتُ مطمئنًا، فأنا أرغب في أن تشتري

الدكان، فأنت لست بصاحب مشاكل.

- ولا أطمع في مشيخة العطاراة، بل: لا أريدها.

تبسم أبو سعد تبسم المنكر:

- نرى ذلك فيما بعد.

- أنا صادق فيما أقول، فأنا أشتري راحتى وسلامتى بالدنيا.

- ماذا تعني؟

- لو كنتُ أنا شيخ العطارين، فإما أن أستغلها في مصلحتي فأفسد

ديني وآخرتي، وإما ألا أستغلها في مصلحتي فأفسد دنياي بمشاكل السوق

التي لا تنتهي.

نهض عبدالرحمن، واستأذن سريعًا، وذهب، قبل أن يسمع جواب أبي

سعد الذي غاضه كلام عبدالرحمن من جهة، ولكنه طمأنه من جهة أخرى.

\*

\*

\*

كان يوم مزاد بيع دكان أبي فهد من أيام السوق المشهودة، اجتمع له أهل السوق أجمعون، فمنهم المشارك في المزاد، ومنهم المترقب، ومنهم المتفرج.

ولم ترتفع الضحّا إلا وقد ارتفع صوت المزاد، بدأ خفيفاً بطئاً، ثم قوي وتسارع، وغالب المزايدون فيه بعضهم بعضاً، وكلهم قد تطاولت أعناقهم، وتعلقت بالدكان آمالهم.

وأبو سعد يراقب كالصقر كل شيء، ويعجب لعدم مشاركة عبدالرحمن في المزاد، فلم يصل المزاد للسعر المناسب بعد.

ما زال عبدالرحمن واقفاً يراقب الوضع باهتمام بالغ، وبجانبه أبو النور، الذي نبّهه إلى أن أباه وعبداً يقفان خلفه، فأخذ عبدالرحمن بيد أبيه فأوقفه يمينه، وأخذ بيد العم عبيد فأوقفه يساره.

-يا ولدي، لماذا لم تشارك في المزاد؟

-يا أبي، لكل شيء وقته.

-(عبيد): إذن ستدخل في آخر المزاد.

-إن شاء الله.

اقرب أبو سالم من ابنه عبدالرحمن:

-عندي خمسة وعشرون ألف ريال، إذا احتجت إليها أعطيتك إياها.

نظر عبدالرحمن إلى أبيه محاولاً الابتسام، ونكّس أبوه رأسه محاولاً الاختفاء.

-كثّر الله خيرك، يا أبي!

-(عبيد): ومنى مثلها، يا عبدالرحمن.

-لو احتجّت إلى شيء فأنت ممن أهرع إليهم يا عم، ولكنها مستورة والحمد لله.

هنا رفع عبدالرحمن يده، وبدأ في المزاودة، وكلّما وقفت المزاودة رفعها عبدالرحمن قليلاً.

انسَلَّ أحدهم إلى جوار أبناء أبي فهد:

-حيّا الله أبناء العم الكبير أبي فهد.

-أهلاً وسهلاً.

-هل تعلمون أن هذا الفتى الذي يزود على دكان أبيكم هو

عبدالرحمن الذي كان خصماً لأبيكم في السوق؟

قال له الابن الأوسط دون أن يلتفت:

-وماذا في ذلك؟

-هل ستيعون دكان أبيكم لخصمه؟

التفت الابن الأكبر إليه، وقال بجفوة:

-إن دفع أكثر بعنا له، ولا يُهْمُنَا إن كان عبدالرحمن أم عبدالعزيز، وإن أردت الدكان فارفع السوم أكثر.

بدأ المزاودون يخرجون من المزاد واحدًا بعد الآخر، بعد أن قطع اليأس حبال آمالهم، ولم يبقَ لهم في الدكان رَجِيَّةٌ، حتى لم يبقَ إلا عبدالرحمن وشركاء من تجار السوق، وحيثنذ اتكأ أبو سعد على كرسیه مستبشراً جَذَلًا، قد برقت ثنياه، وأشرق محياه، وترك مراقبة المزاد؛ لأن نتيجة ستكون على ما يريد.

ثم لم يبرح الأمر أن انجلي عن رُسُو المزاد على عبدالرحمن الذي أصابته هِزَّةٌ، لم يذِرْ أهي هِزَّة انتصار أم قلق.

أكمل عبدالرحمن الإجراءات، وتلقَّى التبريكات، وردَّ التحيات، وفتح صفحة في حياته من أهم الصفحات.

وكان سرور يراقب كلَّ ذلك عن بُعْدٍ، وبعد أن خَفَّ الناس عن عبدالرحمن، اقترب منه:

-جعل الله هذا الدكان باب خير وسعادة في الدنيا والآخرة.

-آمين، جزاك الله خيرًا، يا سرور.

اقترب سرور أكثر من أذن عبدالرحمن:

-بهذه المناسبة العم يريد أن تتعشى عنده القابلة أنت وأمك.



اتسعت عينا عبدالرحمن:

-أنا وأمي.

-نعم.

-طيب، عن شاء الله.

\* \* \*

كانت رُقِيَّة وسُمَيَّة أكثر من فرح في بيت أبي سالم بشراء عبدالرحمن  
للكان أبي فهد.

-(رقية): أبي، لماذا زيارات أخي عبدالرحمن لنا قليلة؟

تبرعت أم سالم بالجواب:

-أسألاه إذا جاء.

-كلما سأله يقول: مشغول.

-(أبو سالم): نعم، هو مشغول بالسوق، يا بنتي.

-(أم سالم): أو رُبَّما لا يرغَّب في زيارتكم.

-بل يحبّ زيارتنا، ويخبرني أنه يرتاح عندما يرانا.

-(سمية): عبدالرحمن يحبّني أكثر من إخواني.

-(أم سالم): اخرسي، لا تقولي ذلك عن إخوتك.

اختبأت سمية الصغيرة خلف أبيها.

- (أبو سالم): ترفقي بالبنت.

- ألا تسمعُ ما تقول!

- (سمية): منذ كنا صغاراً وهو يلعب معنا، ويملمنا على ظهره، والآن

لا يأتي إلا ومعه شيء لي.

- (أم سالم): هذا الذي يُهمُّك.

ذهبت أم سالم لمتابعة أعمال المطبخ.

- (رقية): أبي، لماذا أُمي لا تحبّ عبدالرحمن؟

- لماذا تقولين ذلك؟

- كلما جاء إلينا تضايقه ببعض الكلمات حتى يذهب.

- (سمية): في المرة الأخيرة منعنا من فتح الباب حتى يكاد يذهب!

- (رقية): فلما دخل إلى المجلس، جلس معنا قرابة ساعة، ولم تجلس

أُمي معنا، ولم تقدّم له سوى الماء.

- ولماذا لم تقدّمي له الشاي على الأقل.

- لقد أغلقت أُمي المطبخ، وذهبت إلى الجيران.

- لا حول ولا قوة إلا بالله، إذن جلستم بلا أكل ولا شراب.

- لا، عبدالرحمن كالعادة جلب معه العصير والبسكويت.

- المشكلة أنه يأتي وأنا غير موجود في البيت.

- صحيح، لا أذكر أنه جاء وأنت في البيت.
- إذا جاء في المرة القادمة تعلقن به، واطلبن منه أن يتعشى عندنا.
- (سمية): ولكن أُمي سترفض.
- لن ترفض، أنا سأقنعها.

\*

\*

\*

مع انتصاف المغرب كان عبدالرحمن وأمه يطرقان باب أبي عائشة.  
- من عند الباب؟

التفت عبدالرحمن إلى أُمي باستحياء:

- هي.

ثم رفع صوته بالجواب:

- أم عبدالرحمن وعبدالرحمن.

فتحت عائشة الباب، ورحبت بأم عبدالرحمن، ودخلت معها إلى داخل البيت، وفي أثناء ولوجها سمعت صوت أبي عائشة:  
السلام عليكم يا أم عبدالرحمن، زارتنا البركة، يا أهلاً وسهلاً.  
ردّت أم عبدالرحمن بصوت منخفض، يعلوه الحياء، وأكملت  
ولوجها إلى داخل البيت.

وجد عبدالرحمن أبا عائشة قد بدأ بالقهوة، فشاركه فيها:

-والآن ماذا ستعمل، يا عبدالرحمن؟

-في رأسي أشياء كثيرة جدًا.

-مثل ماذا؟

-سأبيع دكاني القديم الصغير.

-وأيضًا.

-سأنقل المستودع من بيت أمي، ثم أجمع كل البضاعة في دكاني

الجديد.

-كل هذا واضح.

-منذ اتَّفَقْتُ معك على شراء الدكان الجديد وأنا أتواصل مع كل

الزبائن الذي طلبوا مني من قبل التموين، وجعلتُ مكافأة لكل طبّاخ

يأتيني بزبون جديد، وخاصة من قصور الأمراء والأغنياء، ومررت بنفسي

على عدد من الأسواق الصغيرة والعطارين الذين في خارج السوق،

وقدّمت لهم عروضًا جديدة للتموين والتعاون.

-كل هذا قبل أن تضمّن شراء الدكان؟

-حتى لو لم أشتَرِ الدكان الجديد، فلن أبقى على وضعي، كنتُ

سأستأجر مستودعًا قريبًا من السوق، وكدتُ أستأجره لولا وفاة أبي فهد.

-ولماذا تبيع دكانك القديم؟

-أريد أن أركز كل عملي وجهدي على الدكان الجديد في السنتين القادمين.

-وبعد السنتين؟

-إن سارت الأمور على ما يرام سوف أفتح فرعًا في سوق الخضار الجديد الذي افتُتح في شمال البلد.

-أكل هذا في رأسك؟

-وأكثر وأكثر.

-هذا حماس الشباب، ولكن السوق قد لا يطيعك على ما تريد.

-إذا لم يطعني السوق سياسته، فالذي لا يأتي اليوم يأتي غدًا إن شاء الله.

ارتفع صوت أذان العشاء، فنهض أبو عائشة لتجديد وضوئه، ثم وقف عند الباب الداخلي، ونادى:

-يا عائشة، ضعوا العشاء بعد الصلاة مباشرة، لا نريد أن نؤخر

ضيوفنا.

-أبشر، إن شاء الله.



جلس أبو عائشة وعبدالرحمن على مِنْصَدة العشاء في الحديقة التي اعتادها عبدالرحمن، لكن هذه المرة فيها مبالغة في الطعام والاحتفال.  
- هذا احتفال عائشة، تحتفل بسرائنا الدكان الجديد.

- جعل الله فيه البركة.

أكلًا لَقِيَّات، ثم واصل أبو عائشة الكلام:

- ما أخبار أبيك وإخوتك؟

- الحمد لله، هم بخير.

- هل تزورهم، يا عبدالرحمن؟

أحسَّ عبدالرحمن أن وراء هذا السؤال شيئًا، وكأن أبا عائشة يعرف  
النُّفرة التي بينهم:

- نعم، ولكن على خفيف.

- كيف: على خفيف؟

- مرة في الشهر.

- أليس هذا قليلًا.

أخرج عبدالرحمن كثيرًا، فإن اعتذر بها وَقَعَ له من قَبْلُ نَشَرَ أسرارًا  
عائلية يريد كتمانها لا نشرها، وإن لم يعتذر بذلك كان هو المعلوم.  
أكمل أبو عائشة كلامه:

- لا شيء يمنع الرجل من زيارة أهله ما داموا لم يغلقوا الباب دونه.

- صدقت، يا عم.

- مهما فعلوا له، فالرجل لا يترك مروءته ولو تركها غيره.

- والله صدقت، يا عم.

هنا تذكر عبد الرحمن قول الحكيم:

بلادي وإن جارت عليّ عزيزةٌ وقومي وإن ضنوا عليّ كرامٌ

حاول عبد الرحمن إعادة الكلام إلى التجارة:

- هل وصلت بضائع التوكيلات الجديدة؟

- ستصل قريباً، إن شاء الله.

- أريد منها كلّها، فقد روجتُ لها عند زبائني.

- أبشر.

\*

\*

\*

- عائشة بنت طيبة، ولكن من الواضح أنها مخدومة وإن حاولت أن

تظهر أنها ربة بيت.

هزّ عبد الرحمن رأسه لكلام أمّه، وأردف:

- هي وحيدة أبيها.

- لكنها طيبة جدًا، وجهها بريء كوجه الصباح، وقلبها طاهر كماء المطر.

- إذن لم تبتعد، فقد أخذت ذلك من أبيها.

- يظهر أنك قريب من أبي عائشة، يا ولدي.

- له عليّ فضل كبير، فقد دَعَمَنِي ونَصَحَنِي.

- وما مناسبة هذا العشاء؟

- شراء الدكان الجديد، فأبو عائشة شريكي فيه، له ربع الدكان.

- إذن فأنت تثق به كثيرًا.

- تنهّد عبدالرحمن، ثم قال:

- أريد أن أقول: أثق به كأبي، ولكنني أثق به أكثر من أبي.

أثر هذا الكلام في قلب أم عبدالرحمن، فهو يظهر مدى غُور جراحه

التي لم يعالجها الزمان.

- يا ولدي، حاول ألا تحمِل في قلبك الغِلّ ولا الحقد، فأنت أول من

يكتوي بهما.

- لقد حرمني من الدراسة ومواصلة التعليم، ولو واصلت تعليمي لم

يردّني خالي، ولقبِل بِخِطْبَتِي للعنود.

- سبحان الله! أما زالتَ تفكر في ذلك؟



-إنه لا يذهب من أمام عيني، ولكني أُجبر نفسي على تناسيه.  
 -ولو واصلت دراستك لم نتعشَّ الليلة عند أبي عائشة وعائشة.  
 أدرك عبدالرحمن أن أمه رأت بعين قلبها شيئاً مما يدور في قلبه، فقطع  
 الحوار، وبادر إلى غرفته.

\* \* \*

بعد إلحاح شديد من رقية وسمية وافق عبدالرحمن على تناول العشاء  
 عندهم، فقد كان يحبهما كثيراً، كما كان يحب أخاه خالدًا الذي لم يره منذ مدة  
 طويلة.

صلى عبدالرحمن العشاء بجوار بيت أبيه، فالتفت عليه بعض الجيران  
 يسلمون عليه ويعرضون عليه زيارتهم، بعضهم لمعرفتهم له من قبل،  
 وبعضهم لمعرفتهم أنه صار من تجار سوق العطاراة.

أحسَّ أبو سالم في داخله بشيء من الفخر والاعتزاز، وهو بجوار ابنه  
 الذي يحظى بكل هذه الحفاوة.

سار عبدالرحمن بجوار أبيه ساكتين، حتى بلغا البيت، وما إن طرقا  
 الباب حتى فتحت سمية الباب، ثم قفزت تعانق عبدالرحمن فرحة جذيلة.  
 استقرَّ بهم المقام في الصلاة، وقد جلست سمية يمين عبدالرحمن وهي  
 تمسك بيده، وتكثر من سؤاله، وجلست رقية عن يساره:

- (رقية): اهدني قليلاً يا سمية، دعني أسأل عبدالرحمن.
- (خالد): أهلاً وسهلاً يا عبدالرحمن، والله لقد اشتقنا إليك.
- (رقية): عبدالرحمن يأتي أحياناً، ولكنه لا يوافقك يا خالد إلا قليلاً.
- أنا بخير وعافية، والحمد لله، أنتم ما أخباركم؟
- في هذه الأثناء يدخل مروان متجههم الوجه:
- أهلاً يا عبدالرحمن.
- أهلاً وسهلاً، يا مروان.
- (أبو سالم): أين سالم؟
- مروان: عنده ارتباط، وربما لا يستطيع العشاء معنا.
- وضع عبدالرحمن ما جلبه معه من حلويات وسُطّ الجميع.
- (رقية): يُمنَع أكل شيء قبل العشاء.
- (سمية): طبعاً، لقد بقيت في المطبخ منذ العصر لتحضير العشاء.
- حاضر، يا رقية.
- مضى الوقت في السوايف، وفي لعبة (إنسان حيوان نبات) التي تحبها رقية وسمية، حتى دخلت أم سالم، فوقف عبدالرحمن، ومدَّ يده إليها، وصافحها:
- السلام عليكم، يا خالة.

-وعليكم السلام.

- (أبو سالم): متى العشاء، لقد جِئْتُ؟

نهضت رقية، وهي تقول:

- حالاً، هيّا الحقيني، يا سمية.

وبعد دقائق كان العشاء جاهزاً.

- (أبو سالم): ما شاء الله! ليتك تتعشى عندنا دائماً، يا عبدالرحمن.

- (رقية): حرام عليك، يا أبي، كأني لا أطبخ لك كل ما تريد.

- تطبخين، تطبخين، يا بنتي، ولكن هذا الطبخ لذيذ ومتنوع.

- (خالد): ليت عبدالرحمن يتعشى عندنا كثيراً.

- إن شاء الله، يا أخي.

لِزِمَت أم سالم ومروان الصمت، حتى انتهى العشاء.

لَحِقَت رقية وسمية وخالد عبدالرحمن حتى خرج من البيت، فأخذ

عبدالرحمن بيد خالد، وانفرد به قريباً من باب البيت:

- ألا تحب أن تعمل؟

- ولكني أدرس.

- عندي لك عمل لا يعارض الدراسة، فالعمل يجعل النفس عزيزة

وطُلْعَةً إلى المجد والتغيير.

-وما هو؟

-فكّر جيّدًا، فإذا رغبت فيه فمُرّ بي في الدكان.

-إن شاء الله.

\* \* \*

بعد أن استقرّ عبدالرحمن في الدكان الجديد، ونظّم أموره وحساباته، بدأت صفحة جديدة من تجارته التي كان يقيدّها صِغَر دكانه، وعدم مستودعه، وتنكيد حِيل أبي فهد التي لا تنتهي، وقد أكلت هذه الصفحة سنتين من حياته، حتى قام دكانه الجديد على سُوقه، وصار من أهم دكانين المدينة كلّها.

لكنه كان حريصًا جدًّا على ألا تتقاطع أعماله مع أعمال تاجر آخر، فلا يقترب من عميل لتاجر آخر، ولا يقبل تموين زبون يتعامل منذ زمان مع تاجر آخر.

وكان أكثر ما يميّز عبدالرحمن الأبايزر التي يصنّعها، فقد تجاوزت شهرتها المنطقة الوسطى إلى بقية المناطق، وقد كان لعيشته الطويلة في السوق وبين دكانها وزبائنها أثر كبير في تنوع هذه الأبايزر وجودتها.

كوّن عبدالرحمن فريقًا لتسويق أبايزره، وضمّ إليه أخاه خالدًا، وبدأ الفريق بإرسال موظفيه إلى الأسواق الكبرى في مختلف المدن، لعرض

الأبازير الخاصة بـدكان عبدالرحمن على تجار العطار، وترويج البضائع الجديدة التي أخذ أبو عائشة توكيلاتها، وقد جلب له هذا العمل زبائن جدداً، وأعداءً جدداً.

وسُرَّعان ما وصل دخان هذا العمل إلى أبي عائشة، الذي استدعى إليه عبدالرحمن مستعجلاً:

-خير، يا عم، ناديتني بسرعة.

-جاءتني شكاوى عدّة من تجار المناطق الأخرى ضدك.

-ضدي أنا.

-نعم، يقولون إنك تسوّق بضائع توكيلاتها معهم لا معك.

-أنا سوّقتُ للبضائع التي أخذتَ أنت توكيلاتها.

-أنا أخذتُ توكيلاتها في المنطقة الوسطى فقط.

-أعلم ذلك يا عم، ولكنني سوّقتُ للبضائع الجديدة التي أظن أن

التجار لن يُقبلوا عليها.

-وهل علمتُ ذلك منهم أم ظننته؟

سكتَ عبدالرحمن، وكأنه أدرك خطأه.

-التجارة لا تقوم على الظنّ وحسن القصد، يجب أن يلتزم كل تاجر

بحدوده، وإلا حصلت مشاكل نحن في غنى عنها.

-آسف، يا عم، لن أفعل مثل ذلك أبدًا.

-أمامك أشياء كثيرة لتتعلمها في التجارة، يا عبدالرحمن.

-الحمد لله أنك بجواري، ترشدني وتوجّهني.

\*

\*

\*

عاد خالد من سفره الذي دام ثلاثة أيام إلى بيت أبيه أبي سالم.

-(أبو سالم): ما هذا السفر، يا ولدي؟

-كنتُ في مهمّة تسويق تجاري، يا أبي.

-(أم سالم): ما شاء الله على ولدي، سيكون تاجرًا، إن شاء الله.

-(أبو سالم): إن شاء الله.

أجلستُ أم سالم خالدًا بجوارها، ثم صَبَّت رقية له الشاي.

-(سالم): لكن ما أخبرتنا عن طبيعة هذا التسويق.

-أسواق بضائع، ولي نسبة من الربح.

-(أبو سالم): وما هذه البضائع؟

-ما ستكون وأنا ابنك، أغذية وأبازير وعطارة.

-(مروان): ولمصلحة من هذا العمل؟

-لمصلحتي ومستقبلي.

-(رقية): ما هذا! هل هو تحقيق؟

- (أم سالم): دعوه؛ كي يرتاح الآن.

- (سالم): لماذا لا تخبرهم أنك تعمل لمصلحة دكان عبدالرحمن.

وقفت أم سالم وهي لا تصدق ما تسمع.

- ماذا، ماذا؟

- (أبو سالم): اهدئي، واجلسي حتى نسمع ونفهم.

- (خالد): أولاً: أنا أعمل لمصلحتي أنا. وثانياً: لا فرق بين العمل

عند عبدالرحمن أو عند أبي أو عند أي تاجر آخر.

- (مروان): هناك ألف فرق.

- (خالد): وما الفرق، أيها العاقل؟

- (أبو سالم): اهدؤوا يا أولاد، واحترموا بعضكم.

- (أم سالم): خالد، أخبرني دون لف ولا دوران.

- (خالد): نعم، أنا أعمل ضمن فريق كونه أخي عبدالرحمن لتسويق

بضائع دكانه. تعلم - يا أبي - إن الأباذير التي يصنعها أخي عبدالرحمن لا

مثيل لها، ما عرّضناها على تاجر إلا أعجب بها، وطلب التعامل معنا.

- (أم سالم): كفى، كيف تعمل عند أخيك؟

- وماذا في ذلك؟

- أولادي يعملون عند ولد أم عبدالرحمن.

- يا أمي، هذه تجارة، ليس فيها ولدي وولد فلانة. وقد أخبرتك أكثر من مرة أني لستُ مَعْنِيًا بموقفك من عبدالرحمن وأمه.

-(أبو سالم): لماذا لم نخبرنا بذلك منذ البداية؟

-ألستم تقولون دائمًا: اعملوا، وتاجروا، ولا تبقوا عاطلين.

-(أم سالم): نعم، اعمل، لكن عند عبدالرحمن لا.

-عبدالرحمن أخِي، وهو أولى الناس بي، وأنا أولى الناس به.

-يا سلام، ولهذا جعلك أجيرًا خادماً عنده.

-لستُ خادماً، بل موظف آخذ مالاً مقابل عملي.

-ولماذا لم يعطك المال مباشرة ما دام أخاك!

-ماذا تقولين يا أمي! لو أعطاني المال دون عمل ما قبلته، ولا رَضِيتُ ذلك لنفسِي، وإني لأجدُ غُصَّةً وأنا آخذُ المال من أبي، فكيف آخذه من أخِي؟

أطرق سالم ومروان برأسيهما، وسكتا، وأكمل خالد كلامه:

-إن عبدالرحمن يعطي جميع المسوّقين عنده ٢٥٪ من صافي الربح، ويعطيني ضعف هذه النسبة ٥٠٪، فلما رفضت هذه الأفضلية أقسم عليّ أن أقبلها، وقال: ليس أخِي كالغريب.

أراد أبو سالم أن يهدئ الوضع، فقال:



- إذن احرص على تعلُّم أصول التجارة من أخيك؛ كي تكون تاجرًا في أقرب وقت، ياذن الله.

- (سمية): الله! سيكون لي أخوان تاجران!

- (خالد): بما أنك قلتَ ذلك يا أبي، لقد عملتُ معك مُدَّةً متقطعة وما استفدتُ كبير خبرة منك، وعملتُ مع عبدالرحمن مدَّة يسيرة فاستفدتُ أشياء كثيرة، كلَّما جئتُه في الدكان يجلسني بجواره، وإذا جاء تاجر قال له: هذا أخي خالد، ويُشركني في حوارته مع التجار والزبائن، ويقول لي: إنك تستفيد من هذه الحوارات أكثر مما تستفيد من السوق.

دخلت رقية وكأنها تريد قطع هذا الحوار البائس:

- العشاء جاهز، هل أضعه الآن؟

- (أم سالم): لا، بعد قليل.

- لكننا جائعون.

- قلتُ: بعد قليل.

- (خالد): ولو عملتُ عند غيره لن يراعي دارستي، ولن يعطني

إجازة من العمل متى ما شئت.

\*

\*

\*

كاد رأس أبي سالم ينفجر من كثرة إلحاح أم سالم عليه أن يطلب من عبدالرحمن عدم توظيف خالد عنده.

- أليس ولدك؟ يجب أن يسمع كلامك.

- ولماذا لا يسمع خالد كلامك؟

- أنت تعرف خالدًا، إنه عنيد، وخاصة فيما يتعلق بعلاقتي من

عبدالرحمن.

- ولكنني أعرف ما سيقول عبدالرحمن.

- وماذا سيقول؟

- سيقول: الأمر لخالد، ولن أرغمه على شيء.

- إذن سأكلّم أبا سعد شيخ العطارين.

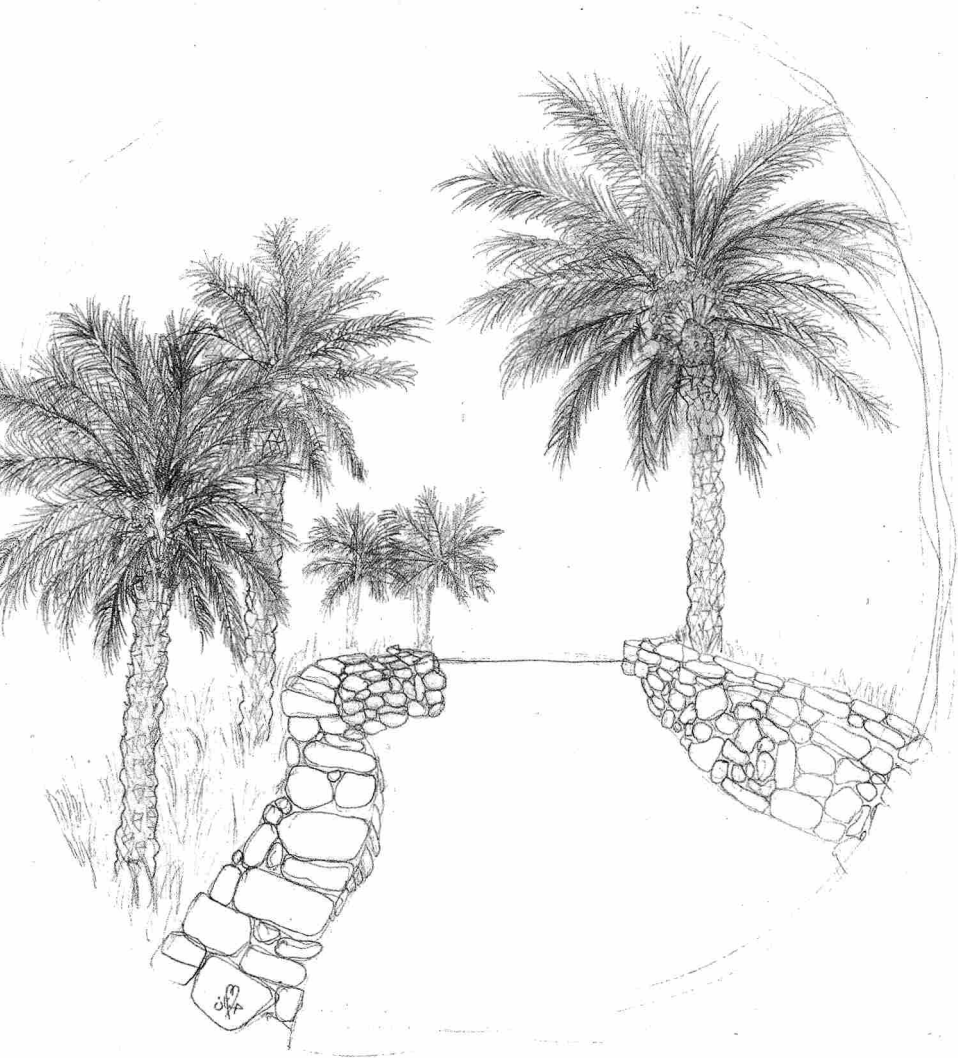
- سيقول: لا علاقة لي بذلك.

- أوه.

- يا امرأة، اتركي الأخوين مع بعضهما، ولعلّ خالدًا بعد سنوات قليلة

يستقلّ بتجارته، وتقرّ عينك به.

هزّت أم سالم رأسها ففعل المقتنع الغاضب الذي خرج الأمر من يده.



الفصل الرابع  
عبد الرحمن الزوج والاب



كان عبدالرحمن في شَرخ شبابه عندما ودَّع العشرين ودخل في السنة الحادية والعشرين من عمره.

لَطَمَتِ الحياةَ مرارًا، وحَضَّتْهُ أحيانًا، اعتاصت عليه أمور والتأثت، حتى غَدَت صعبةُ المنال، بعيدة المرام، وانقادت له أمور وصَفَت، حتى غَدَت على طَرَف الثُّمام، قريبة المتناول، سهلة المطلب.

تعلَّم من الحياة أن يصبر على البَلِيَّة حتى تنكشف، ويُسائِس المكاره حتى تنصير، وألا يُواجهها بكلِّ قوته لأنه قد يخسر فيخسر معها كلَّ شيء! تعلَّم أن يجعل الباب دائمًا موارَبًا، وأن يعرف طريق الرجوع قبل الذهاب، وألا يجعل كلَّ جهده في أمر واحد، أو يجمع كلَّ بيضه في سلة واحدة، أو يضع كل ماله في مشروع واحد.

تعلَّم من أمِّه الاعتماد الصادق على الله، والرضا التام بقضائه وقدره، والتوكُّل عليه في كل عمل.

لقد رأى شبابًا اشتغل بالدراسة وطلب العلم، وشبابًا عاطلاً لا عمل ولا علم، وشبابًا عَضَّهم الزمان، فتركوا الدراسة وتحملوا الأعمال الشاقة ليقوموا بإخوانهم وأهليهم.

ورأى رجالاً بينهم وبين القبر شُبْرٌ وهم يَجْرُونَ خلف الدنيا جري  
 الوحوش، ورجالاً لا يملكون من أمر بيوتهم سوى جلب المال والنفقة،  
 ورجالاً يَتَمَنَّى الأولاد أن يكونون آباءهم.  
 لقد راض الزمان عبدالرحمن، وأدبه الملوان، وَصَّرَسَتْه التجارب،  
 وحَنَكْتَهُ المواقف، لكنه إذا جالس أبا عائشة عَلِمَ أنه قد بقي عليه الكثير كي  
 يتعلَّم من مدرسة الحياة الكبرى.

\*

\*

\*

-أين أبو النور؟

-لقد ذهب إلى سوق الشمال، ولم يرجع، يا عم.

لم يَنْتَهِ عبدالرحمن من شرب كأس الشاي حتى جاء أبو النور.

-لقد تأخَّرت!

-لقد صار الذهاب والرجوع إلى سوق الشمال متعباً.

-صدقت، فقد حان الوقتُ.

-وقت ماذا؟

أسند عبدالرحمن ظهره على الكرسي، وألقى رأسه على ظهر الكرسي،

وراح يَسْبَحُ في بحر التفكير.

نهض أبو النور إلى عمله؛ لأن عبدالرحمن لا يرُدُّ على أحد في هذه

الحالة.

\* \* \*

- ليس لنا موزعون أقوياء في كثير من مدن المنطقة الوسطى، يا عم.

- هذا صحيح، وهي مشكلة قديمة.

- وقد رأيتُ أنه قد حان الوقت أن أفتح لنا ثلاثة فروع، أحدها في

سوق الشمال في المدينة، وفرعين في خارج المدينة.

- لنا أولك؟

- لك - يا عم - ربع الدكان، و ١٥٪ من الأرباح.

ضحك أبو عائشة، فقد أراد أن يستشير عبدالرحمن بذلك.

- وماذا ستفعل؟

- رأيتُ أن أبدأ باستشارتك في الأمر.

- بالنظر إلى أرباح الستين الأخيرتين يمكننا فعل ذلك.

- الحمد لله، لقد جهَّزْتُ اقتراحًا كاملاً بالأماكن والعمال وطريقة

العمل.

- ما شاء الله! فعلتَ كل ذلك وأنت تقول: إنك بدأت الأمر

باستشارتي!



-أستغفرُ الله يا عم، لو لم توافق وتدعم الفكرة لرميتُ الاقتراح.  
 -بالعكس، لقد أعجبتني، فالذي لا يدرُس ما سيعمل قبل أن يعمل  
 يُخسر.

\* \* \*

كان بيت أبي سالم هادئاً هذا المساء:  
 - أراك مستعجلاً يا خالد، ماذا عندك في هذا المساء؟  
 -عندنا اجتماع في العمل يا أبي، فقد دعا عبدالرحمن كبار موظفيه  
 الليلة، وعزّمهم.  
 - (أم سالم): أين؟  
 -في بيته، بيت أمّه.  
 - يعني يريد أن يعشّيكم، لو زاد نسبك لكان أحسن من عشائه.  
 سكت خالد، ثم انصرف، وتبعه أبوه إلى خارج البيت:  
 - ما هذا الاجتماع، يا ولدي؟  
 - لا أدري، يا أبي، الذي فهمته أنه اجتماع عمل، لا مجرد عزيمة.  
 - هو كذلك، فعبدالرحمن لا يمكن أن يتعب أمّه من أجل عشاء  
 لموظفيه، ولكنه يحبُّ أن يبدأ أموره المهمة من بيت أمّه، ونحت بركتها.  
 - لعلّه كذلك، يا أبي.

-خيرٌ، إن شاء الله.

وبعد أن سار خالد قليلاً، ناداه أبوه، فعاد إليه.

-سَم.

-سَلَّم لي على خالتك أم عبدالرحمن.

-إن شاء الله.

\*

\*

\*

استغرب خال عبدالرحمن، فقد كان باب بيت أخته أم عبدالرحمن مُشَرَّعاً، وكلّ الأنوار مفتوحة، وما أمام البيت نظيفاً مرشوشاً، فدعته نفسه أن يعرف حقيقة الأمر، فتنحنح، ودخل:

-يا أهل الدار.

-أهلاً وسهلاً ومرحباً بأخي، حيّا الله هذا الصوت، وحاك من الفوت، وشرفّ البيت.

-ما شاء الله! ماذا عندكم الليلة؟

وقَعَت أم عبدالرحمن في حَرَجٍ شديد، ولكنها لم تجد مهرباً من أن تقول:

-عبدالرحمن عزّم بعض موظفيه على العشاء.

-ولماذا لم تطلبي من أم العنود أن تساعدك!

- الأمر سهل، فبعد الرحمن سيأتي بالعشاء من الخارج.

تنحنح أبو النور، وسلّم.

- تفضّل، يا أبا النور، الطريق إلى المجلس مفتوح.

طَيَّب أبو النور المكان، ووضع بعض المأكولات الخفيفة.

- خيرٌ، يا أبا النور.

- عبد الرحمن عزمنا الليلة يا خال أحمد، وقد أمرني بتطيب المجلس،

ولإعداده.

- هذه أول مرة يعزّمكم فيها عبد الرحمن في بيت أمّه.

- إي والله، يا خال.

أولّع الخال أحمد بمعرفة سبب الاجتماع، وغرّيت نفسه به، فصار

يدخل حيناً لأخته، ويخرج حيناً إلى أبي النور.

حتى جاء عبد الرحمن ومعه أخوه خالد.

- يا مرحباً بخالي، أهلاً وسهلاً.

- حيّاك الله يا عبد الرحمن، لقد مررتُ لأسلّم على أمك.

- هذه أبرك ساعة، لقد عزّمتُ بعض الموظفين، فأمل أن تشرفنا أيضًا.

أخرج الخال أحمد، فقال:

- لعلّه في وقت آخر.

- لن نتأخر في العشاء، هو في الطريق، حتى أبو النور في شوق لك.

لمحت أم عبدالرحمن خالدًا، فسلمت عليه من وسط البيت:

- أهلاً يا ولدي، ما أخبارك وأخبار إخوتك؟

- بخير، والحمد لله، يا خالة.

-(عبدالرحمن): خالي أحمد سوف يتعشى عندنا، يا أمي.

- ليلة الهنا، والخير والصفاء.

ذهب عبدالرحمن إلى المجلس، وأبطأ خالد من خلفه، حتى إذا وافته

الفرصة عاد أدراجه.

- يا خالة، أبي يسلم عليك كثير السلام.

- وعليه السلام. وما أخبار أمك؟

- طيبة، والحمد لله.

- بلغها سلامي يا ولدي.

- إن شاء الله.

\*

\*

\*

بعد العشاء أراد الخال أحمد الذهاب، ولكن عبدالرحمن أصرَّ عليه أن

يشرب معهم الشاي قبل ذهابه.

- صُبَّ الشاي، يا سمران.

-أبشر، يا عم.

تنحج عبدالرحمن، وسوى جلسته، فسوى الجميع جلساتهم، وفهموا أن الاجتماع الحقيقي قد بدأ.

-في الحقيقة جمعتكم الليلة لإخباركم بأمر مهم يتعلق بالعمل.

-(أبو النور): اللهم اجعله خيرًا، وبارك فيه.

-اللهم آمين، سوف نفتح ثلاثة فروع جديدة، بإذن الله.

-ما شاء الله! لكن المدينة لا تتحمل كل ذلك.

-سنفتح فرعًا في السوق الشمالي، وسيكون أخي خالد هو المشرف

عليه.

-(خالد، مندهشًا): أنا؟

-نعم، فقد مضى عليك معنا قرابة سنة، وسيكون معك من يساعدك

حتى تتقن الإشراف، بإذن الله.

-إذن الله.

-وسنفتح فرعين في مدينتين أخريين، أحدهما بإشراف أبي النور،

والآخر بإشراف سمران.

-(أبو النور، حزينًا): الله يُعافيك، أريد أن أبقى معك.

-لكنك بهذا لن يزيد راتبك.

-أنا راضي بما آخذة الآن.

-ولكنني لست براضي، أنت وسمران معي منذ سنوات، ولا أريد أن

تعملا عندي بعد اليوم براتب، بل ستكون لكما نسبة من ربح الفرعين.

-هناك من الشباب من يريد أن يذهب مكاني.

-اذهب أنت سنة أو سنتين، حتى يستقيم أمر الفرع، وتقوم سُوقه، ثم

عُد إن شئت، اذهب أنت تجارةً وأهلك سياحةً.

-أبشر، إن شاء الله.

-(سمران: فَرِحَا): أبشر، وبارك الله فيك.

تطلَّعت رقاب جميع الموظفين، وهذا ما أراده عبدالرحمن الذي أردف

قائلًا:

-كُلُّ من يَخْلَص في عمله، وتطول معي خدمته أجازيه بما يرضيه إن

شاء الله، وسوق نفتح فروعًا أخرى في سنوات قادمة، بإذن الله.

\*

\*

\*

تطاول الليل بعد انقضاء الاجتماع على رجلين.

على عبدالرحمن، وعلى خاله أحمد.

أما عبدالرحمن فقد حزن؛ لأنه أطاع نفسه لَمَّا أمرته أن يُصِرَّ على خاله

أحمد أن يحضِّر العشاء؛ لكي يعلم سبب الاجتماع.

لقد انساق خلف غضبه الماضي، وجرحه الغائر، ولكنه جرح خاله  
الغالي على أمه، فكيف إذا علمت أمه بما فعل.

وَدَّ لو أنه لم يفعل، ولو أنه أدرك خاله فاعتذر إليه، ولكن الفائت لا  
يعود، الاعتذار لا ينفع.

وأما الخال أحمد فبات يدُوك ليلته، ويضربُ أحساسًا في أسداس، يلوم  
نفسه تارة وزوجه تارة، يتأوّه حينًا، ويكتم ما يكاد ينفجر في نفسه حينًا:  
- أنتِ السبب، لا أنا السبب؛ لأنني أطعتك.

- ماذا تقول، يا زوجي العزيز؟

- آه، كيف فرطتُ بابن أختي، بل كيف فرطتُ ببيتتي.

- إيه! موضوع عبدالرحمن والعنود مرة أخرى.

- سيفتح عبدالرحمن ثلاثة فروع جديدة لتجارته، وفي المستقبل سيفتح

فروعًا أخرى.

- يا الله، كيف كلُّ هذا؟

- رأيت كيف فرطنا! قلتُ لك: الولد يتطايّر شررُ الذكاء من عينيه.

وتقولين: لسنا بحاجة لذكائه، نريد رجلًا يريح بتتنا ويضمن مستقبلها.

- طيب، قلتُ لك بعد أن اشترى الدكان الجديد: اسأل أمه إن كان ما

زال يريد العنود.

-الله يهديك، هذا زواج، وليس لُعبة.

-ما زالت العنود مخطوبة فقط، ولم تتزوّج. نجد أي عذر لفسح الخطوبة.

-آه، لا أدري ماذا أقول. تخربين البلد، ثم تغنين على أطلاله.

\* \* \*

أصلح عبدالرحمن هندامه، وتطيّب.

-ما شاء الله! من المؤكّد أن عندك موعدًا مع أبي عائشة.

-نعم، يا أمي.

-هل أنتظرُك على العشاء أم كالعادة؟

-والله يا أمي، أبو عائشة هو الذي يصّر عليّ.

ضحكت أم عبدالرحمن:

-ما مناسبة هذه الضحكة الملائكية؟

-ألا تحبّ أن تضحك أمك.

-ملأ الله حياتك فرحًا وجورًا.

-سلّم لي على عائشة وأبي عائشة.

-على عائشة، كيف؟

-بلّغ سلامي لأبي عائشة، وهو يبلغه لعائشة، هل هذا صعب؟



ضحكت أم عبدالرحمن مرة أخرى.

- هذه الضحكة خلفها شيء.

\* \* \*

قبل العشاء أخبر عبدالرحمن أبا عائشة بمختصر أخبار الدكان والفروع الجديدة.

وبعد العشاء:

- يا عم، عندي اقتراح لعلك تستمع إليه.

- تفضل يا ولدي، خير، إن شاء الله.

- بعد توسّع عمل الفروع وكثرة الاستيراد والحمد لله، أراك إلى الآن

تعتمد على شركات خاصة لنقل بضائعك، وهم يعاملونك كغيرك من التجار الذين ينقلون لهم بالوزن.

- هذا صحيح، وماذا في ذلك؟

- عندما كنّا في الشرقية علمتُ ثم تقصّيتُ أن كبار التجار هناك لا

يستوردون من خلال هذه الشركات بالوزن، وإنما يستأجرون سفينة خاصة

٣٨١

- ولكن هذا غالٍ جدًّا.

- لو حسبناها لوجدنا أنها أريح لنا.

-كيف؟

-نستطيع أن نحمل في السفينة كل ما نريد دون تقيّد بالوزن، فبدل أن ننقل نصيب شهر ننقل نصيب شهرين أو أكثر مرة واحدة، المخازن واسعة والحمد لله.

-الأمر بحاجة للتفكير.

-وأمر آخر، وهو أننا نستطيع أن نستفيد من السفينة في نقل بضائع لغيرنا مع بضائعنا بمقابل، وهكذا يكون ثمن نقل بضائعنا أقل بكثير مما قبل.

-الأمر بحاجة للتفكير يا عبدالرحمن، لقد كبرتُ، وصارت هذه الأمور تجهدي كثيرا، ولهذا أحب أن أبقى على ما أعرف.

-الذي ترى، يا عم.

\*

\*

\*

بعد ثلاثة أيام فقط رنَّ الهاتف في دكان عبدالرحمن قبيل أذان المغرب:  
-نعم.

-أنا سرور يا عبدالرحمن، العم أبو عائشة أغمي عليه قبل قليل، ونقلناه إلى المستشفى.

وما هي إلا لحظات لا تتجاوز مسافة الطريق حتى كان عبدالرحمن أمام العناية المركزة.

- ما الذي حدث، يا سرور؟

- لا أدري، كان العم في البيت، فجاءت الخادمة تخبرنا أنه سقط مَغْشِيًا عليه، فدخلنا وحملناه إلى هنا.

- اللهم اجعله إلى خير، واشفه شفاء لا يغادر سقمًا.

- وما أخبار أهل البيت؟

- خرجنا وابنته عائشة تبكي بكاءً يقطع القلب.

- إنا لله، وإنا إليه راجعون.

وبعد مُدَيِّدة يَنْكِشِفُ الأمر عن أن السبب ضَعْفُ عَصَلَةِ قلب أبي عائشة، وأنه سَلِمَ هذه المرة بحمد الله، وسيبقى في العناية المركزة حتى الصباح، ثم يُنْقَلُ إلى غرفة معتادة.

تَنْفَسُ الجميع الطمأنينة، وسكّنت نفوسهم، ثم التفتَ عبدالرحمن إلى سرور:

- عُدْ سريعًا، وطَمِّئِ أهل البيت، وأخبرهم أن أبا عائشة بخير، ويمكن أن يزروه صباح الغد.

- إن عُدْتُ إلى عائشة ستُصِرُّ على أن تأتي معي إلى المستشفى.

- أخبرها أني سأبقى حتى تأتي هي في الصباح، وأن أباهما لن يستيقظ قبل الصباح، فهو الآن تحت المهدئات.

لم يجد عبدالرحمن طريقة لإخبار أمه إلا أن يتصل ببيت خاله أحمد، فلما رنَّ الهاتف في بيت خاله، جاء الجواب:

- نعم.

....-

- السلام عليكم.

....-

تجمّد عبدالرحمن ولم يستطع الردّ، فقد سمع صوت العنود بعد أربع سنوات، وكأنّه غَضَّ طرقيّ يسمعه للمرة الأولى.

- (الخال أحمد): من المتصل؟

- لا أدري، لم يردّ، لعله لعاب.

أخذ الخال أحمد ساعة الهاتف:

- نعم، من معي؟

عادت الروح إلى عبدالرحمن، وكأنّه كان متجمّداً فذاب:

- السلام عليكم يا خال، أنا عبدالرحمن.

- أهلاً وسهلاً.

-أنا الآن في المستشفى مع العم أبي عائشة، أريد أن تخبر أمي أني سوف أتأخر، وربما لا آتي إلا في الغد.

-سلامات، ماذا حصل لأبي عائشة؟

-لقد أُغْمِيَ عليه، وهو الآن بخير، والحمد لله.

-الحمد لله، سوف أخبر أمك، إن شاء الله.

أشارت أم العنود إليها أن ادخلي إلى غرفتك، ثم قالت بغضب:

-لماذا لم يتكلم مع العنود؟

-لو سمعت صوتَه لعرفتِ السبب.

-وماذا فيه؟

-كأنه سَرَقَ بالماء، أو كأنه مخنوق، لا أستبين بعض كلماته.

-هذا جيّد، يعني ما زال يفكر فيها، ويحزن لها.

-والله، لا أدري.

-إذن كلّم أمّه بسرعة، واسألها إن كانوا يريدون العنود.

\*

\*

\*

في بواكير الصباح كانت عائشة عند أبيها في غرفته، فها إن دخلت عليه حتى أَكَبَّتْ عليه، وبَكَتْ.

خرج عبدالرحمن إلى الممر، حتى إذا خَفَّ بكاؤها جلست تضاحك  
أباها وتَعَدُّه بالخروج معها إلى البيت، فلما مرَّ من أمام باب الغرفة سمِعها  
تقول:

-أما حان ما وعدتني به، يا أبي؟

-بلى، حان، يا عائشة، الله يكتب ما فيه الخير.

مضى عبدالرحمن في مشيه ينتظر نهاية الزيارة، حتى سمع أبا عائشة  
يناديه:

-سم، يا عم.

-تعال، يا عبدالرحمن.

-أبشر.

-خذ عائشة، أوصلها إلى البيت مع الخادمة.

-أبشر.

-ولا ترجع، يكفي سرور.

-لا يمكن يا عم، أوصلها وأعود، إن شاء الله.

-يمكن يا عبدالرحمن، يمكن، استرح، واذهب إلى عملك، وفي المساء

الله يحيلك.

-الذي تريد.

-الذي أريده أن تزورني في المساء أنت والوالدة.

\*

\*

\*

نام عبدالرحمن في ضحا هذا اليوم، ولم يكن ذلك من عادته، ثم تغدّى في آخر الظهر، وفي المساء كان هو وأمه في المستشفى:

-الحمد لله أن أبا عائشة بخير.

-الحمد لله يا أمي، لقد خِفْنَا كثيرًا.

-لكنني استغربت أنه طلب زيارتك إياه.

-وأنا والله مستغربة، جعله الله خيرًا.

كانت عائشة عند أبيها، وهي تساعد على تناول العشاء.

-لا بأس، طهور إن شاء الله.

-سَلِّمْكَ اللهُ، يا أم عبدالرحمن، ولا أراكم مكروهاً.

-جعل الله رفعة لدرجاتك، وتكفيرًا لسيئاتك.

-اللهم آمين. ما أخبارك الآن يا عبدالرحمن؟ لقد تعبَتِ البارحة.

-ليس هناك تعب، وما فعلتُ إلا أقلّ الواجب يا عم. بَشِّرْني عن

صحتك، وماذا قال الطبيب؟

-الحمد لله، يقول: لا بُدَّ من راحة طويلة، ولكن سيكتبون لي خروجًا

بعد يومين أو ثلاثة إن شاء الله.

-جعل الله حياتك كلها راحة.

تنحنح أبو عائشة:

-عبدالرحمن.

-سم.

-عائشة عندي من بعد صلاة العصر، ولم أستطع إقناعها بالعودة،

أرجوك خذها الآن إلى البيت، ثم ارجع وخذ أمك.

-أبشر.

تبسم عبدالرحمن قليلاً، وهو يقول لنفسه:

-تصريفة واضحة، ماذا يحبك أبو عائشة وأمي؟

\*

\*

\*

الح عبدالرحمن على أمه كي تخبره بما جرى بينها وبين أبي عائشة.

-يا ولدي، سأخبرك إن شاء الله بعد يومين أو ثلاثة، لا تستعجل.

-هل هو شيء يتعلّق بعملتي؟

....-

-هل هو يتعلّق بي؟

....-

-هل هو يتعلّق بأبي عائشة أو بعائشة؟



ضحكت أمه، ثم قالت:

-لن تستطيع أن تأخذ مني شيئاً قبل ثلاثة أيام.

-الله الله، بعد لقاءين فقط بينكما صرتما تحيكون أسراراً!

-ليست أسراراً، السر لا يكشف بعد ثلاثة أيام، ولكن لكل شيء

وقته.

جالت في رأس عبد الرحمن أشياء كثيرة عن هذا اللقاء:

-لعله وصّاها بشيء.

=أو لعله استشارها في أمر.

=أو لعله أطلعها على وصيته، أو جعلها شاهدة عليها.

=أو لعله سألها عن بعض تاريخي.

....-

\*

\*

\*

صلى عبد الرحمن الفجر، ثم ذهب إلى السوق كعادته اليومية.

وبينما كان منهوِكًا على مكتبه الصغير داخل الدكان إذ نهض نهوض

العَجَلان، وأسرع لاستقبال العم عبيد، وتقبيل يده، وساعده على الجلوس:

-القهوة يا ولد، بسرعة.

-زارتنا البركة يا عم عبيد، أهلاً والله وسهلاً.

-الله يحبيك يا ولدي.

-لو أرسلت إلي يا عم لجئتكَ، لماذا أتعبت نفسك.

-لا تعب، أردتُ أن أزورك في دكانك، وأشرب معك القهوة،

وأكلمك في أمر.

-على الرُخب والسَّعة.

تَلطَّف عبد الرحمن في الكلام مع عبيد لسابق فضله ومعروفه، وتناول

معه القهوة والشاي.

أخذ العم عبيد نفساً، ثم رَفَعَ رأسه إلى عبد الرحمن:

-يا عبد الرحمن، لا تهمل أباك ولا دكانه، فهو على كل حال أبوك،

ودكانه لك ولإخوتك.

-وماذا جدَّ في الأمر يا عم، كي تقول هذا الكلام؟

-منذ أيام وأبوك يتأخَّر، وأحياناً لا يأتي.

-هل هو مريض؟

-لا، والأهم أن دكانه يفتقر لبعض البضائع، حتى بدأ زبائنه ينفُضون

عنه.

-والله غريب.

-انظر في الأمر، وتقصَّ الموضوع قبل أن يستفحل.

-إن شاء الله.

-وأظنه هو نفسه الأمر الذي يتكرر.

-تقصد أن أهل البيت يكثرون عليه في المصروفات.

\* \* \*

اتَّصل عبدالرحمن بفرعه الذي في الشمال، وطلَّب من الموظف أن يخبر عبدالرحمن عند مجيئه أن يمرَّ به اليوم.

وما إن وضع عبدالرحمن ساعة الهاتف حتى دخل خاله أحمد الذي كثرت زياراته لعبدالرحمن في الآونة الأخيرة.

-السلام عليكم.

-وعليكم السلام ورحمة الله يا خال، أهلاً وسهلاً.

جلس الخال أحمد.

-ما أخبارك، وأخبار أختي؟

-بخير وعافية، والحمد لله.

-لقد طلبتُ من العامل بعض الطلبات، ولن أتأخَّر إن شاء الله.

-أبرك ساعة يوم تأتي، وتشرف دكاني، والطلبات يوصلها العامل إلى

البيت كالعادة.

\* \* \*

وافق عبدالرحمن أخاه خالدًا في مسجد السوق، ولما خرجا من المسجد:

-خيرٌ، يا عبدالرحمن.

-خيرٌ، إن شاء الله، ولن أُوخَّرَكَ، أردتُ فقط أن أسألك عن أبي ودكانه.

-لا علم لي، وإن شئتَ ذهبتُ إليه ونظرتُ، ماذا حدث؟

-أبي يتأخر عن الدكان، وأحيانًا يغيب، وحالة الدكان يرثى لها!

-أوه، مرة أخرى.

-يظهر ذلك، تأكّد لي من الأمر، وأخبرني بسرعة.

-إن شاء الله.

-ومرّ الآن بدكان أبي، وأمنّ له كلّ النواقص بسعر الجملة، واجعل

ذلك منك لا مني.

-ما معنى ذلك!

-اسمع الكلام عافاك الله، وافعل ما طلبته منك.

-إن شاء الله.

\*

\*

\*

خرج أبو عائشة بالسلامة بعد أن مكث في المستشفى خمسة أيام، وعاد إلى بيته محفوفًا بدعوات ابنته عائشة، حتى استقرَّ به المقام في غرفته.

- اتصلي على دكان عبدالرحمن، أريد أن أتكلَّم معه.

- إن شاء الله، يا أبي.

ردَّ العامل على الهاتف:

- أين عبدالرحمن؟

- في المستودع يا عم. سأناديه حالًا.

جاء عبدالرحمن سرعًا:

- صباح الخير والسلامة، يا عم.

- صباح الرضا والعافية.

- بَشِّرْ عن صحتكم، وهل خرجتم من المستشفى؟

- أنا في البيت الآن، والحمد لله.

- إذن أنا في الطريق.

- لا تأتِ اليوم، ولا غدًا، أنا لن أستقبل أحدًا، أريد أن أرتاح.

- أبشِّر، يا عم، الذي تريد.



سار اليوم كالمعتاد، حتى إذا كاد المغرب يؤذُن حَصَرَ الخال أحمد،  
وسلَّم، وجلس بينما كان عبدالرحمن يرحَّب به:

-ولدي الغالي، لقد نسيت طلب بعض الأغراض بالأمس.

-أبشر، يا خال.

-عندي مشوار بعد صلاة المغرب، فهل تُوصل الأغراض إلى بيتي في  
طريقك.

-أبشر.

-الله يعافيك.

يستغرب عبدالرحمن كثرة تردُّد خاله أحمد عليه هذه الأيام، المبالغة في  
حسن التعامل، ولكنه يعزو ذلك لنسيانه ما حدث من قبل.

-إيه، وما أخبار أبي عائشة؟

-الحمد لله خرج من المستشفى، وهو طيب.

-الحمد لله.

\*

\*

\*

طُرُق الباب بعد صلاة المغرب مباشرة.

-افتحي الباب، يا عنود.

وقفتِ العنود خلف الباب، ونادت:

-من عند الباب؟

-معي أغراض أرسلها الخال أحمد.

عرفت العنود صوت عبدالرحمن، ففتحت الباب إلى نصفه، واختبأت خلف نصف الآخر.

أدخل عبدالرحمن الأغراض، وأخذ بعروة الباب ليغلقه.

-السلام عليكم.

-وعليكم السلام ورحمة الله.

-ما أخبارك، يا عبدالرحمن؟

-أحمد الله، وأنتي عليه.

-بشّرني عنك وعن أمك؟

-الحمد لله.

-بلغها سلامي.

أغلق عبدالرحمن الباب برفق، ويده وكلّ جسده يهتزّ، ووَدَّ لو أنه لم يذهب إلى بيت خاله، فقد تجدّدت له أحزان كاد يدفنها في صحراء قلبه.

\*

\*

\*

عاد عبدالرحمن إلى أمّه شارد الذهن هادئاً.

-لا أَسْتَهِي العشاء الآن، يا أمي.

-خير، إن شاء الله.

-لا شيء، سأتعشى بعد صلاة العشاء.

أحضرت الأم الشاي، وبعض القُرْصان اليابس الذي يحبه عبدالرحمن مع الشاي.

-لماذا تأخرت بعد صلاة المغرب؟

-أوصلت بعض الأغراض إلى بيت خالي أحمد.

-ومن طلب منك ذلك.

-مَرَّ بي خالي أحمد قُبيل أذان المغرب، وطلب مني ذلك.

هَزَّت الأم رأسها، وعَرَفَتْ ما حاك في صدر أخيها، فقد كَلَّمَهَا بالأمس في شأن عبدالرحمن والعنود.

اشتدَّت حَيْرة أم عبدالرحمن، فهي تعرف حُبَّ عبدالرحمن القديم للعنود، وتحبُّ أن تكون هي وولدها قرييين من أخيها الذي تُغليه.

ولكنها تدرك ما يُكِنُّه عبدالرحمن لعائشة أيضًا، وقد كَلَّمَهَا أبو عائشة في هذا الأمر أيضًا، وطلب منها أن تتأكَّد من رغبة عبدالرحمن في خِطبة عائشة، وأن يبادر إلى ذلك بعد خروجه من المستشفى.



لم تتحير أم عبدالرحمن في شيء ما تحيرت في هذا الأمر، فقد استبهم عليها وجه الصواب، حتى صار من التشابهات المستعجمات، وصارت في غُمَّة عَمَاء، وحيرة عَشَوَاء.

سبحان الله! كيف اجتمع هذان الأمران في وقت واحد، كأنهما على ميعاد، فهجما معاً، واندما دُونَ إذن.

\*

\*

\*

اشتغل عبدالرحمن بقَرْض القرصان اليابس، ولم يتنبه لشُرود أمه الطويل، وفجأة:

-من فتح لك الباب؟

-هاه، أي باب؟

-باب خالك أحمد؟

-العنود.

-هل ما زلت تحبُّ العنود؟

اندهش عبدالرحمن من سؤال أمه، حتى غَصَّ بالقرصان.

وبعد أن هدأت الغُصَّة:

-هذا لا يصحُّ يا أمي، البنت الآن مخطوبة، الله يسرُّ علينا وعليها.

-أجيني، هل ما زلت تحبُّها؟

- وهل سيغير ذلك من الأمر شيئاً؟

- أرجوك يا ولدي، أجبني، هل ما زلت تحبها؟ وهل ستخطبها لو

انفسخت خطوبتها؟

فزع عبدالرحمن من كلام أمه، حتى ظهر عليه ذلك:

- وهل فُسِخَتْ خطوبتها؟

- لا تَرُدُّ على سؤالي بسؤال.

- ولماذا كلُّ هذا الإصرار؟

- ألسنت ولدي، ومن حقِّي أن أعرف ما في نفسك!

بلغت الحيرة والعجب من عبدالرحمن مبلغاً عظيماً، فهو لم ير أمه هكذا

من قبل، حتى سَدَّت في وجهه طرق التهَرُّب من الجواب.

لقد كانت أمه جادة في معرفة جوابه، فانقاد لها، وامثل لسؤالها.

- لقد كان حُبِّي للعنود طفولياً عاطفياً، لا يمضي بي إلى آخره إلا إذا

خلا من العوائق، ولذا تَخَلَّت العنود عنه عند أول عائق، ولا أدري: لعلِّي

أَتَخَلَّى عنه أنا أيضاً عند أول عائق.

- ولو حَصَلَتْ لك العنود مرة أخرى، هل ستخطبها؟

- الحُبُّ كالماء الصافي، فإذا تَكَدَّر لا يصفو مرة أخرى، ولو صفا في

الظاهر فإن كَدَره يكون قد رَسَب في قعره، لكنه ما زال فيه.

- يا ولدي، لماذا لا يعود حُبُّكِ لها، ورغبتكِ في خِطْبِها بعد زوال العائق؟ لعلها أُجبرت على قبول الخِطبة.

- هَيَّيْها أُجبرت على قبول خطبة غيري، فلماذا رَفَضْتُ من قَبْلُ خِطْبتي؟

- لعلها أُجبرت أيضًا!

- لقد أخبرتني أنك سألتيها، فقالت: إنها رافضة.

- لعلها ....

- لقد سألتها أنا أيضًا يا أمي، فقالت لي الجواب نفسه!

- لا أدري ماذا أقول.

- والآن أخبريني يا أمي، هل فُسِخت خطوبة العنود، أم أن خالي

طَلَب منك ذلك؟

- بما أنك لا رغبة لك في العنود فلا يُمْمُ ما الذي حدث.

- على كل حال، لا يمكن أن تعود الأمور إلى حالتها الأولى، ولو

عادت العنود لي فلن تكون العنود التي أحبتها من قبل، بل عنود أخرى

عادت لسبب آخر غير حُبِّها لي.



توضاً عبدالرحمن، وبُكرٌ لصلاة العشاء، وبعد الصلاة صلى السنة  
البعدية، وما تيسّر من الوتر.

ثم قفل إلى البيت:

-أمي، لقد نَقَت عصافير بطني.

-بينما تلبس ثوب البيت يكون العشاء موضوعاً.

حسا عبدالرحمن من المَرَق كَحَسَوَات الطائر، وأكَل قليلاً كأكل  
المستعجل.

-لم تتعشَّ يا ولدي، لقد كُنْتَ جائعاً.

-الحمد لله، لقد شِيعت، وأحسَّ أن متعب، وأريد النوم.

-نوم العافية.

أغفى عبدالرحمن إغفاءة قصيرة، وهَوَمَ تهويمةً خفيفة، لكن حوارَه  
مع أمه منع النوم عن عينيه، فلم تكتحل بنوم حتى جاوز الليل ثلثيه، فسرح  
في كل وادٍ، وهام في كل فَجٍّ، فبات سهراناً أخوا سُهاد، فاجتمع عليه التعب  
الشديد والسهر الطويل، فلما بلغا منه كَلَّ مبلغ غلبه النَّعَاسُ، وهاضه  
الكَرَى، وغطَّ في سُبات عميق.

\* \* \*

صلى عبدالرحمن صلاة الفجر، ثم عاد إلى البيت نَعْسان:

-أمي، سوف أنام إلى شروق الشمس.

-إن شاء الله.

-أريد أن أفطر معك اليوم أيضًا.

-أبرك حَزَّة.

دَرَّ قَرْنُ الشمس حمراء دامية، ولكن أم عبدالرحمن تركته ينام، حتى

افتَرَّ ثَغْرُ الشمس عن ابتسامتها الصفراء الذهبية.

-استيقظ يا ولدي، الفُطور جاهز.

تَفَرَّحَ أم عبدالرحمن كثيرًا عندما يُفَطِّرُ عندها عبدالرحمن، وقلَّما يفعل

ذلك؛ لاشتغاله في السوق منذ الفجر، ولكنه بعد أن اشترى الدكان الجديد

صار يجد الوقت للإفطار مع أمه أحيانًا.

-لعلَّ الجُنَّ أعجبك، يا ولدي!

-وكيف لا يعجبني، وأنت التي تصنعيه من حليب العنزات التي في

البيت!

-صحة وهناء.

-مَتَّعَكَ اللهُ بالصحة والعافية.

كان الشاي جاهزًا بعد الفُطور.

-إن كنتَ غير مستعجل فأحبَّ أن أسألك سؤالًا.

-إن كان عن العنود فأنا مستعجل.

-لا، ليس عن العنود.

-إذن اسألي ألفَ سؤال، يا أغلى الناس.

-هل ترغّب في خطبة عائشة؟

دُهِشَ عبدالرحمن من سؤال أمّه الصريح، ثم ضحك عاليًا:

-يا حُلوة اللبَن، منذ الليلة أسئلتك صارت مباشرة وصريحة، ودون

تمهيد.

-طيب، أجبني.

-ماذا هناك يا أمي، الليلة تسألين عن العنود، والصباح تسألين عن

عائشة؟

-أرجوك يا ولدي، رنجني، وأجب عن سؤالي.

-الأمر جدّ إذن؟

-نعم.

-هل يمكن أن يؤجّل هذا الحوار إلى المساء؟

-لا، بها أنه بدأ لا بُدَّ أن ينتهي؛ كي أرتاح.

أحسَّ عبدالرحمن أن أمّه جادة جدًّا كما كانت جادة في الليل، وعَلِمَ أن

وراء الأكمة ما وراءها.

-طَيِّب، بها آنك أُمِّي، وتحَيِّين أن تعرفي ما في قلبي، ففي أول لقاء  
فتحت لي فيه عائشة الباب لم يكن في قلبي شيء تجاهها.

-والآن؟

-وكلما زرتهم كنت أحس بأنها طيبة القلب، طاهرة النفس.

-هي كذلك، والله.

-واحسان أبيها وفضله عليّ زاد من هذا الإعجاب، ولكني لم أستطع  
التصريح له بشيء.

-أهذا كل شيء؟

-لا، بل كلما ذهبت إليهم أحبيت أن تفتح لي الباب، وإذا لم تفتح  
تخزن نفسي وأتكدر، وأبحث لها عن أعذار.

-وهل ترعّب في خطبتها؟

-لم أفكر في ذلك بجديّة من قبل؛ لأنني كنت أخشى أن يرفضني أبوها،  
أو يظنّ بي سوءاً.

-أبوها معجب بك، ويراك أهلاً لابنته، يا ولدي.

-وكيف عرف ذلك؟

-فهمت ذلك من حديثه لي في المستشفى.

-إذن، هذا ما كان بينكما.

- هو لم يصْرَحْ برغبته، ولكني فهمتُ منه أنك إذا كنتَ ترعّب في عائشة فهو لن يرفض.

- هل أنت متأكّدة؟

- نعم.

- والله، نِعَمَ الرجل، ونِعَمَ العائلة، كريمة الأصل، طيّبة المعدن!  
- شعرتُ أنه يخاف أن يموت قبل أن يزوّج عائشة ممن يثق به، وعلى ما فهمته منك ومنه فأنت مناسب لذلك.

- إذن هذا التي كنتِ تفكرين به منذ أيام!

- نعم، وكن مستعدّاً للذهاب إلى أبي عائشة في الغد إن شاء الله.

- ما هذه العَجَلَة؟

- ليس في الخير عَجَلَة.

- هكذا سنفاجئهم.

- لعلهم أعجلُ منا.

- أنا غير مستعدّ.

- لعلك أعجلُ الجميع.

\*

\*

\*



بقي جسّد عبدالرحمن في دكانه، وعقله يحوم في أجواء الحوار الذي دار مع أمّه.

هو راغب في عائشة، ولكنه قلق، بل خائف.

ما كان الأمر يدور في حُسابانه، ولم تحدّثه به الظنون قطّ، لكنّ القَدَر ساقه بكلّ سلاسة، وحاكه بكلّ إتقان، حتى أظله الموعّد من غير ميعاد، وباغتته التراتيب من غير انتظار.

لَمّا لم تنجَحْ خطوبته للعنود بات دهرًا مقهور النفس، قد سُدَّتْ مسالكه، وتربّت دروبه، تقطّع حَسَرَاتٍ، وتصدّع زَفَرَاتٍ، وتساقطت نفسه غمًّا وحزنًا.

ولمّا لزم طريق الرضا عن القضاء، وربط جأشه على تجاوز هذا القهر، استقامت له الحياة، وفتحت له ذراعيها مرة أخرى، فالحياة تُعطي من يُعطيها، وتَبْخَلْ على يَبْخَلْ عليها، فعاد متهلّل الوجه، طَلَقَ المَحْيَا، تتدفّق الحياة في صباحاته، والراحة والرضا في مساءاته.

\*

\*

\*

يمرُّ الخال أحمد في اليوم الثالث على التوالي على عبدالرحمن في دكانه.

-السلام عليكم، يا ولدي العزيز.

-وعليكم السلام ورحمة الله، يا خالي الغالي.

- ما أخبار أختي اليوم؟

- بأحسن حال، والحمد لله.

أخذ الخال أحمد في الكلام يمينا ويسارا، ونفس عبدالرحمن تنازعه أن يخبره بأنه سيخطب عائشة غداً، والشيطان يؤزّه إلى ذلك أزا، حتى إذا لم يكن بينه وبين إخباره إلا ارتداد النَّفس دخل خالد، فسَلَّمَ وجَلَس، وطلَّب له قهوة الصباح.

- كأنك لم تذهب إلى الفرع حتى الآن؟

- أردتُ المرور بك قبل ذهابي.

- إذن عندك أمر مهمّ.

هنا نهض الخال أحمد، واستأذن. ونهض خالد وجلس على الكرسي

المقابل لعبدالرحمن.

- ماذا هناك يا خالد؟

- خالتي الصغرى غيَّرتُ أثاث بيتها.

= وأم سالم تريد أن تغيِّر أيضًا أثاث بيتها.

= بل، غيَّرتَه.

- إذن، هذا الذي أشغل أبي، وأضرَّ بـدكانه.

-لقد مررتُ به كما طلبتَ، وكتبْتُ كل النواقص، واتفقتُ معه على تأمينها بسعر الجملة.

-وهل أخبرته أن هذا العمل منك أنت؟

-نعم، أخبرته أني أنا الذي سأقوم بالأمر كله، وأنت أنت الذي طلبتَ مني ذلك.

نظر عبدالرحمن لخالد باستغراب:

-ماذا؟

-فعلتُ ما أمرتني به. (قالها بابتسامة المتغافل).

-الله يهديك. أعطني ورقة النواقص.

-لماذا؟

-هل سترسل له الطلبات من فرع الشمال، ودكاني هنا بجوار دكان

أبي؟

رفع عبدالرحمن صوته، ونادى العامل سعيداً.

-(أحد العمال): سعيدٌ في المستودع.

-طيب، خذ هذه الورقة، وأرسل جميع الطلبات التي فيها إلى دكان

أبي.

-أبشر.

- لا تذهب أنت ولا سعيد معها، أرسلها مع عمال آخرين، وليقولوا:

أرسلنا العم خالد.

ثم التفت عبدالرحمن إلى خالد:

- هيّا، يا عم خالد، دقائق وتكون النواقص في دكان آيينا، إن شاء الله.

\* \* \*

كان يوماً جميلاً، انبلج صباحه يُنشد أغنية الحياة، وكشفت شمسها عن وجهها المتلألئ صافية بلا كَدَر.

تفأل عبدالرحمن بهذا الصباح الجميل، ودعا الله أن يكون ختام اليوم كافتتاحه، وأواخره كأوائله.

ومع أنه جمع للأمر أهْبَتَه، وتذرّع له بكل ذرائع النجاح والقبول، إلا أن قلبه لا يكفُّ عن الحفَقان، ولا يتوقّف قدْرُ صدره عن الغَلَيان، ظلّ طوال الطريق إلى بيت أبي عائشة يتصارع فيه الوجَل والأمل، وتتغالب عليه الرّهبة والرّغبة، ويتقاسمه القلق الأسود والدعاء الأبيض.

تنفّس عبدالرحمن بعمق لترتاح نفسه قليلاً قبل أن يلتفت إلى أمّه في

السيارة:

- أمي، أنتِ امرأة عظيمة!

....-

- على رَغْم ما فعله أبي أصررتِ على أن يكون معنا في يوم خطبتي.

- هذه الأصول، يا ولدي.

- الله يكتُب ما فيه الخير.

- أبوك مهما أخطأ يبقى أباك، ثم إنَّ الناس لا تعرف تفاصيل ما وقع

بينكما، وعدم إتيانه معك يقلِّل من قيمتك عندهم.

توقَّف عبدالرحمن حيث واعد أباه، الذي لم يلبث أن وصل وركب

معه.

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام ورحمة الله. لم تخبر أحداً! أليس كذلك، يا أبي؟

- طبعاً، أسأل الله أن يتمَّ على خير. ونعم من اخترت، يا ولدي.

لم يشعر عبدالرحمن إلا وقد صاروا أمام البيت، وصار عليه أن يطرق

الباب، فعادت إليه النَّفَاضَة، فطرق أبو سالم الباب برفق، وبعد قليل فُتِحَ

الباب، ولكن الفاتح هذه المرة أبو عائشة، الذي هَشَّ وَهَشَّ لهم:

- أهلاً وسهلاً ومرحباً، تفضّلوا.

دخل عبدالرحمن وأبوه إلى المجلس، ودلّفت أُمّه إلى داخل البيت.

كانت الضيافة جاهزة في المجلس، وقد تولى عبدالرحمن بنفسه تقديم التمر، وصَبَّ القهوة، وقد شرع أبوه وأبو عائشة في بعض السواليف الجانبية اليسيرة، حتى سُري عن عبدالرحمن، وسكنت نفسه.

\* \* \*

استقرَّ المجلس، وانتهوا من القهوة، وقبل شرب الشاي تنحنح أبو سالم نحنحة يسيرة، ثم قال:

- يا أبا عائشة، ولدي عبدالرحمن أنت تعرفه، ولا أزيدك فيه معرفة، وقد رَغِبَ في القُرْب منكُم، بطلب بتكم المصونة عائشة، على سنة الله ورسوله.

تبسم أبو عائشة، فقد حصل على أمر طال انتظاره، وحن قطّافه:

- عبدالرحمن مثل ولدي، وأعرف عنه أشياء كثيرة، ربما أكثر مما تظنّ يا أبا سالم، ولكنني أريد أن أسأله بعض الأسئلة.

- سم، يا عم.

- يا عبدالرحمن، هل أنت تريد الزواج أم تريد عائشة؟

ردَّ عبدالرحمن دون تردّد:

- بل، أريد عائشة.

- هل في قلبك امرأة أخرى؟

-لو كان في قلبي امرأة أخرى ما خطبتُ عائشة، لقد حَلَّتْ في سُؤيدائه، وظللتُ عليه.

-ما شاء الله! وما الذي أعجبك فيها حتى دعاك إلى خطبتها؟  
تفاجأ عبدالرحمن بهذه الأسئلة، فقد حَضَرَ وجَهَزَ لأشياء كثيرة، لكن هذه الأسئلة لم تَطْرَأ بخاطره، ولا مرَّت بباله، لكنه حاول تجميع جوابه:  
-طيبة قلبها، وطهارة نفسها، وحيائها، فلم يُبْدُ منها شيءٌ لا في البيت ولا في المستشفى.  
-طيب.

-وكذلك كانت تنبِّهك للصلاة كما تأخَّرت عنها وأنا عندك، كما أنها صادقة الفِراسة.  
-صدقت.

-مَنْ حَفِظَتْ قلبها بالطَّيبة، ونفسها بالحياء، ودينها بالمحافظة على العبادات، فهي قُرَّةُ العين، وراحة القلب، وسعادة الدنيا، وأجر الآخرة.  
-هذا كل شيء؟  
-بقي شيء، وهو أنك أبوها.

-إن كان في هذه الخطبة خير فأسأل الله أن يَتِمَّها على خير، أنا موافق، لكن بقي أن أَسْتَشِيرَ بنتي، وإذا رَدَّتْ فأسألكم، إن شاء الله.

\*

\*

\*

عاد عبدالرحمن وأمه إلى البيت وهو يحمّد الله كثيرًا أن سارت الأمور على خير ما يرام.

-لقد وافق العم أبو عائشة، لكن بقي موافقة عائشة.  
-هذا من حقّها، يجب أن يستشيرها أبوها، وألا يقطع في أمر خطوبتها وزواجها إلا بموافقتها، ومخض إرادتها.  
-هل تتوقعين أن توافقي؟  
-لا أدري.

ثم ضحكت أم عبدالرحمن، وذهبت بسرعة إلى غرفتها، لتبدّل ملابسها، وتعدّ العشاء.

\*

\*

\*

مرّ أسبوع، هو أطول أسبوع في حياة عبدالرحمن، أحسّ أن ساعاته صارت أيامًا، وأيامه صارت سنوات.

ما زال عبدالرحمن ينتظر رنة هاتف، أو مرور سرور، وربما أتصل بدكان أبي عائشة بزعم السؤال عن بعض البضائع، وهو يتوكّف خبرًا، أو يترصد جوابًا.

طار مع طيور الخيال، حتى دخل غرفة النوم، ورأى أولاده وأحفاده.



وغاص في بحور الانتظار، حتى غَصَّ بالثواني، وشَرِقَ بالدقائق.  
 صار يعمل أكثر من المعتاد، ويشغل نفسه بتفاصيل الأعمال، ولكنَّ  
 الوقت يعانده، فلا يسير إلا سير سلحفاة تحمل جبلاً.  
 لم يكن عبدالرحمن يُلقِي بالآ لَرَنَات الهاتف، فصار ينظر إليه مراراً في  
 حَنَقٍ، ويقول لنفسه:

- ما له صار شحيحاً نَحِيحاً، وكان صوته من قبل كثيراً يَبِيرًا!  
 والحقيقة أن الوقت لم يتغيَّر، وَرَنَات الهاتف كما هي، ولكنَّ القَلَقَ  
 والهُمَّ والانتظار تجعل القصير طويلاً، والكثير قليلاً، والراحة والسعادة  
 وعدم الانتظار تجعل الطويل قصيراً، والقليل كثيراً.  
 وقد لِحِظْتُ أم عبدالرحمن شِدَّةَ قَلَقِهِ وكثرة سَهَرِهِ، فأرادتْ أن تَخَفِّفَ  
 عنه، فبادرت بالكلام بعد انتهائه من العشاء:  
 - هل استطلت الرَّدَّ، يا ولدي؟

- يعني.

- هذا أمر معتاد، وقد يستمرُّ إلى أكثر من ذلك، فلا تمرض نفسك  
 بكثرة الهمَّ والتفكير والقلق، فإن كثرتها تقتل الإنسان.  
 نظَّرَ إلى أمه، وكأنه يخبرها أنه لا يقدر، ثم قال:  
 - إن شاء الله.

-صحيح أن عائشة لم تتكلَّم عندما ذهبنا لخطبتها، ولكن الفرح في عينيها تكلَّم، ولم تتحرَّك من مكانها ولكني سمعت دَقَّات قلبها من مكاني.  
-أهذا صحيح، يا أمي.

-نعم، ولكنه دلال البنات، وكيد النساء، ولا بُدَّ أن توطَّن نفسك على ذلك من الآن.

رجع عبدالرحمن برأسه قليلاً منبهراً:

-الله يعين، الله يعين.

\*

\*

\*

كاد الأسبوع يلفظ أنفاسه أو لفظها، عندما رنَّ الهاتف عصرًا في دكان عبدالرحمن، وأراد أحد العمال رفع الساعة:  
-اترك الساعة، يا ولد.

-عمي! ظننتك في المستودع.

-ابتعد عن الطريق بسرعة.

جلس عبدالرحمن، ثم أخذ نفسًا عميقًا، ثم رفع الساعة:

-سم.

-السلام عليكم ورحمة الله، يا عبدالرحمن.

-وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، مرحبًا وأهلاً وسهلاً، يا عم.

-أريد أن تتعشى عندي الليلة.

-أبشر، يا عم، حبًا وكرامة.

صفق عبدالرحمن بيديه، ثم أسند ظهره على الكرسي، وأسند الكرسي على الجدار، ثم أخذ نفسًا عميقًا:

-الحمد لله، لقد كان صوته رائعًا راضيًا.

لم يتبّه عبدالرحمن لعيون العمال وهي ترمقه وهي مندهشة، وتتعجب من فعله.

قام عبدالرحمن من ساعته، وعاد أدراجه إلى البيت، ليشحذَ للأمر عزيمته، ويتجهّز له بجهازه.

\* \* \*

كان البيت مُضَاءً، والعشاء حافلاً حاشداً، والاستقبال بهيجاً، والحال يُغني عن المقال.

لم يسأل عبدالرحمن عن الجواب، ولم يذكر أبو عائشة شيئاً، حتى إذا انتهى العشاء، وحضر الشاي قال أبو عائشة:

-يا عبدالرحمن لقد كنتَ مثل ولدي، وستكون الآن أكثر من ذلك، ستكون زوجَ بنتي، ووالد أحفادي الذين سيرثون كلّ أملاكي.

-أطال الله عمرك بالصالحات، يا عم.

-هل تذكر اقتراحك لي باستئجار سفينة خاصة بنقل بضائعي؟  
-نعم.

-هذا الأمر لم يَغِبْ عن بالي، وكذلك مشاريع أخرى، ولكنني لم أُعْذْ  
قادرًا على إدارة كل ذلك، ولا التوسُّع في أعمالٍ هي فوق طاقتي.  
-أمدك الله بالصحة القوَّة.

-الحمد لله على قضائه، ولدي توفي وهو صغير، وليس عندي من  
يقوم بمقامي، لا الآن ولا بعد موتي.  
-أمد الله في عمرك.

-أتذكر يوم كلمتني في مساعدة أبيك، لقد كُثِرَ في عيني، وتمنَّيت أن  
تكون زوج بتي.

-لي الشرف، يا عم.  
-لقد وصفت عائشة من قبل بأنها صديقة الفراسة، وربما تعني  
إشارتها لي بإرسالك إلى الشرقية.

....-

-هي بالفعل صديقة الفراسة، ولعل ذلك من طيب قلبها ومحافظتها  
الشديدة على الصلاة، فَبَعْدَ أول مرة فتحت لك فيها الباب، قالت لي: يا  
أبي، هذا زوجي.

انتهيا من شرب الشاي، فسكت أبو عائشة طويلاً، حتى ظنَّ عبدالرحمن أنه يطلب منه الرحيل.

لكنَّ الخادمة سبقته، إذ وقفت على الباب، وقالت:

-نحن جاهزون، يا عم.

قام أبو عائشة، وأمسك بيد عبدالرحمن، ثم سار به ساكّين، فدخلوا إلى داخل البيت، ثم دخل أبو عائشة غرفة الجلوس الداخلية، وأمر عبدالرحمن بالدُّخول.

تصنَّم عبدالرحمن في مكانه، وتجمّدت أعضاؤه، لما رأى عائشة بكامل حجابها وعباءتها قد جلست في زاوية الغرفة.

جرَّ أبو عائشة عبدالرحمن، حتى أجلسه بجواره، وقال:

-اسمعا مني الآن ما سأقول، وافهما جيّداً، فإن رضيتما به زوّجتكما.

لم يسمع عبدالرحمن أبا عائشة بهذه الجديّة من قبل، كأنه يتكلّم من شقّ صخرة.

لم يستطع عبدالرحمن أن يَنبِس بكلمة، أما عائشة فقد غرقت في حياتها، فهذه المرة الأولى التي تجلس مع غريب في غرفة واحدة بهذا القُرب.

أكمل أبو عائشة كلامه بكل حزم:

-ليس لي إخوان، ولا أولاد ولا أحفاد إلا إياك يا عائشة.

=أريد أن ننشئ شركة أضُمُّ إليها كلُّ أملاكِي وتجاري، وكلِّ أملاكِ  
عبدالرحمن وتجارته، ولا يبقى لي باسمي سوى بيتي هذا، والعمارة التي  
بجوار المسجد حتى يختارني الله إلى جواره.

=ستكون الشركة باسميكما مناصفة، وسأكون المشرف العام، ويكون  
عبدالرحمن المدير التنفيذي، ولابتي الحقَّ في حضور مجلس الشركة وتدقيق  
الحسابات إن أرادت.

=ليس لأحدكما أن يستقِلَّ بعمل تجاري عن الآخر، وليس  
لعبدالرحمن أن يتزوَّج على بنتي إلا بكامل رضاها، فأنتما شريكان في الزواج  
والتجارة.

=هذا ما عندي، ففكِّرا فيه جيِّدًا، ولا تستعجِلا، ثم رُدَّا عليَّ.  
كان عبدالرحمن يرى في كلِّ كلام أبي عائشة الحكمة والتخطيط  
السديد للمستقبل، والحرص البالغ على سعادة ابنته، وبناء بيتها على أساس  
صحيح قوي، فلذا لم يتردَّد لحظة، إذ قال:

-أما أنا فموافق.

-فكَّر، ولا تستعجل.

-أنا مائة موافق.

-أيضًا فكَّر.

- أنا ألف موافق، لو كان أولادي في نصف حِكْمَتِكَ وحِلْمِكَ، ولو كانوا في بعض أخلاقك لكنْتُ الرابع، فكيف وأمهم الطاهرة الطيبة.

التفت أبو عائشة إلى عائشة، التي بلعت ريقَها، ودَفَعَتْ بكل قوتها من فهمها كلمة:

- موافقة.

- ارفعي صوتك.

- موافقة.

- لا أسمعك.

تدخل عبدالرحمن:

- تقول (موافقة)، يا عم.

- ما شاء الله! من الآن صِرْتَ تقوم بأمرها، أدري أنها تقول (موافقة)،

ولكني أريد أن ترفع صوتها، هذا مفترق طُرُق في حياتها.

- من أجل ما في عائشة حياؤها، يا عم.

- الحمد لله، أني رأيت حمايتك لابتني من الآن.

\*

\*

\*

أجفلت السنة الثانية والعشرون من حياة عبدالرحمن، وأسفرت السنة

الثالثة والعشرون.

تَغَيَّرَتْ في حياته وجوهه، وتبدَّلت تجارات، وتجدَّدت نِعَمٌ، وانحَلَّت مشاكل، وعبدالرحمن في كلِّ ذلك شاكر لنعمة الله، رَطَّب لسانه من ذكره.  
لكنه لا يدري ما يحوك في صدر الحوادث، وتضطرب به الأوقات، وما قد يفاجئه به الليل والنهار.

لكنه وطأ نفسه للخطوب، وعوَّدها الصبر على المكاره، حتى صار واسع الصدر، بطيء الغضب، حملاً للنائبات.  
اكتملت لحية عبدالرحمن، وخَطَّ شاربه حتى اتَّصل بلحيته، على وجهه القليل اللحم، الكثير البُشر.

\* \* \*

انفضَّ السامر في بيت أم عبدالرحمن بعد وليمة دعا عبدالرحمن إليها خطيبته عائشة وأباها، وأباه وإخوته، وخاله أحمد.  
وبعد خروج الجميع قال عبدالرحمن:

-يا أمي، لا أدري هل أصبت في دعوتي خالي أحمد أم لا!

-بل، أصبت يا ولدي.

-لقد تحيرتُ، إن دعوته قريباً أحزنه، أو ظنَّ أني أتشفى منهم، وإن لم

أدعه كان عيباً في حقِّي.



- خالك أحمد رجل عاقل، وقد تفهّم انقطاع العلاقة بينك وبين العنود، وزواجها قريب إن شاء الله.

- أرجو ذلك، فأنا أعزّه كثيرًا، وأذكر فضله عليّ.

أما الخال أحمد فقد خرّج من الوليمة وعاد إلى بيته من طريق بعيد، وهو يقول لنفسه:

- الخير في ما قدّره الله.

= لن يكون إلا ما كتبه الله.

= الحمد لله على كل حال.

فقد علم أن الأمر قد انقضى، ولا رادّ لقضاء الله.

أما أبو سالم فقد عاد مع أم سالم وأولاده بالسيارة:

- (أبو سالم): لو جاء معنا سالم ومروان!

- (أم سالم): لقد كانا مشغولين.

- ليسا مشغولين، بل لا يرعّبان، يقولان: لن نذهب كلنا في سيارة واحدة كأننا أطفال.

- معهم حقّ، لماذا لا تشتري سيارة لكل منهما.

- من أين؟ إن تغييرك الأثاث في المرة الأخيرة جعلني على الحديدة، وأثر أيضًا في الدكان لولا مساعدة عبدالرحمن.

-قصدك مساعدة ابني خالد.

والتفت أم سالم إلى خالد:

-ما شاء الله عليه! سيكون تاجرًا، إن شاء الله.

أردف أبو سالم:

-كلّ منهما أطول مني، ولو عملا كما يعمل غيرهما لاشتريا سيارة،

وجَهَّزا أنفسهما للزواج. هذا خالد أصغر منهما، يعمل، واشترى لنفسه

سيارة، ومع ذلك جاء معنا في سيارتي.

-وهل تسمي سيارة خالد سيارة؟!

-الحمد لله، ترفع رجله عن الأرض، وتحمله أينما أراد.

-المهم: لماذا لا تكلم عبدالرحمن ليوظفهما مثل خالد؟

هنا دخل خالد في الحوار:

-لقد كلّمتُ عبدالرحمن في ذلك من قبل فوافق ورحّب.

-(أبو سالم، متعجبًا): ولماذا لم تخبرنا؟!

-ولماذا أخبركم وأهل الشأن رافضون.

-(أم سالم): هل رفض سالم ومروان؟

-نعم، وقد كلّمتهم أكثر من مرة.

- (رقية): لقد عدنا من مناسبة سعيدة، أرجوكم لا تفسدوها بهذا

النقاش الذي لا ينتهي.

- (سمية): الله، عائشة طيبة جدًا، إنها مثل الملاك الطاهر، ومثل

النسمة العليلة، إنها....

- (أم سالم): يكفي يا سمية، عيب، لا تصفي امرأة أمام رجل ليس

بمَحْرَم لها.

\*

\*

\*

مبنى بين سوق العطارين ودكان أبي عائشة، اتخذته إدارة الشركة

الجديدة مقرًا لها، يتكوّن من طابقين، هو صغير، ولكنه يُعدّ من أكبر المباني

في ذلك الشارع، ازدان بنوافذ جُسيّة على شكل هلال، وبابه من خشب

مزخرف، هو إلى القِدَم أقرب، ولكنه واقف بشَمَم كأنه جديد، وكأنه أخذ

هذا الشَمَم من الشجرة الشّماء التي أمامه.

وخلف المبنى مستودع كبير جدًا، جعله عبدالرحمن المستودع الرئيس

للشركة.

لم يسترح أبو النور في العمل في الفرع الذي في خارج المدينة، خاصة

أن الطبيب في آخر زيارة نصحه بترك الأعمال الثقيلة، ونصحه بالراحة، كما

أن زوجته تريد أهلها، فليس لديها ولد ولا قريب.

لم يوافق عبدالرحمن على استقالة أبي النور، وطلب منه أن يختار العمل الذي يريد في الشركة بنفس ما كان يأخذ من قبل.

- يا عبدالرحمن، أنا لا أصلح للأعمال الكتابية، ولست محاسبًا، فماذا أعمل في إدارة الشركة.

- لديّ عمل مهمّ، لا يقوم به إلا أمين مثلك.

- وما هو؟

- لكنّ راتبك سيقى كما هو دون نقصان.

- أنت تعلم أنّ المال لا يهمني كثيرًا، فليس إلا أنا وزوجتي، والأهمّ عندي الآن راحتي وصحتي.

- وستعطيك الشركة بيتًا بجوار عملك.

- يظهر أنّي سأعمل حارسًا.

- لا، بل أمينًا للمستودع العامّ للشركة، كلّ بضائع الشركة ستمرّ بهذا

المستودع، وسيكون معك تسعة عمال، وأنت المشرف عليهم، وأمين المستودع، لا تترك داخلة أو خارجة من المستودع إلا وتسجّل وتضبط.

- تمام، هذا مناسب، ولكنّي أريد سمران معي.

- سمران في الفرع الثاني، وهو مرتاح هناك، وأولاده في المدارس،

وأموره تحسّنت كثيرًا.



اشتدّ الكلام، وعلا الصوت في بيت أبي سالم:

-لا، لن نعمل عند عبدالرحمن أبداً.

-لماذا، انظرا إلى أخيكما خالد، تحسّنت حاله، واشترى سيارة، وبدأ

يجمع للزواج.

-لقد أخبرنا خالدًا بشرطنا للعمل، لكن عبدالرحمن رفض.

-شرط، أيّ شرط يا أولادي؟

-(خالد): لقد اشتراطا يا أبي أن يكون لكل واحد منهما فرع، وأن

يأخذ نصف الربح.

-يعني: مثلك أنت يا خالد.

-نعم.

-(أم سالم): كلام معقول، ولماذا رفض عبدالرحمن؟

-يقول: سأعاملهما مثلك يا خالد.

-طيب، هما طلبا أن يكونا مثلك.

-لا، يعني أن يعملّا سنة في التسويق، فإذا أثبتا جدّارتهما جعلهما على

فرع بعد ذلك، ويعطيهما نصف الربح، ولكنه سيحاسبهما كما يحاسبني وكما

يحاسب بقية الموظفين، إن أخطأ أو قصّر أو تأخّر.

- (أبو سالم): كلام معقول، سيعاملكما مثل خالد في الربح، ويحاسبكما كجميع الموظفين؛ لأنه المسؤول عن تجارته.
- (أم سالم): تجارته وتجارة زوجته.
- (مروان، غاضباً): لا، وألف لا.
- (أم سالم): يا ولدي، هل وجدتم وظيفة أحسن من هذه.
- لا، ولكننا نبحث.
- (أبو سالم): أنتما منذ سنوات تبحثون عن وظيفة، ثم لا تستقرّان فيها أكثر من شهرين أو ثلاثة.
- (سالم، مستغلاً الفرصة): السبب أننا لا نملك سيارة.
- (أبو سالم): عدّنا إلى موضوع السيارة.
- (مروان): طبعاً، نتأخّر عن العمل بسبب السيارة.
- خالد عمل أكثر من سنة من دون سيارة.
- (أم سالم): لا بُدَّ لهما من سيارة، يا أبا سالم.
- ومن أين يا حسرة، أم نبيع الأثاث الحديد ونشتري به السيارتين!
- (سالم): نحن نريد نصيبنا من الدكان.
- (أبو سالم): أي دكان؟
- دكاننا الذي في السوق.

- ما معنى ذلك؟

- (مروان): نبيع الدكان، ويأخذ كل واحد نصيبه، ونشتري السيارات، ثم ترى ماذا سنفعل بعد ذلك.

نظر أبو سالم بدهشة واستغراب:

- ماذا يقول هذان؟

سكتت أم سالم، وكان سكوتها أشدَّ على أبي سالم من كلام سالم ومروان؛ لأنه كان يريد منها أن تدعّمه، وتردّعهما عن هذا الكلام الذي يعني خراب البيت، فلما لم تُقل شيئًا انتفَضَ، وقال:

- الدكان دكاني، وما دمتُ حيًّا ليس لكما شيء فيه.

- (سالم): وعبدالرحمن الذي أكله سنوات، وبنى تجارته الآن على ما

أخذه منه.

- (مروان): ألم تسلّمه حساب الدكان؟

- (أم سالم): ألا تذكرُ عندما ذهبتُ لأخذ مبلغ صغير من المحلّ

رفض، وكأنّه صاحب الدكان.

- (أبو سالم): ما لكم لا تفهمون، لقد أخبرتكم أني سلّمته الحساب

أشهرًا قليلة بعدما أنقذ الدكان من الإفلاس بالاستدانة، وكان هو المسؤول

عن ردِّ الدّين، فلمّا استوفاه عاد الحساب معي.

- (رقية، خائفة): أبي، إذا بَعَثَ الدكان فمن أين ستصرف علينا بعد

ذلك؟

- (سمية): لا، يا أبي، لا تبع الدكان.

- هل أنا مجنون كي أبيعه!

\*

\*

\*

استغرب عبدالرحمن من الخبر الذي جاءه من فرع خالد، فقد كَثُرَ تأخره عن المحلّ صباحًا، كما كَثُرَ خروجه مبكرًا منه مساءً.

- حيّا الله أخي الحبيب.

- حيّا الله أخي العزيز.

- خيرٌ إن شاء الله. منذ أخبرني العامل بأنك اتّصلتَ تريدني جنّتُ

مسرّعًا.

- أبدًا، أحببتُ أن أشرب الشاي مع أخي.

- فقط.

- وأن أسمع أخبارك، هل هناك جديد، هل يضايقك شيء؟

- ماذا أقول يا عبدالرحمن، إيه.

- أخبرني، ماذا هناك؟



-كلام كثير، وَلْتُ وَعَجَنُ، وخلاف ونقاش يومي، والخلاصة أنهم مُصَرِّون على أن يبيع أبي دكانه، وأن يعطيهم نصيبهم.  
-نصيبهم، وهل لأحد نصيب في حياة أبي؟  
-خرج سالم ومروان من البيت، ورفضوا العودة، وأمِّي أقامت الدنيا ولم تقعدھا.

-وماذا فعل أبي؟

-أبي مسكين.

-إذن، انتبه جيّدًا، إذا عَزَمَ أبي على بيع دكانه فأخبرني مباشرة.

-الله يَسْتُرْ، والبضائع التي أخذها مني ولم يسدِّدها حتى الآن.

-ألم تخبره أنا الذي أرسلتك؟

-بلى.

-إذا حدث شيء فأخبره أن تحصيل حسابها عندي أنا.

-إن شاء الله.

-أمر آخر، أخبر أبي أني سأمر في الصباح لأخذ رقية وسمية إلى

السوق؛ لشترتيا ما يحتاجان إليه.

\*

\*

\*

مرَّ عبدالرحمن في منتصف الضُّحَا، وأخذ أختيه رقية التي جلست بجواره في الأمام، وسمية التي جلست في الخلف.

لم تملك سمية نفسها:

- الله! أنا بحاجة شديدة للسوق في هذا الوقت.

- ما شاء الله! خير، إن شاء الله.

تلعثمت سمية قليلاً، ثم قالت:

- أبداً، أحتاج إلى بعض الملابس.

- وأنت، يا رقية.

- لا حاجة لي، فقط أريد أن أخرج من البيت الذي لا تهدأ مشاكله.

- ماذا هناك؟

- ....

لم يردَّ أحد منهما.

- المهم، نريد أن نُمرَّ على عمل مهم قبل السوق.

- (سمية): نزلنا في السوق، ثم اذهب إلى عملك.

- لا، العمل يخصُّكما.

توقَّف عبدالرحمن عند أحد المصارف:

- اسمعا، تدخلان الآن إلى المصرف، وتسألان عن مديرة الفرع،

وتقولان لها:

-نحن من طرف عبدالرحمن.

-فقط؟

-فقط، وهي تعرف ماذا تفعل.

-وماذا ستفعل؟

-ستفتح لكل واحدة منكما حسابًا مصرفيًا.

-(سمية): ياه، يا سلام، سيكون لي حسابي مصرفي أخيرًا.

-لكن لي طلب إن وافقتما عليه.

-(رقية): اطلب ما تريد، أنت أخونا الحبيب.

-أريد أن يكون الحسابان بتوقيعي أنا حتى حين.

-(رقية): نحن لا نفهم في ذلك كثيرًا، فإن كان هذا هو الأحسن

فاعمله.

-نعم، هذا هو الأحسن، حتى تنزوّجا.

تنهّدت رقية تنهيدة المستبعد، ثم نزلتا، فدخلت رقية، وخلفها سمية،

وبعد قرابة الساعة خرجتا، ومع كلّ واحدة منهما ورقة، فيها رقم الحساب.

وبعد أن ركبتا في السيارة:

- اسمعا، لا تخبرا أحداً بأنكما فتحتما حساباً.
- (سمية): لكنّ الموظفة رفضت فتح الحساب حتى نودّع فيه مبلغاً، حتى جاءت المديرية وقالت لها: سيودّع المبلغ في الحسابين اليوم!
- نعم، يسرني أن يكون أول مبلغ يدخل حسابكما هدية من عندي.
- (رقية): عبدالرحمن، هل لهذا علاقة ببيع أبي لدكانه.
- ماذا، هل سيبيع أبي دكانه!
- (سمية): أصرّ سالم ومروان وكذلك أمي على ذلك؛ كي يستطيعا أن يشتريا لهما سيارة.

- (رقية): نرجوك يا عبدالرحمن، امنع أبي من منع الدكان.
- كيف أمنّعه، لا أستطيع، لكنني لن أسمح له ولا لغيره أن يضرّكما.
- يظهر أننا مُقَدِّمُونَ على أزمة شديدة.
- كلا، بل على خير بإذن الله. والآن علينا أن نذهب بسرعة إلى السوق؛ لشراء بعض الملابس حتى لا يَشْكُ أحد في أمرنا.



كان قد بقي على أذان الظهر وقت يسير، وكانت رقية تقيس في غرفة الملابس بعض الملابس، حين اقتربت سمية من عبدالرحمن، وقالت له وكأنها تهيمس له:

-لقد جاءني خاطب، يا أخي.

-ما شاء الله!

-لقد أخبرتني أمي بذلك قبل يومين.

-ولماذا تهمسين بذلك همساً!

أقبلت رقية من بعيد:

-سأخبرك فيما بعد، لكن انسى الأمر الآن.

-(رقية): الحمد لله، الملابس مناسبة، ويمكن أن نخرج الآن من

السوق.

\*

\*

\*

في الدور الثاني من مبنى إدارة الشركة، في غرفة جانبية كانت منضدة

مستديرة، تجتمع حولها ثلاثة كراسي، جلس أبو عائشة على كرسي، وعلى

الثاني عبدالرحمن، وبقي الثالث فارغاً:

-لماذا لم تأتِ عائشة، يا عم؟

-ولماذا تأتى؟ الحضور خيار لها غير مُلزم.

-طيب.

-ماذا عندكم في الاجتماع هذا الشهر؟

-أولاً: أخبرني في الأسبوع الماضي أنك تريد أن تترك الدكان، فهل ترشّح أحدًا للإشراف عليه.

-سرور، رجل ثقة، وعارف بزيائن الدكان.

-تمام، هذا الذي في بالي أيضًا.

-ثانيًا: نريد أن نفتح لنا فرعًا في الشرقية؛ لمتابعة أعمال الشركة، فلا نضطرّ في كلّ مرة إلى أن نوكل وكيلاً بذلك.

-ممتاز، موافق.

-ثالثًا: أحتاج إلى مساعد خاص.

-صحيح، هذا لا بُدَّ منه، موافق.

-رابعًا: هناك تعيينات جديدة في إدارة الشركات والفروع، كالآتي...

-لا داعي لذكر التفاصيل.

-لا بُدَّ أن تعرف كلّ شيء، يا عم.

-يا ولدي، أنا مشرف عام، إن كان لي اقتراح طرّحته، وإن كان عندي

اعتراض ذكّرتّه، وأما التفاصيل فمن عملك.

-أبشر.

-أنا أريد أن أنفّرغ للعبادة، وأنقطع ما استطعتُ لذكر الله، وأدرك ما

فاتني من الصالحات الباقيات.

-الله يَتَقَبَّلْ منك، يا عم.

-لا تعرف السعادة التي أنا فيها، كم كنتُ أتحسّر عندما تشغلني  
التجارة عن التفكير إلى الصلاة، ويصيرُ فني عَدُّ الأموال ومراجعة الحسابات  
عن الاشتغال بالاستكثار من الطاعات، وغيري ممن هم في سِنِّي لا يؤذُن  
المؤذُن إلا وهم في المسجد، ولا يخرجون حتى يخرج آخر رجل من المسجد.  
-اللهم لا تشغلنا بالدنيا عن طاعتك.

-تعلم يا ولدي ما أشدَّ كلمة سمعتها؟

....-

سكت عبدالرحمن، ثم وقف أبو عائشة، وذكر لعبدالرحمن أنه كان في  
زيارة لجاره أبي يوسف، وهو رجل مستور الحال، ولكنَّ المصحف لا يكاد  
ينفك من يديه، مع أنه أصغر منه، فسأله مرة:

-في كم تختم المصحف، يا أبا عائشة؟

-أختمه في شهر، وأحياناً في شهرين.

فشَهَقَ شَفْهَةً ما سمعتُ مثلها قط، ثم قال:

-يا أبا عائشة، أشغلتك الدنيا عن الآخرة!

-لكنَّ التجارة عبادة، يا أبا يوسف.

-عبادة إذا لم تشغل الإنسان عن الطاعة، وأنت رجل كبير مُقْبِل على الآخرة، مُدْبِر عن الدنيا.

وقف أبو عائشة عند باب الغرفة، ثم التفت إلى عبدالرحمن، وقال:  
-ولذا سآتي فقط في الاجتماع الشهري، ولن أتكلّم إلا إذا كان عندي اقتراح أو اعتراض.  
ثم فتح الباب، فأغلقه، ثم ذهب.

\* \* \*

رَنَّ الهاتف بإلحاح في مكتب عبدالرحمن في إدارة الشركة:

-السلام عليكم، من معي؟

-وعليكم السلام ورحمة الله، أنا سمية.

-أهلاً وسهلاً، أختي.

-عبدالرحمن، أريد أن تمرّ بنا اليوم أو غداً.

-أنا مشغول، سأمرّ في الأسبوع القادم، إن شاء الله.

-أرجوك.

-هل الأمر مهمّ؟

-أريد أن أخبرك بشيء.

-عندي مشوار بعد صلاة العصر، فإذا انتهيتُ مبكراً سأمرّ.



-لكن لا تتحدّث عن خطبتي أمام رقية، فهي لا تعلّم بعدُ.

-طيب.

-وأريد أن أكلّمك على انفراد.

-ماذا هناك؟

-إذا جئت أخبرك.

\*

\*

\*

بعد صلاة العصر مباشرة طرّق الخال أحمد على أخته.

-حيّا الله أخي الغالي، تفضّل.

وكالعادة هلّلت ورحّبت أم عبدالرحمن بأخيها أحمد، فلما جلس،

ذهبت للمطبخ لإعداد شاي جديد.

-لا حاجة لذلك يا أختي، يكفي هذا الشاي، وأنا لن أطيل.

-زيارتك تسعدني كثيرًا، يا أخي.

-الله يخليك، يا أختي العزيزة.

-بشرني عنك وعن أم العنود وعن العنود.

-الحمد لله، نحن بخير وعافية.

شرب الخال أحمد رشقة من الشاي، ثم قال:

-أتيتُ كي أدعوك لحضور زواج العنود.

- ما شاء الله! جَمَعَ الله بينهما بالخير.

- آمَلُ أن تحضري، يا أختي.

- طبعًا، وهل في ذلك من سَكٍّ!

- الله يُعافيك، وأما عبدالرحمن فيُسِّرُنِي ويشرفني أن يحضُر، فإن اعتذر  
فلستُ أصرُّ عليه.

- ولماذا يعتذر! بل يحضُر إن شاء الله والشرف له، فأنت خاله، وهي  
بنت خاله.

- آمَلُ ذلك.

- يا أخي العزيز، الزواج قِسْمة ونصيب، ولا يأخذ الإنسان منه إلا ما  
كتبه الله، وما مضى مضى، وما حصل حصل، ونبقى أهلاً وأقارب، لا  
يفرقنا شيء.

- صدقتِ، يا أختي.

رفع الخال أحمد كأس الشاي، ورشَفَ رَشْفَةً أخرى.

\* \* \*

وفي منتصف العصر توقَّفَ عبدالرحمن عند باب بيت أبيه، ولكنه  
لَحَظَ من بعيد تجمُّعًا عند بيت أحد الجيران.

طَرَقَ عبدالرحمن الباب، الذي فتحتَه سمية، وكأنها تنتظر.

- أهلاً وسهلاً بأخي الحبيب.

- ماذا هناك يا سمية، لقد أقلقنتي.

لحقت رقية بهما، ورحبت بعبدالرحمن، وأخذتهم إلى صالة البيت،

ولكن سمية انعطفت بهم إلى مجلس الرجال.

- (رقية): لعلك ستبقى إلى أذان المغرب، ولا تخرج بسرعة، يا أخي.

- أبشري. لكن ما هذا التجمُّع الذي في آخر الشارع.

اضطربت رقية، وأحسَّ عبدالرحمن أن سؤاله رَسَمَ غيمة حزن على

وجهها، حاولت سمية تدارك الوضع، فغمزت لعبدالرحمن، ثم قالت:

- هذا عزاءٌ عند أحد الجيران.

- رحم الله ميتهم وأموات المسلمين.

التفت عبدالرحمن لرقية بحنان، وقال برقة:

- ماذا فيك، يا أختي؟

- لا شيء، لا شيء.

غمزت سمية مرةً أخرى، فقال عبدالرحمن:

- أنا أشتهي شاي أختي العزيزة رقية، الذي يضرب بالراس مباشرةً.

تبسَّمت رقية بسمة صغيرة مخنوقة:

- أبشر.

فما إن خرجت رقية إلى المطبخ، حنى التفت عبدالرحمن إلى سمية:

-ماذا هناك؟

-الأمور متداخلة قليلة.

-ولماذا لم تخبروا رقية عن خطبتك؟ لأنها أكبر منك.

-لا، دعني أخبرك.

-أنا أسمع.

-لقد تقدّم شاب من أولاد الجيران لأختي رقية قبل ثلاث سنوات،

اسمه حسن، ففرحت به، فهو ذو دين وخلق، وعائلته نعرفها منذ سنوات طويلة.

-تمام.

-وافق أبي، ولكن أمي رفضت بشدة.

-ولماذا رفضت؟

-لأنه كان موظفًا صغيرًا، كان محاسبًا في شركة خشب.

-طبعًا، لم تتم الخطبة.

-نعم، وهذا أحزن رقية كثيرًا.

-ولهذا لم تخبروا رقية بخطبتك إلى الآن.

-لهذا، ثم جاء سبب آخر.

- ما هو؟

- أريت العزاء الذي سألت عنه قبل قليل.

- نعم.

- هو لخطيب رقية في زوجته، سافرت مع أخيها وهي حامل إلى

أهلها، وفي الطريق انقلبت بهم السيارة، وماتت.

- رحمها الله.

- أردنا أن تذهب مناسبة العزاء قليلاً، ثم نخبرها.

\*

\*

\*

خرج عبدالرحمن من بيت أبيه مع أذان المغرب، فصلى في المسجد

القريب، وفي أثناء الصلاة حضر الوسواس لعبدالرحمن، فأشغله ببعض

الأسئلة:

- غريب، لماذا أصرت سمية على حضوري اليوم أو غداً، ثم لم تخبرني

بشيء مستعجل!

=ربما خشيت أن أخبر رقية!

=طيب، كان يمكن أن تخبرني بذلك في الهاتف.

انتهى عبدالرحمن من صلاة المغرب وهو لا يدري ماذا قرأ الإمام فيها

بعد الفاتحة.

خرج عبدالرحمن من المسجد:

-أستغفر الله، وأتوب إليه، كيف أشغلتني الوسواس عن الصلاة!

استوقف بعض الرجال عبدالرحمن، وسلّموا عليه:

-لو سمحت، هل تعرف بيت المحاسب حسان؟

-لست من أهل الحارة.

-شكراً.

تذكّر عبدالرحمن حسان صاحب العزاء، فبادر:

-حسان الذي تُوفيت زوجته.

-نعم، رحمها الله.

-أعرفه.

وصّف عبدالرحمن لهم البيت، ثم وقف مكانه، وكانَ وَحِيًّا قد نَزَلَ

عليه، أو إلهامًا شِعْريًّا انْهَال عليه.

-يا إلهي! كيف لم انتبه لذلك.

=قد كبرت، يا سمية.

✱

✱

✱

ذهب عبدالرحمن إلى العزاء، فسَلَّم، ثم عَزَّى فأحسن العزاء، وقصّر

فلم يُطلِ المكوث.

لم يعرف حسان عبدالرحمن، ولكن أبا حسان عرفه:

- هل عرفتَ الرجل الذي عزَّاك؟

- لا، هل تعرفه يا أبي؟

- نعم، إنه عبدالرحمن، ولد أبي سالم.

وقد استغرب أبو سالم لِمَّا أخبره أبو حسان أن عبدالرحمن عزَّى ولده

في زوجته:

- ومن أين عرف؟

- لا أدري، ولكن جزاه الله خيرًا، ما قَصَّر.

لم يلبث عبدالرحمن إلا يومين حتى صلى العشاء في مسجد أبيه، ثم

تلفَّت حتى رأى حسان يُكْمِل ما فاته من الصلاة.

خرج عبدالرحمن، وبقي في السيارة حتى خرج حسان، فنزل من

السيارة، وسلَّم عليه:

- لقد عرفتكَ، أنت عبدالرحمن ولد أبي سالم.

- نعم.

- أنت الذي جئتَ إلى العزَّاء.

- نعم، أردتُ أن أكلِّمكَ في أمرٍ لو سمحتَ.

-قبل ذلك أعتذر منك، فلم أعرفك عندما جئت، لكنَّ أبي بعد خروجه أخبرني عنك وعن شركتك. تفضَّل.

-لقد سهَّل أبوك عليَّ الأمر، فأنا أحتاج في الشركة إلى محاسب، وقد سألت عنك فأعجبني عملك وأمانتك، وآمل أن تقبل العمل في شركتي، وسأعطيك ضعف راتبك.

-وهل تعرف راتبي؟

-نعم، وأعرف عنك أشياء كثيرة.

-أشكرك على حسن ظنك، وعلى عرضك، ولكنني أحتاج إلى وقت لأفكر، وأكلِّم عملي.

-تقصد عملك السابق، فمكتبك جاهز عندنا، وأحبُّ أن تكون على المكتب في أول الأسبوع القادم، وإن كان غداً فأحسن.

\* \* \*

-أيها المدير، أنا لا أساومكم، أنا أخبرك أنني وجدتُ عرضاً أفضل، وأنت لا تكره لي الخير.

-بل تريد أن نرفع راتبك، فادَّعيتَ أنَّ هناك من عرض عليك ضعف الراتب.

-أرجو ألا تفهمني خطأ، وهذه استقالتي إن لم تصدقني.



-أرني إياها.

مدَّ حَسَنَ ورقة الاستقالة، فأخذها مديره، ثم وَقَّعَ عليها:

-الاستقالة من الغد.

-أليس هذا ما تريد، قد وَقَّعْتُ على استقالتك.

-وبقية حقوقي.

-مرَّ بشؤون الموظفين، وأنه جميع أوراقك ومستحقَّاتك، ومع

السلامة.

لم يتوقَّع حَسَنَ أن يجري الأمر هكذا، وركَّبه هَمٌّ كبير:

-كيف إذا لم يوظَّفني عبدالرحمن عنده، أو تراجع عن ذلك!

-لقد وَقَّعْتُ في وَرْطَة.

-إنما أردتُ معرفة رأي المدير، ولكنه استبدَّ به الغضب، حتى وَقَّعَ

على استقالتني في غَمُضَة عين.

خرج حَسَنَ من شركة الخشب، ولم يكْمِلِ الأوراق، ولا أخذ بقية

المستحقَّات، لعله بذلك يجعل لنفسه خَطًّا رجعة.

انطلق لا يَلْوِي على شيء، حتى وصل إلى شركة عبدالرحمن قبل أذان

الظهر بنحو ساعة.



بعدما ارتفعت الضحارنَّ هاتف مكتب عبد الرحمن:

-السلام عليكم، من معي؟

-وعليكم السلام ورحمة الله.

-أهلاً وسهلاً يا عم عبيد.

-عبد الرحمن، هل تعلم أن أباك قد وضع لوحة (للبيع) على دكانه؟

-ماذا تقول، يا عم؟

-قبل قليل أغلق الدكان، ثم وضع اللوحة، وذهب.

-لا إله إلا الله! أرجوك يا عم عبيد اجعل العامل يزيل اللوحة حالاً.

-أزيلها!

-نعم، وأنا المسؤول.

-طيب.

اتَّصل عبد الرحمن غاضباً مستعجلاً:

-خالد.

-نعم.

-لماذا لم تخبرني أن أبي سبيع الدكان؟

-اهدأ يا عبد الرحمن، سلّم أولاً.

-السلام عليكم.

-وعليكم السلام، أنا لا علم لي بشيء، ولم يخبرني أبي بشيء، ماذا

هناك؟

-وضع أبي على دكانة لوحة (للبيع).

-والله ما أخبرني.

-طيب، أريدك الآن أن تترك الذي في يدك، وتبحث عن أبي، وتأتيان

معاً إليّ في المكتب.

-لو ذهبنا إليه في البيت؟

-لا يمكن أن نحلّ المشكلة في البيت.

-تقصّد أمي، طيب، سأخرج الآن، إن شاء الله.

اتّصل عبدالرحمن مرة أخرى:

-السلام عليكم.

-وعليكم السلام يا عبدالرحمن، أهلاً وسهلاً.

-ما أخبارك، وأخبار السوق، يا أبا سعد؟

-الحمد لله، بخير.

-هل هناك شيء؟

-أبداً، أحييتُ أن أسلّم عليك، وأسأل إن كان هناك جديد في

السوق.

- لا جديد إلا بيع دكان أبيك.

- إذن عندك خبر! لماذا لم تخبرني مباشرة، يا أبا سعد.

- أخبرني أبوك صباح اليوم فقط.

- على كل حال، الدكان ليس للبيع.

- هذا يقوله أبوك.

- من فضلك، إذا سألك أحد فقل له: لا أدري. فقد أزلت أنا اللوحة،

وسوف أتفاهم مع أبي.

- الخبر انتشر كالنار في السوق.

- أبي كان غاضبًا فقط، ثم أنت عندك الخبر الصحيح، فإذا قلتَ

للتجار: إنه سيباع، ثم لم يكن للبيع، ستظهر بمظهر غير المثبت من الخبر،

وإذا قلت: إن الخبر غير ثابت إلى الآن، ثم ثبت أحد الأمرين، كبرت في

عيون التجار.

- أنت يا عبدالرحمن، تعرف من أين تُؤكل الكتف، طيب، سأخبرهم

أن خبر بيع الدكان غير ثابت إلى الآن.

\*

\*

\*

- لو سمحت، أريد مقابلة المدير.

- من نقول له؟

-حسان.

دخل حسان إلى مكتب عبدالرحمن:

-مرحبًا، يا حسان.

-أهلاً وسهلاً.

-أنورت الشركة. لعلك فكّرت في عرضي.

-نعم، ولكن متى أستطيع البدء في العمل.

-الآن إن شئت.

-الآن؟

-نعم.

نادى عبدالرحمن أحد موظفيه:

-خُذ الأستاذ حسان إلى مدير التوظيف.

-(حسان، في ذهول): ماذا أقول له؟

-لا تقل له شيئًا، هو يعرف.

وبعد صلاة الظهر كان حسان بجوار عبدالرحمن ينظر إلى مكتبه

الجديد.

-سأذهب غدًا إلى عملي السابق، أنهي أوراقتي، وأخذ مستحقاتي، ثم

آتي للتوقيع على عقد العمل.

-نحن سعداء بوجودك معنا، يا حسان.

قطع حسان الطريق عائداً إلى بيته، وهو يتذوّق طعم الدِفء في كلام  
عبدالرحمن، الذي لم يذقه في عمله السابق، ويعدُّ نفسه بيئة عمل مريحة.

\*

\*

\*

-لقد شَرَفَت الشركة، يا أبي.

أجلس عبدالرحمن أباه على أريكة في مكتبة، وجلس أمامه، وجلس  
خالد بجانبهما.

ثم قال عبدالرحمن لمدير مكتبه:

-أغلق الباب خلفك، ولا تسمَح بدخول أحد علينا بتأنا، حتى نكون

نحن من نخرج.

صَبَّ خالد القهوة لأبيه، ثم لأخيه، ثم لنفسه:

-ما أخبارك، يا أبي؟

-من المؤكد أن خبر بيع الدكان قد وصلك.

-نعم، أخبرني العم عبيد، لماذا يا أبي؟

-لقد كبرتُ، وتعبتُ، وأريد الراحة.

-أنا أعلم الناس أن راحتك في عملك في سوق العطارين.

-الأمور تختلف، والعمر له حكمه.

-أنا أعرف أنك مضطرّ لبيع الدكان مع أنه مصدر رزقك الوحيد، ولكن هذه حماقة، يا أبي.

سكت أبو سالم، فهو يعلم أنها حماقة، ولكنه مغلوب على أمره.

-اسمع يا أبي، عندي لك اقتراح، لكني لا أريد منك جوابًا الآن، ولا أريد أن تقاطعني حتى أنتهي من كلامي.

-(خالد): نعم، يا أبي، فبيع الدكان عمل غير صحيح أبدًا.

أكمل عبدالرحمن فنجان القهوة، ثم قال:

-أنت يا أبي تعرف كم ثمن دكانك، وأنا سأشتريه، وسأزيد على ثمنه ثلث الثمن أيضًا.

=وسأُسْقِطُ عنك المبالغ التي لشركتنا على دكانك.

=وسيكون الدكان باسم الشركة، ومن ممتلكات الشركة، وتمويله على الشركة، على أن تكون أنت المشرف على الدكان، ولك نصف الربح، وستكون تحت متابعة محاسبي الشركة.

=وفي مقابل ذلك أريد منك أمرين: ألا تنشر هذا الأمر بين التجار ليبقى الأمر في الظاهر على وضعه السابق، وأن توزع ثمن الدكان بالعدل.

=هذا الذي عندي، ففكر جيدًا، ثم ردّ عليّ.



قَلْبَ أبو سالم الأمر ظَهْرًا لِبَطْنٍ، فلم يجد أحسن من اقتراح  
عبدالرحمن، يحصل به على ثمن الدكان، وفي الوقت نفسه يبقى في عمله  
السابق، وإن كان بنصف الربح، فهو يكفيه ويكفي بيته، بعد شراء  
السيارتين.

قطعت أم سالم حبل تفكيره:

- ماذا حصل في بيع الدكان؟

- سأبيعه في أقرب وقت، ولكن من أين نصرف بعد ذلك؟

- أنت عملتَ وما قصرتَ، اجعل الأولاد الآن يعملون.

- تعين أن الأولاد سيصرفون على البيت بعد الآن.

- نعم، وهل أولادي أقل من غيرهم.

- يا ليت، أتمنى ذلك، أدعو الله أن يكون. أين العشاء؟

- الآن سنضعه.

وما إن قامت أم سالم حتى التفت أبو سالم إلى خالد، وهمس في أذنه:

- قل لعبدالرحمن، سأمر به صُحَا الغد بإذن الله.

- هل قررتَ؟

- نعم.

- ماذا قررتَ؟



- ما فيه الخير إن شاء الله.

\*

\*

\*

دخل خالد على عبدالرحمن مسرعًا، فوجد عنده أحد الموظفين،  
وعبدالرحمن يسأله:

- هل أنت مرتاح في عملك؟

- نعم، والحمد لله.

- نحن نعتني بموظفينا جيدًا، ونحرص على حسن العلاقة معهم.

- هذا أحسن ما في الشركة.

عرف خالد الموظف، إنه حسن ولد جارهم:

- أهلاً بحسان، ماذا تعمل هنا؟

- مرحبًا خالد، أنا أعمل محاسبًا في هذه الشركة.

- عجيب، لم أرك من قبل.

جلس خالد، ثم نفخ نفخة طويلة:

- ماذا وراءك، يا خالد؟

- سيمرّ أبي بك بعد قليل.

- أهلاً وسهلاً، إذن قد قطع رأيه.

- نعم.

-على ماذا؟

-لا أدري، قال: على ما فيه الخير.

-إذن وافق على اقتراحي.

تنحى خالد، ثم قال:

-أريد أن أسأل سؤالاً، لكن لا تفهمني خطأ.

-أسأل، فأنا أنتظر أن تسألني.

-لماذا اشتريت الدكان، ولم تسلف أبي مثلاً؟

-لو سلفته فلن يسدد، أو لن يستطيع التسديد، وبعد مدة سيضطرّونه

إلى بيع الدكان، وما دام الدكان باسمه فسيضطرّ لبيع مرة ثانية وثالثة.

-الأمر هكذا!

-لكن إذا كان الدكان باسم الشركة، ومع ذلك هو يعمل فيه بنصف

الربح، فقد استراح من تأمين البضائع، وفاز بنصف الربح، ونصف الربح ليس قليلاً.

-كلامك مقنع، ولكنني لم أر من المناسب أن تقول: (وستكون تحت

متابعة محاسبي الشركة)!

-أنت تعرف أن شخصية أبي ضعيفة، وأنا أريد أن يستقل بتصرف

الدكان، وألا يتدخل أحد بعد ذلك في عمله في الدكان، فإذا كان تحت

مراقبة محاسبي الشركة وجد عذراً لمنع كل من يريد التدخل في عمل الدكان أو دخله.

- تقصد أُمِّي وإخواني.

- المهم، أنا كنتُ أفكر في مصلحة أبي أولاً، ثم أخواتي ثانياً.

- تمام، إذن كل ما قلته كان محسوباً، فما قصّة حسان، وكيف عمِل عندك؟

- حسان محاسب ممتاز، والشركة تبحث عن كل الموظفين المتميزين.

أراد خالد أن يقول شيئاً، لكنه أثار السكوت.

\* \* \*

- لقد فكّرتُ في عرضك يا ولدي، وأنا موافق عليه، ولكن عندي أمران.

- ما الأول؟

- أريد أن تكون نسبتي من الربح ٦٠٪ فلا يصلح أن تكون نسبتي ونسبة خالد سواء.

- موافق، ونعمة عيني. ما الأمر الثاني؟

- ماذا تقصد بأن أوزع ثمن الدكان بالعدل؟

-أُقسِمُ ثمن الدكان كما تشاء، بشرط أن يكون لكل من رقية وسمية نصف ما لكل من سالم ومروان.

-وما علاقتك بذلك؟ أنت أعطني ثمن الدكان، وأنا أنصرف به.  
-هذا شرطي.

زَمَّ خالد شفتيه، وقال في نفسه:

-هذا ما قصده عبدالرحمن بقوله قبل قليل: (كنت أفكر في مصلحة أخواني).

-(أبو سالم): وهل سأظلم رقية وسمية؟

-لم أقل إنك ستظلم أحداً، ولكن هذا شرطي، فإن قبلت به أمضينا الاتفاق، وإن رفضته فيمكن أن تبحث عن مشترٍ آخر، ولكن اعلم أن الشركة حينئذ ستستوفي دينها عندك من ثمن الدكان.

هَزَّ خالد رأسه، واستمر في كلامه لنفسه:

-عبدالرحمن يلين حتى تظنه نسيًا عليلًا، ويقسو حتى تظنه صخرًا جبليًا.

-(أبو سالم، مستسلمًا): أنا موافق.

اتَّصل عبدالرحمن:

-السلام عليكم، هاتِ العقد، وهاتِ بنفسك.

دخل حسان ومعه بعض الأوراق.

- (أبو سالم، مندهشاً): أهلاً وسهلاً يا حسان، فرصة سعيدة.

- مرحباً يا عم، أهلاً وسهلاً.

أعطى حسان العقد لعبد الرحمن، ثم استأذن وخرج.

- (خالد): حسان يعمل محاسباً هنا، يا أبي.

- ما شاء الله!

- عبد الرحمن: حسان محاسب ماهر، لقد أثبتت نفسه في أيام قليلة، وقد

أعطيته ضعف راتبه في عمله السابق، وإذا استمر على هذا الأداء سيرتفع

راتبه في السنة القادمة.

- (خالد، في نفسه): لو أعرف فيما تفكر، يا عبد الرحمن!

مدَّ عبد الرحمن العقد إلى أبيه، أقرأه جيّداً، كي نوقع عليه في الغد.

- سأقرأه الآن، وإذا كان مناسباً سأوقع عليه اليوم.

بدأ أبو سالم في قراءة العقد:

- هل ثمن الدكان مناسب؟

- نعم، مناسب.

استمر أبو سالم في القراءة، حتى رفع رأسه، وقال:

- ما معنى أن تعطي رقية وسمية نصيبتها بنفسك؟

- أي: أقطع نصيبهما من ثمن الدكان، وأعطيه لهما مباشرة.
- أفهم ذلك، ولكن لماذا؟ أنا أعطيه لهما، أعطني المبلغ اليوم، وما يؤذّن العشاء إلا وكلّ واحدة منهما معها نصيبها.
- بل، أنا أعطيهما نصيبهما قبل أن يؤذّن الظهر.
- كيف، هل ستذهب معي إلى البيت؟
- لا، بل سأدخل نصيب كلّ واحدة منهما في حسابها المصرفي.
- وهل لهما حساب مصرفي؟
- نعم.

\*

\*

\*

- عاد سالم ومروان، واجتمعت عائلة أم سالم على مائدة العشاء:
- (أم سالم): الحمد لله، لقد بعت الدكان بمبلغ جيد.
- (أبو سالم): الحمد لله. وسلمت يداك على هذا العشاء اللذيذ.
- طبعًا، هذا لأولادي الرجال، سالم ومروان وخالد.
- (سالم): الحمد لله، المبلغ جيد، كيف سنأخذ نصيبنا؟
- ليس نصيبك، كلّ الدكان والمبلغ لي، ولكنني سأورّعه عليكم.
- (أم سالم): خلاص، اهدؤوا، اتّفقت مع أبيكم أنّ كل واحد منكم يأخذ ربعًا، ونبقي ربعًا عندنا.

- (مروان): خالد لا يحتاج إلى ربه؟

- (خالد، غاضبًا): ومن قال لك ذلك؟ أنا مثلكم.

- (أم سالم): هذا حقّه، كلّ واحد يأخذ ربعًا، وهو مبلغ كبير، يكفي

لشراء سيارة وأكثر.

هدأ البيت، واستمرّ الجميع في الأكل.

جلس الجميع في الصالة بعد العشاء، فهَمَس مروان لسالم:

- غريب، رقية مسكينة، ولكن الغريب أن سمية الشقيّة ساكنة لم

تطالب بنصيبها من المال.

- أنا استغربتُ ذلك أيضًا.

- هل تظنّ أنهم أعطوهما شيئًا من ورائتنا؟

- لا أدري.

حَرَثَ مروان الأمر، فقال:

- سمية الشقيّة، هل أكلتِ لسانك مع العشاء، لم نسمِع لكِ صوتًا

الليلة؟

- الحمد لله، كلّ شيء تمام.

- (سالم): يظهر أنّ البنات ليس لهن حاجات ولا طلبات!

- (أم سالم): أبوهن ما يقصّر، يوفّر لهن كلّ شيء.

- (رقية): أبي ما يقصّر.

- (سمية): لكنّ البنات هن طلبات كثيرة، وأحيانًا تطلّع عيني حتى أحصل عليها.

- (مروان): لكنك ما طلبتِ شيئًا من ثمن الدكان؟

- ولماذا أطلب، وقد وصلنا حقنًا كاملاً؟

- (أم سالم): كيف وصلكنّ حقنًا؟ أتننّ في البيت، ولا تحتجنّ شيء، وأزواجكنّ بعد ذلك هم المسؤولون عنكنّ.  
.....

- لماذا لا تردين؟

- (سالم): يظهر أنّ هناك شيئًا يحدث خلف ظهورنا.

اضطر أبو سالم إلى التدخل:

- اهدؤوا جميعًا، ثمن الدكان كان جيدًا، وكلّ واحد أخذ أكثر مما يريد، الحمد لله.

- (مروان): وماذا أعطيت لسمية؟

- هذا أمر لا يعنيك، أخذت نصيبك وانتهى الأمر.

- (سالم): نحن الذين عملنا في الدكان، وهي نائمة في البيت.

- (أم سالم): أخبرني، يا أبا سالم.



-بَعْتُ الدكان بثمان جيد، وأعطى المشتري للبنات مبلغاً فوق البيعة.

-(مروان): يعني أن رقية أيضاً أُعْطِيَتْ من ثمن الدكان.

-لا، هذا فوق ثمن الدكان.

صَرَخت أم سالم:

-ما هذا الكلام؟ أخبرني بالتفاصيل.

-حرام عليكم، يكفي، سينفجر رأسي.

قام خالد، رافعاً صوته:

-يكفي، دعوا أبي في حاله، سوف تقتلونه، سأخبركم أنا.

بعد أن أخبرهم خالد ببعض تفاصيل البيعة.

اصطنعت أم سالم الهدوء، ثم قالت:

-يعني أنك يا أبا سالم، ستعمل بعد ذلك عند شركة عبدالرحمن.

....-

-وهذا لا يُهمُّني.

- هذا صحيح، لا يُهمُّ، فقد ارتحْتُ من تأمين البضائع، ولي ٦٠٪ من

الربح.

-لكن لن يفرض عبدالرحمن رأيه عليّ.

-ليس هناك فرض رأي ولا غيره.

التفتت أم سالم بكل حزم إلى رقية وسمية:

- غداً تذهبان إلى المصرف، وتسحبان المبلغ.

- وماذا ستفعلين به؟

- أنتما لا حاجة لكما به، ولكن إخوتكن بحاجة ماسة للمال الآن.

- (سالم): صدقت، يا أمي.

- (سمية، غاضبةً): لن أسحب شيئاً.

- (مروان): ستسحبين المبلغ غَضَبًا عنك.

- قل شيئاً، يا أبي.

- اهدؤوا، اهدؤوا.

قامت سمية باكية، ودخلت إلى غرفتها.

أما رقية فلم تتكلم، وبقيت ساكنة طوال الوقت، ثم التفتت بكل

برود، ووضعت عينها في عين أمها، ثم قالت:

- عادي، أخذت مني خطيبي، والآن تأخذين مالي.

ثم قامت، وذهبت إلى غرفتها.

سُقِطَ في يد خالد، ولم يدرِ ماذا يصنع، فانسَلَّ من الصالة شاحب

الوجه، أصفر اللون، وذهب إلى مجلس الرجال، ومن هناك اتصل بخِلْسَة

ببيت عبدالرحمن:

-أدرِك، يا أخِي.

-ماذا هناك؟

-اشتعلتِ النار في البيت، ضَعَطُوا على أبي حتى عَرَفُوا كُلَّ شَيْءٍ عن البيع.

-وماذا في ذلك، البيع تَمَّ، والمبالغ وُزَّعت.

-سترغم أُمِّي رقية وسمية على سحب المبلغ من حسابهما، لتعطيه لسالم ومروان.

-لا تُثَرَّع، لن تستطيع فعل ذلك؛ لأن كلا الحسابين بتوقيعي، ولن يخرج ريال منهما إلا بتوقيعي.

-هل أنت متأكد؟

-نعم.

-الحمد لله، لو أخبرتني من قبل، كي أكون مطمئناً.

-المهم، أخبر الآن رقية وسمية كي تكونا مطمئنتين.

عاد خالد من المجلس مرتاحاً نافع اللون، ودخل غرفة رقية وسمية،

فوجدهما تبكيان، ضَمَّهما إليه:

-اهْدَأْ، لكما عندي بشارة.

-....

لم تستطيعا الردّ عليه؛ لأنّ نفسها يتقطّع من البكاء.

-لن يستطيع أحد سحب المبلغ من حسابكما، ولا حتى أنتم.

توقّفتا عن البكاء مستغربتين:

- (رقية): ما معنى ذلك؟

- اتّصلت بعبدالرحمن قبل قليل، وأخبرني أن حسابيكما بتوقيعه.

- (سمية): صحيح، هو طلب منا ذلك عندما فتح لنا الحساب

المصرفي، ولكن ما معنى ذلك؟

- يعني: أنه لا أحد يستطيع السحب من هذين الحسابين إلا

عبدالرحمن فقط.

- (رقية، فَرِحَةً): الحمد لله.

- وعندي بشارة أخرى، ولكنّها خاصة برقية.

- أنا.

- نعم. حسان خطيبك السابق، وظّفه عبدالرحمن عنده في شركته،

وأعطاه ضعف راتبه.

- (سمية): عاش أخي، عَرَفْتُ أنه سيفهمها!

- سيفهم ماذا؟

- لا شيء.

- (خالد): أخبريني يا شقية، ولا تمتحني صبري، ما الذي فعلتِ؟

....-

- (رقية): أرجوكِ، أخبريني بالأمر، فهو يخصُّني.

- (سمية): طيب، تذكّرين عندما سألنا عبدالرحمن عن العزاء في آخر

الشارع؟

- نعم.

- أخبرته عندما ذهبتِ إلى المطبخ أنه عزاء امرأة حسن، وأنه كان قد

خطبتك من قبل، ولكن أُمي رفضته.

- (خالد): بَسْ.

- بَسْ.

خرجت رقية وسمية، وفي يد كلٍّ منهما ورقة المصرف، وجلستا مع

الجميع في الصالة:

- (سالم): ما شاء الله! هداًتما.

- (رقية): نعم.

- ما هذه الورقة؟

- ورقة المصرف، أتى بها خالد اليوم بعد إدخال المبلغ في حسابنا.

أخذ سالم الورقة من يد رقية:

- ما شاء الله! هناك مبلغ داخل في يوم افتتاح الحساب، ومبلغ داخل اليوم.

- (مروان): واو، رصيدها أكثر من نصيبنا من الدكان.

- (سمية): المبلغ الأول الذي في يوم الافتتاح لا علاقة له بالدكان، هو هدية من عبدالرحمن بمناسبة افتتاح الحساب.

- (أم سالم): غداً تسحبان المبلغ من الحساب.

- الحسابان فدى لكم، وكل ما فيه لكم.

- (مروان): هل هذا استهزاء أم ماذا؟

- أبداً، ولكن هناك أمر صغير، وهو أن الحسابين بتوقيع عبدالرحمن لا بتوقيعنا.

وقف سالم، ثم وقف مروان:

- هذا كذب.

أخرجت سمية أوراق افتتاح الحسابين:

- انظرا إلى التوقيع في افتتاح الحساب.

- (سالم): كيف ترضيان بذلك؟

- (أم سالم): كيف تسمحان بذلك؟ يستطيع أن يسحبه كله الآن.

- (سمية): طلب منا عند الافتتاح ذلك، ونحن وافقنا ولم نكن نعرف السبب، ولكننا عرفنا السبب اليوم.

تذكر خالد مرة أخرى قول عبدالرحمن (أفكر في مصلحة أخواتي).

- (مروان): إذن، لن يخرج ريال واحد من الحسابين.

\* \* \*

ما تردّد عبدالرحمن في أمر تردّده اليوم في الذهاب إلى زواج العنود، فالحُبُّ كالْكَيِّ بالنار، تَمَّ أم لم يَتَمَّ لا بُدَّ أن يبقى أثره، إلا أن أثره يستقرّ في القلب.

ومهما قلب عبدالرحمن الأمر وجد أن المروءة تقتضي أن يحضر، والرَّحِمُ تحكُّم بأن يشارك، وما حاد عبدالرحمن عن طريقهما من قبل، ولا خالف حكمها قط.

قاسى عبدالرحمن من الحياة كثيرًا، وصار حَمَّالًا للهموم وعظائم الأمور، لكنه لا يدري هل سيستطيع قلبه أن يتحمّل هذه الليلة.

فلما أيقن بقرْبِ الأمر، وعلم أنه لا محالة ذاهب، اجتهد أن ينزع عنه عباءة الأسى، واغتسل من لوعة الشَّجَا، ثم خرج من غرفته، واقفًا في وسط البيت، ينتظر أمه.

لم تذكر له أمه سوى موعد زواج العنود، ثم لم تذكره بعد ذلك، ولم تستطع نقل رغبة الخال بحضوره، ولذا شهقت من شدة المفاجأة عندما خرجت من غرفتها، ورأت عبدالرحمن قد ليس وتعطر:

-خير، يا ولدي.

-هيا، كي لا نتأخر عن الزواج.

سكنت أمه، حتى إذا ما خرجا من البيت، وسار قليلاً، قالت:

-فديتك، يا ولدي، لو بقيت في البيت.

تكلف عبدالرحمن التبسم في وجه أمه، وقال:

-وهل عهدتني قليل مروءة، قاطعاً للرحم.

قطع جواب عبدالرحمن كل محاولات أمه لثنيه عن الحضور، كما قطعت جبهة قول كل خطيب.

فرح الخال أحمد بحضور عبدالرحمن كثيراً، وبالغ في إكرامه، وصار يفاخر به، ويعرف به كل من حضر:

-هذا عبدالرحمن، ابن أختي.

كتم عبدالرحمن حزناً في قلبه لم يستطع نسيانه، لكنه بقي في أكثر الوقت ساهماً، خاشع البصر، كاسف البال.



وما زال عبدالرحمن يكتُم ما به، ويضغَط على نفسه، حتى تَمَنَّى في بعض الأحيان لو أنه لم يَحْضُر.

حَتَّى إِذَا سَلَّمَ وَتَكَلَّمَ، وَتَقَهَّوَى وَتَعَشَّى، كَانَ مِنْ أَوَائِلِ الْمُنْصَرِفِينَ، وَطَلَّاعِ الْعَائِدِينَ، لَكِنْ نَفْسُهُ لَمْ تَهْمَلْهُ حَتَّى يَصِلَ إِلَى الْبَيْتِ، بَلْ تَقَاطَرَتْ دُمُوعُهُ، ثُمَّ تَنَاطَرَتْ، ثُمَّ تَحَدَّرَتْ، ثُمَّ وَكَّفَتْ.

فَاسْتَرْسَلَ فِي الْبُكَاءِ، وَاسْتَسْلَمَ لِلْعَبْرَةِ، حَتَّى شَرِقَ بَمَاءُ دُمُوعِهِ، وَشَجِبَ مَاءُ وَجْهِهِ.

\* \* \*

وافق أبو سالم جاره الملاصق لبيته، بعد صلاة الفجر:

-السلام عليكم، يا أبا مشاري؟

-وعليكم السلام ورحمة الله.

-مبارك بيع البيت.

-طَرَحَ اللهُ لَكُمْ فِيهِ الْبَرَكَةَ، وَأَعْطَاكُمْ خَيْرَهُ، وَكَفَاكُمْ شَرَّهُ.

-ولعلك بعته بسعر جيّد.

-والله، ما قَصَّرْتُمْ

-بيت السعادة.

كان بيت أبي مشاري دورين، يسكن هو وأم مشاري في الأسفل،  
وللدور العلوي درج وباب خاص إلى الشارع، يسكن فيه ابنه وزوجته.

وقبل أن يخرج أبو سالم إلى العمل قالت له أم سالم:

- ليتك تستطيع شراء بيت أبي مشاري، ليكون لأولادنا بعد الزواج.

- أليس أولادك هم الذين سيصرفون علينا بعد ذلك.

- إن شاء الله، ولكنهم يحتاجون إلى سنوات حتى ينوا أنفسهم.

- يا ليتني أستطيع، ولو أننا اشترينا بثمان الدكان هذا البيت لكان

أفضل من السيارات الرابضة عند الباب.

-ماذا يعملون، لم يجدوا عملاً إلى الآن!

-تعلمين يا أم سالم، كان كلام أبي مشاري غريباً اليوم.

-كيف؟

-أقول له: مبارك البيع، يقول: (طرح الله لكم فيه البركة، وأعطاكم

خَيْرَه، وكفاكم شَرَه). وأقول: لعلك بعته بسعر جيد، يقول: (والله،

ماقَصَّرتم).

-يظهر أن المبلغ كان كبيراً، فآثر في تركيزه.

-أكيد، أكيد.



- لا يا عبدالرحمن، البيت الآن متكهرب جدًّا عليك.
- لقد أخبرتني رقية بكل شيء، ولن أسكُت عن حَقِّهما بعد الآن.
- طيّب، انتظر أيامًا.
- لا، بل سآتي اليوم، لكن متى لا يكون سالم ومروان في البيت؟
- من العصر إلى العشاء. ولكنَّ أُمِّي موجودة.
- عندي دواء خالتي!

\*

\*

\*

خرج خالد مع أبيه لصلاة المغرب، وفي الطريق إلى المسجد:

- أبي، سيأتي عبدالرحمن في المغرب.

- سيأتي إلى البيت؟

- نعم.

- الوقت غير مناسب، لو أراد شيئًا أنا أذهب إليه في المكتب.

- حاولتُ معه ألا يأتي اليوم، ولكنه مُصِرٌّ.

- ماذا عنده؟

- لا أدري، لكنني أظنَّ ظنًّا أنَّ الأمر يتعلق بالنبات.

- يا ليتَه يستطيع فعل شيء لهما.

قطَّع حديثهما أحد الجيران:

- ما شاء الله! مبارك البيت الجديد، يا أبا سالم.

- أي بيت؟

- ألم تشتري بيت أبي مشاري!

- لا.

- غريب، لعلّي وهمتُ.

\*

\*

\*

ما إن جلس أبو سالم وخالد في الصلاة، حتى أحاطت رقية وسمية

بهما:

- ماذا هناك؟

- (رقية): أبداً، يا أبي، هل تريد القهوة الآن أم ننتظر؟

- مَنْ ننتظر؟

- (خالد): عندهما خبر.

- إيه، إذن أنتم تعرفان لماذا سيأتي الليلة؟

....-

- وأنت يا خالد، هل تعرف؟

....-

طُرِقَ الباب، فتسابقت رقية وسمية إليه، ثم عادتا مشيعتين لعبدالرحمن، الذي جلس بين أبيه وأخيه خالد.

-لقد اشتقتُ إلى جَمْعَتِكُم.

-(رقية): يا ليتك نزورنا دائِماً.

-(أبو سالم): البيت بيته، وأنتم إخوته وأخواته، في أيّ وقت يشاء.

دخلت أم سالم التي فوجئت بعبدالرحمن، الذي نهض من مكانه، وتقدّم حتى سلّم عليها، وقَبَّلَ يدها:

-حيّا الله خالتي العزيزة.

-الله يحيلك، يا عبدالرحمن.

صَبَّتْ سمية القهوة، فأخذ عبدالرحمن تمرّة، أتبعها برشفة من فَنَجان

قهوته:

-لقد سُرِرْتُ كثيراً لخطبة سمية!

فوجئت أم سالم بذلك أكثر، والتفت إلى رقية مُسْفِقةً عليها:

-اذهبي -يا بنتي- إلى غرفتك.

-أمل أن تبقى رقية معنا.

-أريد أن أبقي، يا أمي.

استرسل عبدالرحمن في كلامه:

- لَمَّا عَرَفْتُ الْخَطِيبَ سُرِرْتُ بِهِ، إِنَّهُ نِعَمَ الرَّجُلِ!
- (أم سالم): الحمد لله، وظيفته جيّدة، وراتبه جيّد، وأهله طيّبون.
- أُنَاثَ بَيْتِهَا كُلَّهُ عَلَيَّ، طَبْعًا مِنْ بَعْدِ إِذْنِ أَبِي وَخَالَتِي أُمِّ سَالِمٍ.
- (أبو سالم): الله يعافيك، أنت أخواها، وأنت غطاؤها وسماؤها.
- (أم سالم): طبعًا، طبعًا. أنت أخواها.
- هَذَا مِنْ حَقِّهَا عَلَيَّ، وَمَا دُمْتُ أَسْتَطِيعُ إِسْعَادَهَا فَلَنْ أَتَوَانِي عَنْ ذَلِكَ.
- قَامَتِ سَمِيَّةٌ، فَشَكَرَتْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ، ثُمَّ قَبَّلَتْ رَأْسَهُ.
- كَانَتْ أُمُّ سَالِمٍ هَادِئَةً وَمُنْكَسِرَةً، مِنْ أَجْلِ بَنَّتِهَا رَقِيَّةَ، وَكَانَتْ تَرْمُقُهَا بِطَرَفِ عَيْنِهَا بَيْنَ لَحْظَةٍ وَآخَرَى.
- تَنَحَّنَحَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ، ثُمَّ أَخَذَ تَمْرَةً أُخْرَى، وَأَكْمَلَ فَنَجَانَ قَهْوَتَهُ:
- صُبِّي، يَا سَمِيَّةَ.
- (خالد، مشاغبًا): لعلها تفكر في الأناث إلى الآن.
- قَطَّبَتِ سَمِيَّةٌ، ثُمَّ صَبَّتِ الْقَهْوَةَ مَرَّةً أُخْرَى لِلْجَمِيعِ.
- فِي الْحَقِيقَةِ عِنْدِي أَمْرٌ آخَرٌ، يَهْمُ أُخْتِي رَقِيَّةَ.
- (أبو سالم): خيرٌ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.
- أَتَانِي خَطِيبٌ لَهَا، وَلَآنَ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ بِيَدِ أَبِي وَخَالَتِي، جِئْتُ الْيَوْمَ لِعَرْضِهِ.

- من هو؟

-(أم سالم): ماذا يعمل؟

-راتبه أكثر من راتب خطيب سمية.

- ما شاء الله!

-ويعمل رئيس المحاسبين في إحدى الشركات.

-(أبو سالم): من أي عائلة؟

-من عائلة طيبة وكريمة، وأنتم تعرفونها.

همس خالد في نفسه:

-لقد علمتُ حين وظفتَ حسنًا عندك أنك ترتب لشيء.

التفتت أم سالم لرقية فرحة:

-أرايتِ -يا بنتي - لقد عوّضك الله خيرًا.

لكنها لاحظت أن رقية لم تُفاجأ بالخطبة كما توقعت.

-(أبو سالم): أعطه موعدًا كي اجتمع به، وكذلك لا بُدَّ من موافقة

رقية.

-(أم سالم): طبعًا، لا بُدَّ من موافقة رقية.

-(رقية، في هدوء): إذا كان عبدالرحمن موافقًا عليه فأنا موافقة.

تفاجأ خالد كثيرًا من جُرأة أخته رقية، فهو يعرفها شديدة الحياء، يأكل القِطُّ غداءها ولا تدفعه عنه.

- (أبو سالم): لا بُدَّ أن تعرفيه، يا بنتي.

- هي تعرفه، وقد كلّمتهَا من قبل، وأخذتُ موافقتها؛ لأنها لو لم توافق عليه ما ذكرته لكم.

- من هو؟

- حَسَّان، ولد جاركم.

- (أم سالم): خطيبها السابق؟

- نعم.

غَضِبَتْ أم سالم، حتى احمرَّ وجهها، فتدارك عبدالرحمن الأمر:

- لقد كان من قبل موظفًا صغيرًا، وراتبه كان قليلًا، ولذا كان من

حَقِّكم عدم الموافقة عليه؛ لأنكم حريصون على مستقبل رقية وسعادتها.

....-

- لكنه الآن صار رئيس المحاسبين في شركة مرموقة، ووصار راتبه

ضعف راتبه السابق، هذا مع البدلات والمكافآت.

خَفَّ غضبُ أم سالم قليلًا:



-لقد سَعَرْتُ في كلامه أنه يحب رقية، ويُغليها، وسيكون حريصًا على سعادتها.

ثم التفت عبدالرحمن إلى أبيه:

-ألسْتُ تعرف والد حسان، وعائلته.

-نِعَمَ العائلة! والله. ونِعَمَ الجيران هم!

- (خالد): المُصَرَّر على خِطبتها كل هذه السنوات، لا شك أنه يحبها ويغليها.

استحث رقية كثيرًا، ونهضت تريد الانسحاب من الصلاة:

-اجلسي يا رقية، فهذا الشأن شأنك أنت، ولن نفعل فيه شيئًا إلا برضاك.

-الذي تراه أنا موافقة عليه.

-ومع ذلك اجلسي، فكلامي لم ينتهِ.

- (أم سالم): لكنّه رجل متزوِّج، أعني أنه تزوّج من قبل، وبنتي بِكر.

-يا خالتي، عُمرهما مناسب لبعضهما، ورقية صاحب الشأن، وقد وافقت برضاها، فلا تقفي في طريق سعادتها.

- (رقية): أرجوك، لا ترفض مرةً أخرى، فقلبي لن يتحمّل.

سكتت أم سالم سكوت المنقطع عن الجواب، الحائر في الأمر.

- ما رأيك، يا أبي؟

- إذا كانت رقية موافقة فأنا موافق.

- الحمد لله، إذن الجميع موافق.

وقبل أن تعاود أم سالم الكلام سبّحها عبدالرحمن، فقال:

- كل أثاث بيت رقية عليّ، بعد إذن أبي وخالتي.

- الله يكثر خيرك، يا ولدي.

استعدت أم سالم للكلام، ولكن عبدالرحمن سبّحها مرة أخرى:

- زواجهما كله عليّ.

ثم التفت إلى أم سالم:

- يا خالتي، هل تريدون أن يكون زواجهما في البيت أم في قصر

زواجات؟

- لا، في قصر زواجات.

- إذن، يكون في قصر الزواج الذي تزوّجت فيه بنات أختك قبل

شهرين.

- الله! مناسب جدًّا.

غمزت سمية رقية بمرّفقها أن اشكّري عبدالرحمن، فقامت على

استحياء، وشكرته، ثم قبلت رأسه.

- (أبو سالم): إيه، يا أم سالم، ستزوّج الحُلوتان، وتبقي وحدك في البيت.

- (خالد): الله! وأنا وسالم ومروان، أين نحن؟

- كلّ الأبناء لا يُغْتَنون عن بنتٍ واحدة في البيت.

تنهّد أبو سالم تنهيدة طويلة، ثم قال:

- البنات في البيت كالزهور العَطِرات، وكالفراش الجميلات، ينبض

البيت بعطفهن، ويحلم بفعلهن، ويحيا بكلامهن.

كم مرّة رجعتُ فما استقبلني إلا ضحكهن، وكم مرّة نَعِبتُ فما سألني

عن حالي غيرهن، وكم مرّة مَرَضْتُ فما طَبَّيَني إلا عطفهن.

أجلِسُ معكم جميعًا فلا تشعرون بما بي، حتى تأتي إحداهن فتَهْمِزُني

وتدُلّكني، وأشتغل بعملٍ فلا يَفْطَنُ لَطُولَ أظفاري إلا هنّ، وينشَقُّ ثوبي أو

يَتَسَخَّ شِماعي فلا يَلْحَظُ ذلك إلا هنّ.

مسكين الذي ليس عنده بنت!!

- (خالد): ما شاء الله! ما كلّ هذه المشاعر!

- (أم سالم): أنا الذي سأبقى وحدي، ويكون عمل البيت على رأسي.

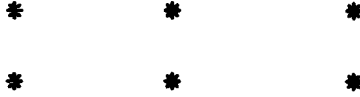
هنا لطفُ عبدالرحمن الوضع بقوله:

- لن تبتعد رقية وسمية عنكم.

- أعني بعد زواجهما.
- حتى بعد زواجهما لن تبتعدا عنكم.
- (أبو سالم): ما معنى ذلك؟
- لقد اشتريتُ البيت المجاور لكما.
- بيت أبي مشاري.
- وكتبته باسميهما، تسكن رقية في الدور السفلي، وسمية في الدور العلوي.

- (خالد): متى فعلتَ ذلك؟
- وقد اتَّفقتُ من الخطيبين على ذلك.
- (أبو سالم): ووافقا على ذلك.
- بل اشترطته عليهما.
- تمنح خالد أكثر من مرة، حتى نبههم إليه، ثم قال:
- يا جماعة، الأبناء أيضًا يغارون من أخواتهم أحيانًا.
- سهلة، إذا وجدت بنت الحلال، ووافق أبي وخالتي، فأبشر.
- ضحكَت سمية الشقية، ثم قالت:
- هذا رجل يعمل، ماذا ستفعل له، هل ستشتري له بيتًا، أم تزوجه؟
- لا، سأحضر زواجه، وأدعو له.

ضحك الجميع، مع ارتفاع صوت الحق مُؤذِنًا بدخول وقت صلاة العشاء.



عاد عبدالرحمن من صلاة الفجر، فوجد عائشة قد انتهت من الصلاة، وجلست تقرأ أذكارها وتدعو، بجوار ابنتها الصغيرة، التي تغط في نوم عميق.

أصلح عبدالرحمن غطاء ابنته برفق، وقبل عائشة بين عينيه:

-نور عيني، أنا متعب، سأنام، وأيقظيني بعد طلوع الشمس بساعة.

-أبشر، نوم العافية.

نزع ثوبه، وهو يقول:

-ما كانت أمني -رحمها الله- ترضى أن أنام بعد صلاة الفجر، وتقول:

الزُّرْق يُقَسِّم في الفجر.

-الله يرحمها، وكذلك كان أبي -رحمه الله- يذهب لعمله بعد صلاة

الفجر، فلما كبر صار يذهب بعد طلوع الشمس، فلما تولَّت العمل ترك كل الأعمال، وتفرَّغ للعبادة، حتى تُوفي.

-الله يرحمهم، ويجمعنا بهم في جنات النعيم.

## الفهرس

| الموضوع                 | الصفحة |
|-------------------------|--------|
| المقدمة                 | ٧      |
| الفصل الأول:            | ٩      |
| عبدالرحمن في دكان أبيه. |        |
| الفصل الثاني:           | ٨٢     |
| عبدالرحمن في دكانه.     |        |
| الفصل الثالث:           | ٢٦٧    |
| عبدالرحمن الناجح.       |        |
| الفصل الرابع:           | ٣٦٧    |
| عبدالرحمن الزوج والآنخ. |        |